الجمهورية اليمنية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأندلس للعلوم والتقنية
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الدراسات الإسلامية

المضامين العقدية في سورة النساء

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية

إعداد الباحثة:

إنصاف يحيى أحمد رزق الخوبري

إشراف الدكتور:

عبد الله محمد جبران

١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م

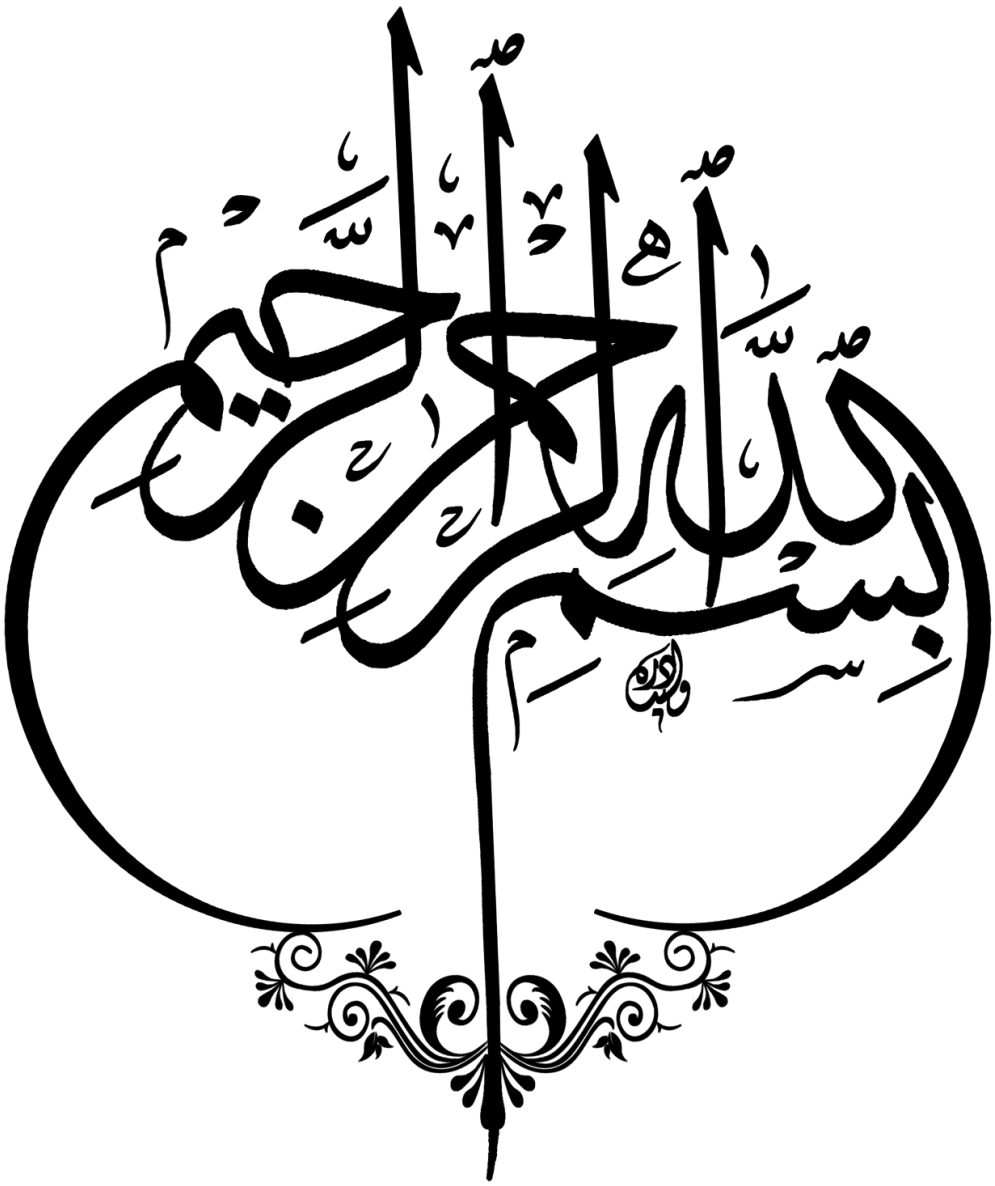
بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١].

الإهـــداء

إلى **والدي** المغفور له بإذن الله تعالى .

إلى **أمي** الذي يعجز لساني عن ذكر ما قدمته لأجلي طوال حياتي .

إلى **أخواي** اللذين بذلا ما بوسعهما في تشجيعي ورفع معنويتي .

إلى جميع المسلمين والمسلمات في كل بقاع الأرض .

أهدي هذا البحث المتواضع؛ راجية من الله تعالى التوفيق والقبول والسداد .

الشكر

قـــال تعـــالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [سورة إبراهيم: ٧].

ومن منطلق هذه الآية الكريمة أتوجه بالشكر والثناء لرب الأرض والسماء الذي أمدني بعونه وتوفيقه في إنجاز هذا البحث، ولولاه ما وصلت إلى ما أنا عليه الآن، وما من فضل في البحث فمنه وحده.

وامتثالاً لقول النبي ﷺ: ((مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ))(١)، فإني أتوجه بالشكر والعرفان لفضيلة الدكتور: **عبد الله محمد جبران**، حفظه الله، الذي أشرف على هذه الرسالة؛ فكان له الفضل بعد الله في إتمامها، فلم يدخر جهدًا في نصحي وتوجيهي لما فيه الصواب، فكان له الأثر في تقويم الرسالة وإخراجها على هذا النحو، وأسأل الله أن يبارك له في علمه ووقته.

وأتقدم بخالص الشكر والتقدير للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة:

أ. م. د/ **عادل صالح الفقيه**، جامعة الأندلس – مناقشًا داخليًا.

أ. م. د/ **رفعت حسين عبورة**، جامعة صنعاء – مناقشًا خارجيًا.

اللذين تفضلا بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة؛ لإبداء الإرشادات التي تثري البحث، وتكسبه متانة ورصانة.

والشكر موصول لفضيلة الدكتور: **علي سراج**، فقد أفادني بتوجيهاته النافعة، وآرائه الصائبة، ولقاءاته المثمرة، فأسأل له الله أن يبارك له في علمه ووقته، وكذلك فضيلة الدكتور: **أحمد مزروع**، والدكتور: **رفعت عبورة**.

---

(١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، (٣٣٩/٤)، رقم (١٩٥٤)، وقال الترمذي: صحيح، وكذلك صححه الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، أبو عبد الرحمن، المكتب الإسلامي، (د. ط. ت. ب)، (١١٢٢/٢)، رقم (٦٦٠١).

كما أتقدم بالشكر والامتنان لجامعة الأندلس الدراسات العليا، كلية الآداب، قسم الدراسات الإسلامية، ممثلة بأساتذتها الكرام الذين شجعوني على الدراسة في هذه الظروف الصعبة، وزودوني بالعلم النافع، فأسال الله لهم التوفيق والسداد.

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين نبينا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد: فهذا بحث مقدم لاستكمال متطلبات نيل درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية، بعنوان: **(المضامين العقدية في سورة النساء)**، إعداد الباحثة: **إنصاف يحيى أحمد رزق الخوبري**، إشراف الدكتور: **عبد الله محمد جبران**، للعام الدراسي: ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م.

ولقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، وكل فصل قسمته إلى مباحث، والمباحث إلى مطالب، وإن لزم الأمر أقسم المطالب إلى مسائل.

فأما المقدمة فكانت حول أسباب اختيار البحث، وأهدافه، ومنهج الدراسة، وعمل الباحثة في البحث، وبيان الدراسات السابقة للموضوع.

والتمهيد تناولت فيه تعريف العقيدة، وبيان أهميتها ومكانتها في الدين، ثم التعريف بسورة النساء، وأهم المسائل العقدية التي تناولتها السورة.

وأما الفصل الأول: فقد بينت فيه المسائل المتعلقة بقضايا التوحيد في سورة النساء، ومن هذه المسائل: تعريف التوحيد، ثم ذكرت أقسامه في ضوء سورة النساء، فذكرت توحيد الربوبية وعرفته، وذكرت دلالة السورة عليه، ثم توحيد العبودية، فبينت مفهوم العبادة، ودلالة السورة عليه، وبينت الجبت والطاغوت اللذين أوجب الله على عباده اجتنابهما في ضوء السورة، كما بينت جملة من العبادات التي بينتها السورة، وهي: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر، والتوكل، والذكر، والاستغفار، والخشية وذكرت نوعيها، وذكرت أن الشرك المخرج من الملة هو: الشرك الأكبر في ضوء سورة النساء.

ثم ذكرت توحيد الأسماء والصفات الواردة في السورة، وعرفتها وبينت معناها، مع بيان الفرق بين الاسم والصفة، وبينت أن الله منزه عن اتخاذ الولد كما ورد في سورة النساء، وبينت مسألة رؤية الله ﷻ، وأقوال أهل العلم، وبيان القول الراجح في المسألة.

وأما الفصل الثاني: فقد تناولت فيه المسائل المتعلقة بالإيمان بالكتب السماوية وبالأنبياء والرسل في سورة النساء، فذكرت تعريف الكتب السماوية، ووجوب الإيمان بها، وذكرت أسماء الكتب الواردة في السورة، كما بينت فضل القرآن الكريم وهيمنته عليها، ثم بينت حكم الكفر بالكتب المساوية والاستهزاء بها، ثم ذكرت تعريف النبي والرسول والفرق بينهما، وبينت وجوب الإيمان بالأنبياء والرسل، مع بيان أسماء الأنبياء والرسل الوارد ذكرهم في السورة باختصار، ثم تناولت دلائل نبوة محمد ﷺ في ضوء سورة النساء، وتناولت بالدراسة معتقدات اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام في ما قالوه من عقيدة الصلب والفداء والتثليث، والرد على معتقداتهم الباطلة في ضوء السورة.

أما الفصل الثالث: فقد تناولت فيه المسائل العقدية المتعلقة بالغيبيات في سورة النساء، ومن هذه الغيبيات التي وردت في السورة: الملائكة، فعرفت الملائكة، وبينت أن وجوب الإيمان بهم ركن من أركان الإيمان، وذكرت صفاتهم، وأعمالهم الواردة في السورة، ثم ذكرت موضوع الشياطين، وذكرت عداوتهم لبني آدم، وعددت وسائلهم في إغواء بني آدم الواردة في السورة، وذكرت تعريف اليوم الآخر ووجوب الإيمان به، وبينت دلالة السورة عليه، كما بينت الجوانب المتعلقة باليوم الآخر من الموت والحشر والجنة والنار، وتناولت تعريف القضاء والقدر، وبينت مراتبه، وقمت بدراسة مفهوم الهداية والضلال على حسب ذكرهما في السورة.

ثم الخاتمة، وذكرت فيها: أهم نتائج البحث والتوصيات، ثم الفهارس العامة للبحث.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله وعلى أله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإن علم العقيدة من أهم العلوم الإسلامية التي يجدر بالإنسان الاهتمام والعناية بها، فهي البناء الذي يقوم عليه كافة الأعمال، فمصير الإنسان وسعادته وفوزه في دنياه وآخرته متوقف عليها، فما أرسل الله الرسل ولا أنزل الكتب إلا للدعوة إليها ولجميع تعاليم الإسلام، وتشريعاته، وقيمه، وآدابه.

ولشدة حاجة الناس إليها لتجديد وتصحيح الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، والاعتقاد الجازم بهذه الأركان التي لا يقبل إيمان المرء إلا بها، وترك ما يقدح أو يناقض أو يخل بها من معاصي، أو بدع، أو شبهة من أقوال وأفعال، فيقع في المحذور الذي نُهي عنه؛ لأجل ذلك فقد اهتم القرآن بقضايا العقيدة اهتمامًا كبيرًا، فجاءت سورٌ مكية تحدثت من بدايتها حتى نهايتها عن القضايا العقدية بالتوضيح والتفصيل مرة، والإجمال والإيجاز مرة أخرى، وضرب الأمثال، والسرد القصصي، وغيرها، كذلك في السور المدنية التي بالرغم من أن خصائصها الحديث عن أمور التشريع، وبيان الحلال والحرام، وأحوال أهل الكتاب، إلا أن آياتها لم تقتصر على ذلك، بل تناولت كذلك القضايا العقدية، كما هو الحال في سورة النساء الجامعة بين أحكام التشريع وأمور العقيدة، وما ذاك إلا لعظم شأنها عند رب العالمين.

فقد تناولت السورة الحديث عن التوحيد بأنواعه الثلاثة: (الربوبية – الألوهية «العبودية واعتمدت هذه التسمية في البحث؛ لكون حديث الآيات الواردة في السورة عن العبودية» – الأسماء والصفات)، وفصلت الحديث في توحيد الألوهية (العبادة)، التوحيد الذي كانت أول دعوة الرسل إليه، وكذا تناولت موضوع الشرك الأكبر.

كما تحدثت عن الإيمان بالملائكة، والكتب السماوية السابقة على القرآن، وفضله عليها، والكفر والاستهزاء بالدين، والإيمان بالرسل وما جاء من معتقدات فيما يتعلق بنبي الله عيسى عليه السلام، والرد على هذه المعتقدات من سورة النساء، وتحدثت عن الإيمان بالملائكة وصفاتهم وأعمالهم، وكذا عن عداوة الشياطين لبني آدم ووسائلهم الواردة في السورة، وما يتعلق باليوم الآخر، من:

(موت وحشر وجنة ونار)، كما اهتمت السورة بالإيمان بالقضاء والقدر، وتطرقت لبعض مسائله، منها: مسألة الهداية والضلال، فجمعت الآيات التي تحدثت عن أمور العقيدة، وبينت ما يتعلق بها من قضايا عقدية في كتب العقيدة، بعد أن تناولتها من جانب التفسير.

ولذلك كان موضوع البحث دراسة موضوعية لسورة مدنية عبر: **المضامين العقدية في سورة النساء.**

أسباب اختيار البحث:

تبرز أسباب اختيار الموضوع من خلال:

١- عناية سورة النساء على مدنيتها بقضايا العقيدة، فقد تحدثت في مائة وتسعة وأربعين آية عن العقيدة من إجمالي آياتها المائة وستة وسبعين آية.

٢- أن سورة النساء هي أكثر سورة ختمت آياتها باسم وصفة من أسماء الله تعالى وصفاته، وهذا يدل على عظمة الإيمان بالأسماء والصفات.

أهداف البحث:

١- التعريف بسورة النساء، وما احتوته من قضايا العقيدة.

٢- إبراز المسائل العقدية التي تضمنتها السورة.

٣- بيان أن القضايا العقدية محل اهتمام السور المكية، وكذلك السور المدنية كما أثبتتها سورة النساء.

٤- ترسيخ مفاهيم العقيدة الصحيحة من خلال بيان المسائل العقدية في السورة.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي الاستنباطي، وذلك من خلال عرض ووصف الآيات القرآنية من سورة النساء وتحليلها، وبيان ما اشتملت عليه من مباحث عقدية، وآراء العلماء فيها، معتمدة المصادر الأصلية، وفق أسس البحث العلمي، متبعة الخطوات التالية:

أولاً: استقراء وجمع مباحث العقيدة التي اشتملت عليها سورة النساء؛ وذلك بإيراد الآيات التي تتعلق بكل مبحث على حدة، ووضع عنوان لها يتناسب مع استنباط ما تدل عليه، ثم بيان وجه دلالتها في المسألة مستعينة في ذلك بأقوال أهل العلم الذين لهم جهود في توضيح العقيدة الإسلامية من سلفنا الصالح وأقوال بعض المفسرين.

ثانيًا: قد أضطر إلى تكرار الآية الواحدة من سورة النساء إذا دعت الحاجة إليها من حيث اشتمالها على أكثر من موضوع في العقيدة.

ثالثًا: أذكر أقوال أهل العلم في المسألة الاعتقادية إذا كانت تحتمل أكثر من رأي، ثم أذكر القول الراجح في المسألة.

رابعًا: ألتزم عند النقل من أي مرجع أو الاستفادة منه الإشارة إلى جميع بيانات الكتاب عند ذكره أول مرة في الهامش، ثم بعد ذلك اكتفي بذكر اسم الكتاب واسم مؤلفه، ثم رقم الجزء – إن وجد – ورقم الصفحة.

خامسًا: عزو الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى سورها، بذكر اسم السورة ورقم الآية، سواء كانت آية كاملة أو جزءاً من الآية، وذكره في صلب البحث؛ خشية الإثقال على الحاشية، مع الالتزام بالرسم العثماني.

سادسًا: تخريج الأحاديث والآثار إن وجدت من مظانها المعتمدة، فما كان في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت به، وما كان في غيرهما قرنت ذلك بالحكم عليه من كتب التخريج المعتمدة.

سابعًا: ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في البحث باختصار، ما عدا الصحابة والتابعين.

ثامنًا: إيضاح المفردات الغريبة التي وردت في البحث حسب الإمكان.

تاسعًا: ختم البحث بالفهارس.

الدراسات السابقة:

لم تجد الباحثة دراسات سابقة تناولت سورة النساء من الجوانب العقدية كلها حسب ما تعلم، غير أن هناك رسائل علمية تناولت قضايا العقيدة في سور أخرى خلاف سورة النساء، اعتبرتها الباحثة مرجعًا لها تعينها في إعداد خطة البحث، وفي كيفية استنباط المسائل العقدية، وطريقة عرضها، ومناقشتها، وربط الموضوعات بعضها ببعض.

وانفردت في رسالتها عن الرسائل السابقة أنها عرضت جميع المسائل العقدية التي وردت في السورة، والتي هي من خصائص السور المكية، وناقشتها من خلال سورة مدنية وهي: سورة النساء، وبينت أقوال أهل العلم فيها مع ذكر القول الأقرب إلى الصواب بدون تجريح لبقية الأقوال.

كما اقتصرت الدراسة على عرض الآيات العقدية الواردة في سورة النساء، ولم تربطها بآيات من سور أخرى ملتزمة التفسير الموضوعي، إلا في بعض المواطن التي اقتضت الحاجة للاستشهاد ببعض الآيات من سور أخرى.

كما أضافت في رسالتها فهرساً للألفاظ الغريبة التي جاء ذكرها في متن الرسالة، بعد أن ذكرت معناها في الهامش.

ومن هذه الرسائل ما يلي:

١- رسالة ماجستير بعنوان: مباحث العقيدة في سورة الزمر، لناصر بن علي بن عايض حسن الشيخ، الجامعة الإسلامية، الرياض.

٢- رسالة ماجستير بعنوان: المباحث العقدية في سورة الزخرف، لفادي محمد توفيق الفيشاوي، الجامعة الإسلامية، فلسطين.

٣- رسالة ماجستير بعنوان: القضايا العقدية في سورة النحل، لرباب حمد سليم أبو عمرة، الجامعة الإسلامية، فلسطين.

٤- رسالة ماجستير بعنوان: المضامين العقدية في سورة الأنبياء، لعبد الفتاح خضر عبد الفتاح رصرص، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين.

خطة البحث

اشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس، على النحو الآتي:

المقدمة:

واشتملت على الآتي:

- عنوان البحث.
- أسباب اختيار البحث.
- أهداف البحث.
- منهج البحث.
- الدراسات السابقة.
- خطة البحث.

التمهيد: التعريف بالعقيدة، وبيان أهميتها، والتعريف بسورة النساء، وأهم القضايا العقدية فيها.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: التعريف بالعقيدة، وبيان أهميتها ومكانتها في الدين.

المسألة الثانية: التعريف بالمضمون وبسورة النساء، وأهم القضايا العقدية فيها.

الفصل الأول: قضايا التوحيد:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التوحيد وأنواعه، وبيان توحيد الربوبية في السورة.

المبحث الثاني: توحيد العبودية.

المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

الفصل الثاني: الإيمان بالكتب السماوية وبالأنبياء والرسل.

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: الكتب السماوية.

المبحث الثاني: الأنبياء والرسل –عليهم الصلاة والسلام–.

الفصل الثالث: الغيبيات في سورة النساء:

وفيه مبحثين:

المبحث الأول: الملائكة والشياطين.

المبحث الثاني: اليوم الآخر وبيان القضاء والقدر.

الخاتمة:

وتتضمن أهم نتائج البحث والتوصيات:

أولاً: أهم نتائج البحث.

ثانياً: التوصيات.

الفهارس:

واشتملت على الفهارس الآتية:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجمة.

رابعاً: فهرس الطوائف والفرق.

خامساً: فهرس الكلمات الغريبة.

سادساً: فهرس المصادر والمراجع.

سابعاً: فهرس الموضوعات.

التمهيد:
التعريف بالعقيدة وبيان أهميتها والتعريف بسورة النساء وأهم القضايا العقدية فيها

وفيه مسألتان:

- المسألة الأولى: التعريف بالعقيدة، وبيان أهميتها ومكانتها في الدين.
- المسألة الثانية: التعريف بالمضمون وبسورة النساء، وأهم القضايا العقدية.

المسألة الأولى:

التعريف بالعقيدة، وبيان أهميتها ومكانتها في الدين.

أولاً: **تعريف العقيدة**:

العقيدة لها مفهومها في اللغة وفي الاصطلاح، وهذا ما سيتضح مما يأتي:

العقيدة في اللغة:

لفظ (عَقَدَ) "الْعَيْنُ وَالْقَافُ وَالدَّالُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى شَدٍّ وَشِدَّةٍ وُثُوقٍ...

وَالْعُقْدَةُ: الضَّيْعَةُ، وَالْجَمْعُ عُقَدٌ، يُقَالُ اعْتَقَدَ فُلَانٌ عُقْدَةً، أَيِ اتَّخَذَهَا، وَاعْتَقَدَ مَالًا وَأَخًا، أَيِ اقْتَنَاهُ وَعَقَدَ قَلْبَهُ عَلَى كَذَا فَلَا يَنْزِعُ عَنْهُ، وَاعْتَقَدَ الشَّيْءُ صَلُبَ، وَاعْتَقَدَ الْإِخَاءُ : ثَبَتَ"(١).

"وعَقَدْتُ الحبْلَ وَالْبَيْعَ وَالْعَهْدَ فَانْعَقَدَ. والعَقْد: الْعَهْدُ، وَالْجَمْعُ عُقود، وَهِيَ أَوكد العُهود.

ويُقَالُ: عَهِدْتُ إِلى فلانٍ فِي كَذَا وَكَذَا، وتأْويله أَلزمته ذَلِكَ، فإِذا قُلْتَ: عَاقَدْتُهُ أَو عَقَدْتُ عَلَيْهِ فتأْويله أَنك أَلزمته ذَلِكَ بِاسْتِيثَاقٍ، وَالْمُعَاقَدَةُ: الْمُعَاهَدَةُ، وَعَاقَدَهُ: عهده. وَتَعَاقَدَ الْقَوْمُ : تَعَاهَدُوا. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ؛ قِيلَ: هِيَ الْعُهُودُ، وَقِيلَ: هِيَ الْفَرَائِضُ الَّتِي أُلزموها"(٢).

فالعقيدة هي: ما اعتقده الإنسان في قلبه بلا ريب، ودان به ما يعبده، سواء كان حقاً أم باطلاً، وسمي عقيدة؛ لأَنَّ الإنسان يعقد عليه قلبَه.

العقيدة في الاصطلاح:

العقيدة هي: "التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبة، فهي بمعنى الإيمان، يقال: اعتقد كذا، أي: آمن به؛ والإيمان بمعنى: التصديق، يقال: آمن بالشيء، أي: صدق به تصديقًا لا

---

(١) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، (د. ط)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (٨٦/٤).

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على جمال الدين بن منظور الأنصاري، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، (٢٩٧/٣).

ريب فيه ولا شك معه"[1]، "وسميت عقيدة؛ لأَنَّ الإنسان يعقد عليه قلبَه"[2]، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الحجرات: ١٥]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [سورة البقرة: ٢].

فالشاهد من الآيتين: أن المؤمنين عقدوا قلوبهم على الإيمان بالله ورسوله، ولم يرتابوا أو يشكوا في ذلك، ولا في الكتاب الذي أنزله من عنده هداية للمتقين.

تعريف العقيدة الإسلامية:

"هي: التصديق الجازم فيما يجب لله ﷻ من الوحدانية، والربوبية، والإفراد بالعبادة، والإيمان بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا"[3]

وكما قيل في تعريف آخر: "هي: الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى، وأُلوهيته، وأَسمائه، وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثَبَتَ من أُمور الغيب وأصول الدِّين، وما أَجمع عليه السَّلف الصَّالح، والتسليم التام لله تعالى في الأَمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله ﷺ"[4].

والخلاصة: أن العقيدة تعني: الإيمان بالله ﷻ، وأنه واحد لا شريك له، ولا ند له، ولا شبيه له في صفاته وأسمائه، وهو رب كل شيء ومليكه، وهو المستحق للعبادة دون غيره من المعبودات، وكل معبود دونه فهو باطل، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [سورة الإخلاص: ١-٤]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى: ١١].

---

(١) العقائد الإسلامية، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ط. ت)، ص٨.

(٢) الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤٢٢هـ، (٢٤/١).

(٣) الأسئلة والأجوبة في العقيدة، صالح بن عبد الرحمن بن عبد الله الأطرم، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ، ص٧.

(٤) الوجيز في عقيدة السلف الصالح، الأثري، (٢٤/١).

ثانياً: أهمية العقيدة ومكانتها في الدين:

لكل بناء أساس يقوم عليه، والعقيدة أساس الدين الإسلامي وعموده، فمن أجل العقيدة بعث الله الرسل، وأنزل الكتب السماوية، ولمكانتها أوجبها الله على جميع خلقة الجن والإنس، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [سورة الذاريات: ٥٦-٥٧]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء: ٢٣]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

وقد أفرد القرآن الكريم سورًا عديدة تتناول قضايا العقيدة بالأدلة والبراهين، كما هي في سور الأنعام والأعراف ويونس وهود والرعد وإبراهيم والحج والأنبياء وغيرها..، وفي السور المدنية التي من سماتها معالجة قضايا التشريع، وبيان الحلال والحرام، جاء في ثناياها الحديث عن العقيدة من إثبات وحدانية الله، وإفراده بالعبادة، والإيمان بالرسل، والكتب، والملائكة، واليوم الآخر، وهذا ما تضمنته سورة النساء.

وتتضح أهمية العقيدة في أنها المعيار لقبول الأعمال وصلاحها، وبها تتوقف سعادة البشرية في الدنيا والأخرة، فهي جزء مهم في الدين، وأصل في عمل الجوارح، وبها يكفر الله الخطايا، وتُنجي من عذاب يوم القيامة، ويعصم الله بها في الدنيا دماء المسلمين وأموالهم، فعن أبي مالك عن أبية قال: قال ﷺ: ((مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ، وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ))[(١)]، وعن جابر بن عبد الله قال ﷺ: ((مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ))[(٢)].

---

(١) صحيح مسلم = المسند المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط. ت)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، (٥٣/١)، رقم (٢٣).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، (٩٤/١)، رقم (٩٣).

المسألة الثانية:

التعريف بالمضمون وبسورة النساء، وأهم القضايا العقدية فيها.

وسوف نبين هنا كلاً من هذه المصطلاحات على النحو التالي:

أولاً: **تعريف المضمون**:

المضمون لغة: المحتوى، وَمِنْه: مَضْمُون الْكتاب مَا فِي طيه، ومضمون الْكَلَام فحواه وَمَا يفهم مِنْهُ...(١).

المضمون اصطلاحاً: المضمون هو: المعنى، والمعنى هو: المفهوم من ظاهر اللفظ، والفحوى: مطلق المفهوم، وقيل: فحوى الكلام: ما فهم منه خارجا عن أصل معناه(٢).

ومما سبق يفهم أن المضامين هي: المعاني التي تفهم من اللفظ أو السياق، وهي: فحوى الخطاب والغرض، أو المفهوم المراد من النص؛ لذا فمضامين العقيدة هي: معاني العقيدة التي ترد في السورة.

ثانياً: **التعريف بسورة النساء**:

اسم السورة:

"النساء، وهي: من السور الطوال، وسميت بهذا الاسم؛ لأنها افتتحت بأحكام تخص النساء، وختمت بأحكام تخص النساء"(٣)، وكذلك سميت سورة الطلاق بسورة النساء الصغرى؛ لتضمنها

---

(١) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، (د. ط. ب. ت)، (١٠١٦/٢)، (٥٤٥/١).

(٢) انظر: الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د. ط. ت)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (١/ ٨٤٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ، (د. ب. ط)، (٢١١/٤)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط٢، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨هـ، (٢٢٠/٤).

أحكامًا تخص النساء[١].

مكان نزولها:

اختلفوا في مكان نزولها على قولين:

الأول: أنها مكية[٢]: والدليل: أن السورة افتتحت بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [سورة النساء: ١]، وأي سورة جاء فيها لفظ الخطاب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فهي مكية[٣].

والثاني: أنها مدنية[٤]: والدليل: ما روي فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ[٥] عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ: ((وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ))[٦]، أي: رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَعنِي: قَدْ بَنَى بِهَا.

إلا آية واحدة نزلت في مكة بشأن عثمان بن طلحة، حينما أراد النبي ﷺ أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة ويعطيها لعمه العباس[٧]، فنزل قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [سورة النساء: ٥٨].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط١، دار نهضة، القاهرة، ١٩٩٨م، (٨/٣).

(٢) ينسب القول لعطيّة عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وجابر بن زيد، وقتادة، انظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (٣٦٦/١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٤/ ٢١٢).

(٤) ينسب القول لعطاء عن ابن عباس ومقاتل، انظر: زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (٣٦٦/١).

(٥) محمد بن إسماعيل البخاري، كان ورعا زاهداً كثير الصيام والقيام لله تعالى، ما كتب حديثاً إلا وصلى بعدها شكراً لله تعالى، ولد سنة مائة وأربع وتسعين، وتوفي ﵁ سنة مائتين وست وخمسين ﵀، من مصنفاته: (الجامع الصحيح)، انظر: تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (٢/ ٥)، سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م، (د. ط)، (١٠/ ٧٩)، .

(٦) صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، (د. ب)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، (١٨٥/٦)، رقم (٤٩٩٣).

(٧) انظر: الجامع لإحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (١/٥)، زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (٣٦٦/١).

وَالصَّحِيحُ: القول الثاني: والدليل:

١- حديث عائشة ﵂ في صحيح البخاري.

٢- مجيء الخطاب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ في السورة لا يدل على أنها مكية، فسورة النساء جاء لفظ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فيها أربع مرات في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء:١]، وقوله: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة النساء:١٣٣]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾﴾ [سورة النساء:١٧٠]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [سورة النساء:١٧٤]، وهي مدنية، وكذلك جاء في سورة البقرة لفظ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ مرتين في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة البقرة:٢١]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [سورة البقرة:١٦٨]، وهي مدنية أيضاً.

كما أن الخطاب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ لا يدل على أن السورة مدنية؛ فسورة الحج مكية، وفيها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [سورة الحج:٧٧]، فليس هذا دليل

للاحتجاج به[1].

٣- قال القرطبي -رحمه الله-[2]: "وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا بَنَى بِعَائِشَةَ بِالْمَدِينَةِ، وَمَنْ تَبَيَّنَ أَحْكَامَهَا عَلِمَ أَنَّهَا مَدَنِيَّةٌ لَا شَكَّ فِيهَا، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ مَكِّيٌّ حَيْثُ وَقَعَ فَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، فَإِنَّ الْبَقَرَةَ مَدَنِيَّةٌ[3]، وَفِيهَا قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [سورة البقرة: ٢١]، والثاني: قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [سورة البقرة: ١٦٨].

٤- أن الألف واللام الداخلة في لفظ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ تفيد الاستغراق، فيكون الخطاب لجميع المكلفين[4]، فالخطاب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يعم جميع المكلفين[5]، وعلى هذا الاعتبار لا يصلح أن يكون لفظ الناس دليلاً على أن السورة مكية.

٥- أنها حملت الطابع المدني؛ فآياتها تحدثت عن التشريع والحلال والحرام[6]، وتفاصيل الأحكام والقوانين المدنية والحربية والمعاملات؛ باعتبار أن أهلها من أهل الإيمان،

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ط١، دار إحياء الكتب العربي، ١٩٥٧م، (د. ب)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (١/١٩٠).

(٢) مُحَمَّد بْن أَحْمَد بن أبي بكر بن فَرْح، أبو عَبْد الله الأَنْصَارِيّ، الخَزْرَجِيّ، القُرْطُبِيّ، كان أمام متبحر في العلم، مات بمنية سنة ستمائة وإحدى وسبعين له عدة مصنفات: (الأَسْنَى فِي الأسماء الحُسْنى)، (التذكرة)، (الجامع لأحكام القرآن الكريم)، انظر: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قَايْماز الذهبي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م، (د. ب)، تحقيق: بشار عوّاد معروف، (١٥/٢٢٩)، طبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ، تحقيق: علي محمد عمر، ص٩٢، الأعلام، محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، (د. ب)، (٥/ ٣٢٢).

(٣) الجامع لإحكام القرآن، القرطبي، (١/٥)، انظر: فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ، (١/٤٧٨).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: عادل أحمد عبد المقصود وعلي محمد عوض، (٦/ ١٣٩).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٤/٢١٢).

(٦) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، (٣/٧).

ومعلوم أن من سمات السور المكية: أن تتحدث آياتها عن العقيدة، وإثبات الوحدانية وقصص الأنبياء وغيرها...[1]؛ باعتبار أن أهلها ما زالوا من أهل الشرك.

٦- أن الذي اعتمده العلماء واشتهر بينهم من أن المكي: ما نزل قبل الهجرة، وإن كان نزوله بغير مكة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة إلى المدينة وإن كان نزوله بمكة، وعلى هذا تكون آية: ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [سورة النساء: ٥٨]، مدنية مع أنها نزلت بمكة[2].

عدد آياتها:

قيل في عدد آياتها أنها: مائة وخمسة وسبعون، وقيل: مائة وست وسبعون، وقيل: مائة وسبعة وسبعون[3]، والسبب في تعدد أقوالهم، أن علماء الكوفة اعتبروا قوله تعالى: ﴿أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ آية، فصارت مائة وست وسبعون، ووافق علماء الشام علماء الكوفة في قولهم، واعتبروا قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٧٣] آية، فصارت مائة وسبعة وسبعون، وأما علماء الحجاز والبصريون رأوا أن ما ذكره الكوفيون والشاميون هي جزء من آية وليست آية كاملة[4].

---

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقان، ط٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د. ت. ب)، (٢٠٢/١).

(٢) انظر: المرجع السابق، (١٩٥/١).

(٣) انظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ، (د. ط)، (٢٧٨/١)، روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار الفكر، بيروت، (د. ط. ت)، (١٥٩/٢)، محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (٣/٣)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢١٣/٤).

(٤) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (٣٨٩/٢)، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، (٧/٣).

والقول الأقرب إلى الصواب في عدد آياتها أنها: مائة وست وسبعون آية، وهو ما عليه أكثر المفسرون.

مناسبة سورة النساء لما قبلها:

هناك أوجه ترابط بين سورتي النساء وآل عمران من النواحي الأتية:

- دعت سورة آل عمران إلى التوحيد الذي هو الأساس في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾ [سورة آل عمران: ٢]، وهذا ما بينته سورة النساء في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ۝٨٧﴾ [سورة النساء: ٨٧]، ثم احتيج بعد الدعوة إلى التوحيد الاجتماع عليه، فجاءت سورة النساء داعية إلى ذلك الاجتماع والتواصل والتعاطف بنداء عام لكل الناس في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١﴾ [سورة النساء:١]، ولما كانت أمهات الفضائل في العلم والشجاعة والعدل والعفة فقد بينت سورة آل عمران العلم والشجاعة في قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [سورة آل عمران:٧]، وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ۝١٥٩﴾ [سورة آل عمران:١٥٩]، وبينت سورة النساء الفضيلتين الباقيتين، وهما: العدل والعفة في قوله: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣﴾ [سورة النساء:٣]، وقوله: ﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ﴾ [سورة النساء:٢٥]، مع التأكيد على الخصلتين الأخريين حسبما تدعو إليه المناسبة(١).

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ط. ت)، (٥/ ١٧١ – ١٧٢).

- تضمنت سورة آل عمران الحديث عن نزول القرآن على النبي ﷺ مصدقًا لما قبله من الكتب السماوية الأخرى، كقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ٣]، وبينت هذا سورة النساء في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [سورة النساء: ١٣٦].

- ردت سورة آل عمران على أهل الكتاب فيما زعموه في عيسى عليه السلام من ألوهيته، وأثبتت الآية مولده، وبأنه رسول إلى بني إسرائيل مؤيد بالمعجزات، في قوله: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ٤٧]، وقوله: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة آل عمران: ٤٩]، وقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة آل عمران: ٥٩]، وكذلك وضحت الآية من سورة النساء حقيقة عيسى عليه السلام، وأنه رسول الله في قوله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [سورة النساء: ١٧١].

- بينت سورة آل عمران بأن عيسى رُفِع إلى الله في قوله: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٥٥﴾ [سورة آل عمران: ٥٥]، وجاءت سورة النساء مؤكدة تلك الحقيقة في قوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨﴾ [سورة النساء: ١٥٨].

- بينت سورة آل عمران شأن المنافقين، ودأبهم في تثبيط همم المسلمين، في قوله: ﴿إِذۡ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمۡ أَن تَفۡشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٢٢﴾ [سورة آل عمران: ١٢٢]، كما بينت سورة النساء أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم أشدُ خطرًا من الكفار في قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [سورة النساء: ١٤٥]، وهم في جهنم سواء، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾ [سورة النساء: ١٤٠].

- في سورة آل عمران نزلت ستون آية في الحديث عن غزوة أحد، وكذلك في سورة النساء "نزول آية: ﴿* فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾ [سورة النساء: ٨٨] بمناسبة غزوة أحد(١)"، ففي كلتا السورتين محاجة لأهل الكتاب، وبيان لأحوال المنافقين، وتفصيل لأحكام القتال(٢).

- وضحت سورة آل عمران الموت، وأنه نهاية الحياة الدنيا في قوله: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥]، وكذلك بينت سورة النساء أن الموت آت لا محالة منه ولا مهرب: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ [سورة النساء: ٧٨].

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي، (٤/٢٢٠).

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، (٣/٨).

- اختتمت سورة آل عمران بالأمر بالتقوى للمؤمنين في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾ [سورة آل عمران: ٢٠٠]؛ فالتقوى أصل في قبول أعمالهم، وابتدأت سورة النساء بالأمر بالتقوى للناس أجمعين(١) في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [سورة النساء: ١]؛ فالموجب لتقواه أنه خلقهم ورباهم بنعمة العظيمة، ومن جملتها الخلق، فكان الترابط بين سورتي آل عمران والنساء شديد، وذلك من أقوى وجوه المناسبات في ترتيب السور(٢).

مناسبة سورة النساء لما بعدها:

- "أَنَّ مُعْظَمَ سُورَةِ الْمَائِدَةِ فِي مُحَاجَّةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، مَعَ شَيْءٍ مِنْ ذِكْرِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَهُوَ مَا تَكَرَّرَ فِي سُورَةِ النِّسَاءِ..، فَهُوَ أَقْوَى الْمُنَاسَبَاتِ بَيْنَ السُّورَتَيْنِ، كَأَنَّ مَا جَاءَ مِنْهُ فِي سُورَةِ النساء مُتَمِّمٌ وَمُكَمِّلٌ لِمَا قَبْلَهَا، وَفِي كُلٍّ مِنَ السُّورَتَيْنِ طَائِفَةٌ مِنَ الْأَحْكَامِ الْعَمَلِيَّةِ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمعاملات، مثل: آيَتَا التَّيَمُّمِ وَالْوُضُوءِ، وَحُكْمُ حِلِّ الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، وَزَادَ فِي الْمَائِدَةِ حِلُّ الْمُحْصَنَاتِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَكَانَ مُتَمِّمًا لِأَحْكَامِ النِّكَاحِ فِي النِّسَاءِ، وَكذلك الْأَمْرُ بِالْقِيَامِ بِالْقِسْطِ وَالشَّهَادَةُ بِالْعَدْلِ مِنْ غَيْرِ مُحَابَاةٍ لِأَحَدٍ، وَكَذَا الْوَصِيَّةُ بِالتَّقْوَى.

- وَمِنْ لَطَائِفِ التَّنَاسُبِ فِيهِمَا، أَنَّ سُورَةَ النِّسَاءِ مَهَّدَتِ السَّبِيلَ لِتَحْرِيمِ الْخَمْرِ، وَسُورَةَ الْمَائِدَةِ حَرَّمَتْهَا الْبَتَّةَ، فَكَانَتْ مُتَمِّمَةً لِشَيْءٍ فِيمَا قَبْلَهَا، وَكذلك انْفَرَدَتْ سُورَةُ الْمَائِدَةِ بِأَحْكَامٍ قَلِيلَةٍ فِي الطَّعَامِ وَالصَّيْدِ وَالْإِحْرَامِ، وَحُكْمِ الْبُغَاةِ الْمُفْسِدِينَ، وَحَدِّ السَّارِقِ، وَكَفَّارَةِ الْيَمِينِ..، كَمَا انْفَرَدَتِ النِّسَاءُ بِأَحْكَامِهِنَّ وَأَحْكَامِ الْإِرْثِ وَالْقِتَالِ"(٣)، وورد في سورة النساء الحديث عن تحريف

---

(١) التفسير المنير، للزحيلي، (٢١٩/٤).

(٢) انظر: روح المعاني، الألوسي، (٣٨٩/٢)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، (د. ب)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ص١٦٣.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، (د. ط. ب)، (٩٧/٦) بتصرف، انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٧٣/٦).

اليهود لكلام النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [سورة النساء: ٤٦]، وجاءت سورة المائدة مبينة أن هذا دأبهم وذاك أنهم كانوا يقومون بتغيير كلام ربهم الذي أنزله على موسى عليه السلام وهو التوراة، ويقومون بكتابة غير الذي أنزل(١)، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة المائدة: ١٣].

- "أن سورة النساء قد اشتملت على عدة عقود صريحَة وضمنيَّة، فالصريح عقود الانكحة وعقد الصداق، وعقد الحلف، وعقد المعاهدة والأمان، والضمني عقد الوصية والوديعة والوكالة والعارية والإجارة، وغير ذلك الداخل في عموم قوله تعالى: ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء: ٥٨]، فناسب أن تعقب بسورة مفتتحة بالأمر بالوفاء بالعقود، فكأنه قيل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ۚ﴾ [سورة المائدة: ١]، التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمت"(٢).

- دعت سورة النساء إلى ضرورة الإيمان بالقرآن الذي أنزل على محمد ﷺ، وبكل الكتب السماوية، وبينت سلامة القرآن من التحريف في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [سورة

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، (د. ب)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (١٢٩/١٠).
(٢) روح المعاني، الألوسي، (٢٢١/٣).

النساء: ١٣٦]، وقوله تعالى في سلامة القرآن من التحريف: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء: ٨٢]، فناسب ذكر سورة المائدة بأن القرآن مهيمن على الكتب السماوية السابقة، فقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء: ٨٢].

- بينت سورة النساء القول الحق في شان عيسى عليه السلام بأنه عبد الله ورسوله، ونهت عن ادعاء ألوهيته، ونزهت الله عن اتخاذ الولد، وأقرت بعبودية عيسى لله تعالى في قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ ۚ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [سورة النساء: ١٧١]، وقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة النساء: ١٧٢]، وحكمت سورة المائدة بكفر كل من ادعى ألوهيته في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [سورة المائدة: ٧٢]، وقال: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة المائدة: ٧٣].

- ختمت سورة النساء بذكر اسم من أسماء الله الحسنى، واختتمت سورة المائدة بذكر صفة من صفات الله، وهذا دليل على اهتمام السورتين بتوحيد الاسماء والصفات، فقال في سورة النساء ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ١٧٦﴾ [سورة النساء: ١٧٦]، وفي سورة المائدة بقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٢٠﴾ [سورة المائدة: ١٢٠].

ثالثاً: أهم القضايا العقدية في السورة:

تضمنت سورة النساء الحديث عن قضايا عقدية عديدة أوردها فيما يلي:

- توحيد الربوبية: وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [سورة النساء: ١].

- توحيد الألوهية: في قوله تعالى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [سورة النساء: ٣٦].

- توحيد الأسماء والصفات: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ٣٥﴾ [سورة النساء: ٣٥].

- الإيمان بالكتب السماوية: كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [سورة النساء: ١٣٦].

- بيان الكفر بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر: في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [سورة النساء: ١٣٦].

- الإيمان بالأنبياء والرسل: كما في قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ﴾ [سورة

النساء:١٧١]، وقوله تعالى: ﴿* إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [سورة النساء:١٦٣-١٦٤].

- نصت على نبوة العديد من الأنبياء والرسل، والباقي اكتفت الإشارة إليهم: في قوله تعالى: وقوله تعالى: ﴿* إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [سورة النساء:١٦٣-١٦٤].

- عقائد اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام: كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧﴾ [سورة النساء:١٥٧]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [سورة النساء:١٧١].

- دلائل نبوة محمد ﷺ: في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [سورة النساء:١١٣].

- من أعمال وصفات الملائكة: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النساء:٩٧]، وقوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [سورة النساء:١٦٦]، وقوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾ [سورة النساء:١٧٢].

- وسائل الشيطان: في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة النساء:١١٨-١٢٠].

- ما يتعلق بالقضاء والقدر من الهداية والضلال: في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ [سورة النساء:١٣٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة النساء:١٦٧].

- اليوم الآخر: في قوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة النساء:١٣٤].

- ما يتعلق باليوم الآخر من الموت والحشر والجنة والنار: **فالموت:** كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة النساء:١٠٠]، **والحشر:** في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ

حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [سورة النساء:٨٧]، **والجنة**: في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النساء:١٣]، **والنار**: في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [سورة النساء:١٤].

الفصل الأول:
قضايا التوحيد

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف التوحيد وأنواعه، وبيان توحيد الربوبية في السورة.
- المبحث الثاني: توحيد العبودية.
- المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات.

المبحث الأول:

تعريف التوحيد وأنواعه وبيان توحيد الربوبية في السورة

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: تعريف التوحيد وأنواعه.
- المطلب الثاني: توحيد الربوبية ودلالة السورة عليه.

المطلب الأول: تعريف التوحيد وأنواعه.

أولاً: تعريف التوحيد:

التوحيد في اللغة:

مشتق من وَحّدَ الشيء إذا جعله واحدًا، فهو مصدر وحد يوحد، ووحد الشيء جعله مفردًا، والله تفرد بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته(١).

التوحيد في الاصطلاح:

هو: "إفراد الله –تعالى– بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات"(٢).

فالتوحيد أن يوحد العبد ربه في الخلق والرزق، وكل ما يتعلق بربوبيته، وأن يفرد الله كذلك في الألوهية فيجعل العبادة له وحده، وأن يصف الله ويسميه كما وصف وسمى به نفسه.

ثانياً: أنواع التوحيد:

من العلماء من جعل التوحيد نوعان هما:

١- توحيد المعرفة والإثبات.

٢- وتوحيد القصد والطلب.

وقد ورد هذا التقسيم في كلام أبي حنيفة(٣) في قوله: "والله تعالى يدعى من أعلى لا من

---

(١) انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، (١٠١٦/٢)، الكليات، الكفوي، (٩٣٣/١)، القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، (٣٧٤/١).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، ط٢، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢٤هـ، (١١/١).

(٣) النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه، أبو حنيفة، الأمام الجليل، كان فقيهاً ورعاً عاملاً تقياً، دائم الخشوع لله تعالى، وكان خزّازاً يبيع الخز، من المصنفات التي تنسب إليه: (الفقه الأبسط)، (الفقه الأكبر)، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، دار صادر، بيروت، (د. ط. ت)، تحقيق: إحسان عباس، (٤٠٥/٥)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٣٩٠/٦).

أسفل؛ لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء"[(١)].

وكلامه يتضمن أن التوحيد نوعان: توحيد المعرفة والإثبات المتضمن في توحيد الربوبية، وتوحيد القصد والطلب المتضمن في توحيد والألوهية.

وهو ما سار عليه الإمام الطحاوي[(٢)] بقوله: "نقول معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره"[(٣)].

ومنهم من جعله ثلاثة أنواع[(٤)]، وهي:

١- توحيد الربوبية.

٢- توحيد العبودية.

٣- توحيد الأسماء والصفات.

---

(١) الفقه الأكبر، نسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، ط١، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ص١٠٥، انظر: أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، السعودية، (د. ط. ت)، ص٢٠٨.

(٢) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزديّ، أبو جعفر الطحاوي، فقيه انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، وتفقه على مذهب الشافعيّ، ثم صار حنفيا، مات سنة مائتين وتسعة وثلاثين ﵀، من مصنفاته: (شرح معاني الآثار)، (العقيدة الطحاوية)، (أحكام القرآن)، (المختصر)، (بيان مشكل الآثار)، انظر: لسان الميزان، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ط١، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢م، (د. ب)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، (٦٢٠/١)، تاج التراجم، زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا السودوني، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، ص١٠٠، الأعلام، الزركلي، (٢٠٦/١).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ، ص٣١، انظر: شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، ط١، دار السلام، مصر، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، تحقيق: جماعة من العلماء، ص٨٩، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ط١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر، (١/ ٩٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، السعودية، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م، (د. ط)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (١/١)، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، ط٢، مؤسسة الخافقين، دمشق، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، (١٢٨/١)، الرسالة المفيدة، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (د. ط. ت. ب)، تحقيق: محمد بن عبد العزيز المانع، ص٣٩.

فمن جعل أنواع التوحيد اثنين فقد أجمل، ومن جعله ثلاثة فقد فصل، ولا منافاة بين الطرفين، بمعنى: أن توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات يتداخلان تداخلًا ضمنيًا في توحيد المعرفة والإثبات، أي: معرفة الله تعالى، وإثبات الأسماء والصفات التي أثبتها لنفسه في كتابه، أو أثبتها له رسوله ﷺ في سنته، وتوحيد القصد والطلب، هو توحيد الألوهية.

المطلب الثاني: توحيد الربوبية[1] ودلالة السورة عليه.

في هذا المطلب سنفصل الآتي: أولاً: التعرف على معنى الربوبية من حيث اللغة والاصطلاح، ثانياً: دلالة السورة على توحيد الربوبية.

أولاً: تعريف الربوبية:

الرب في اللغة:

يُطْلقُ الرب فِي اللُّغة عَلَى: المالِك، وَالسَّيِّدِ، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمُنْعِم، وَلَا يُطلَقُ غيرَ مُضاف إلاَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِذَا أُطلِقَ عَلَى غَيره أُضِيف، فَيُقَالُ رَبُّ كَذَا..، وأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [سورة يوسف: ٤٢]، فَإِنَّهُ خَاطَبَهُ عَلَى الْمُتَعَارَفِ عِنْدَهُمْ، وَعَلَى مَا كَانُوا يُسَمُّونهم بِهِ، وَمِثْلُهُ قولُ مُوسَى ﷺ للسَّامِرِي: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ [سورة طه: ٩٧]، أَيِ الَّذِي اتخَذْته إِلَهًا، وَأَمَّا الْحَدِيثُ فِي ضالَّة الْإِبِلِ: ((حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا))[2]، فَإِنَّ البَهَائم غيرُ متعَبَّدة وَلَا مُخَاطَبة، فَهِيَ بمنزِلة الأموالِ الَّتِي يَجُوز إضافَةُ مالِكيها إِلَيْهَا، وجَعْلُهم أَرْبَاباً لهَا.

وقيل: "رب كل شيء: مالكه، والربُّ: اسم من أسماء الله ﷻ، ولا يقال في غيره إلا بالإضافة...، والرَبَّانِيُّ: المُتَأَلِّهُ العارف بالله تعالى. كقوله ﷻ: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [سورة آل عمران: ٧٩]: ورَبَبْتُ القوم: سُسْتُهُمْ، أي كُنْتُ فوقهم...، ورَبَّ الضَيْعَةِ، أي: أصلحها وأتَمَّها، ورَبَّ فلان ولده يَرُبُّهُ رَبًّا، ورَبَّبَهُ وتَرَبَّبَهُ، بمعنىً أي رَبَّاهُ"[3].

---

(١) بدأت بذكر توحيد الربوبية حسب ترتيب الآيات، فقد بدأت السورة بتوحيد الربوبية؛ ولأن أهل العلم بدأوا بتوحيد الربوبية في كتبهم.

(٢) صحيح البخاري، كتاب اللقطة، باب إذا لم يوجد صاحب اللقطة بعد سنة فهي لمن وجدها، (١٢٤/٣)، رقم (٢٤٢٩)، صحيح مسلم، باب كتاب اللقطة، (١٣٤٦/٣)، رقم (١٧٢٢)، واللفظ للبخاري.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ط٤، دار العلم، بيروت، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (١٣٠/١)، انظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز أباد، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، (٨٨/١)، لسان العرب، لابن منظور، (٣٩٩/١).

الرب في الاصطلاح:

عرف العلماء الرب بأنه: "لَا خَالِقَ وَلَا رَازِقَ، وَلَا مُعْطِيَ وَلَا مَانِعَ، وَلَا مُمِيتَ وَلَا مُحْيِيَ، وَلَا مُدَبِّرَ لِأَمْرِ الْمَمْلَكَةِ ظَاهِرًا وبَاطِنًا غَيْرُهُ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ"(١).

وعُرِفَ بأنه: "توحيد الله بجميع أفعاله، من الخلق والرزق والتدبير والتصرف وإنزال المطر والإماتة والإحياء وتسخير جميع الأفلاك وإمساك السماوات والأرض من الزوال"(٢).

إذًا: كلمة الرب تعني: أنه السيد المدبر والمالك لهذا الكون، الذي ما شاء كان في هذا الكون وما لم يشأ لم يكن.

ثانياً: دلالة سورة النساء على توحيد الربوبية:

لقد ذكر الله تعالى في سورة النساء الكثير من دلائل توحيد الربوبية، حيث بين الله ﷻ بأنه رب الناس ومالكهم، وبين بأنه خلق الناس من نفس واحدة، أبوهم آدم، وأُمهم حوى، وبين لهم بأنه الهادي لما ينفعهم، المخفف عنهم من تكاليف الشرعية رحمة بهم، الذي يهدي من يستحق الهداية برحمته وفضله، ويضل من يستحق الضلال بعدله وحكمته، وهو الذي يعفو عن ما بدر منهم من معاصي بحكمته لمن يستحق منهم المغفرة، وبين سبحانه بإن الغنى بيده وحده، وهو القادر على هلاكهم في حالة عصيانهم، والمجيء بأقوام آخرين يؤمنون به، وإلى بيان ذلك مرتبة حسب الآيات:

١- رب الناس ومالكهم:

دلت سورة النساء على أن الله ﷻ رب الناس وسيدهم ومالك شؤونهم ومربيهم بالنعم، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [سورة النساء: ١]، فأمر الله عباده بتقواه، فهو خالقهم وسيدهم ورازقهم(٣)، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ

---

(١) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، (٤٧١/٣).

(٢) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، عبد الرحمن بن محمد بن خلف الدوسري، ط١، مكتبة دار الأرقم، الكويت، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، (١٦/١).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص١٦٣.

وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ [سورة النساء: ١٧٠]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ [سورة النساء: ١٧٤].

فأوضحت الآيتان أن من نعم الله على عباده بعثة محمد عليه الصلاة والسلام رحمة لهم، وهذه أكبر نعمة أنعم بها عليهم.

٢- خلق الناس من نفس واحدة:

دلت سورة النساء على مسألة خلق الله تعالى للناس من نفس واحدة، وهي: نفس آدم عليه السلام، وخلق حوى من ضلع آدم، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ [سورة النساء: ١]، "وصف تعالى نفسه بأنه المتوحِّد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، مُعَرِّفًا عباده كيف كان مُبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبِّهَهم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة، وأن بعضهم من بعض"(١).

والشاهد: خلق الناس من نفس آدم(٢)، وكذلك خلقت حوى من ضلع آدم، قال ابن جرير(٣): "يعني: حواء خلقت من آدم، من ضِلَع من أضلاعه"(٤).

---

(١) جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٥١٢/٧).

(٢) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٥١٤/٧)، تفسير القرآن، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، ط١، دار المآثر، المدينة النبوية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، تحقيق: سعد بن محمد السعد، (٥٤٧/٢)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد بن محمد الواحدي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٥هـ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ص٢٥١.

(٣) أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، كان إمامًا في الحديث والتفسير والفقه والتاريخ، وكان من المجتهدين لم يقلد أحدًا، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، بآمل طبرستان، وتوفي سنة عشر وثلاثمائة ببغداد، رحمه الله، له مصنفات عديدة، منها: (جامع البيان في التفسير)، (اختلاف الفقهاء)، (المسترشد في علوم الدين)، (جزء في الاعتقاد)، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، (١٩١/٤)، الأعلام، الزركلي، (٦٩/٦).

(٤) جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٥١٥/٧)، انظر: بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو ليث، (د. ط. ب. ن. ت)، (١/ ٢٧٨).

ومسألة الخلق تدل دلالة كبيرة على وحدانية الله تعالى، فلا خالق إلا هو سبحانه، وهذا ما أكدته سورة النساء.

"فإنشاء جميع البشر على كثرتهم الهائلة من نفس واحدة آية بينة على قدرة الله وعلمه وحكمته ووحدانيته؛ وذلك من نعم الله تعالى على عباده، فيجب عليهم أن يشكروا تلك النعمة، وهي: خروجهم من العدم إلى الوجود، ويفردوه سبحانه بالعبادة وحده لا شريك له"(١).

وبين الله سبحانه بأن أصل مادة خلق الإنسان من طين، فقد خلق أبو البشر من طين وخلق البشر من آدم عليه السلام(٢)، في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ۝٢﴾ [سورة الأنعام: ٢].

٣- هداية الناس:

ذكرت سورة النساء ما يدل على الهداية، وهي: من أفعال الله الدالة على ربوبيته وحده، في قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [سورة النساء: ٢٦]، أي: "يهديكم مناهج من كان قبلكم من الأنبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم؛ لتقتدوا بهم"(٣).

وهذه الهداية لا يقدر عليها إلا الله تعالى وحده، فالله تعالى يهدي من عباده من يستحق الهداية، قال تعالى: ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٦٨﴾ [سورة النساء:٦٨].

فالشاهد: أن الهداية بيد الله تعالى، يهدي بها من يشاء من عباده.

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي بن عايض حسن الشيخ، (١٤٠٦هـ)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية الدراسات الإسلامية، الرياض – المملكة العربية السعودية، ص٤٨٣ – ٤٨٤.

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي أبو محمد المشهور بابن عطية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (٢٦٦/٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (١٥٣/٢).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، حمود بن عمرو الزمخشري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ (٥٠١/١).

٤- **التخفيف عن أمة محمد من تكاليف الشرع**:

كانت إرادة الله تعالى التخفيف على هذه الأمة، والتسهيل عليها من أحكام الشريعة رحمة بهم، وهذا التخفيف دال على وحدانية الله وربوبيته(١)، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [سورة النساء: ٢٨].

٥- **الضلال**:

والضلال كالهداية، فالله يهدي من يشاء من عباده برحمته، ويضل من يشاء من عباده بحكمته، وقد نصت سورة النساء على الضلال كما نصت على الهداية، في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨﴾ [سورة النساء: ٨٨]، فمن يخذله الله تعالى عن دينه وإتباع أمره ومنهجه والإقرار بما جاء به محمد ﷺ، فلن تجد له طريقًا تهديه فيها إلى إدراك مراد الله تعالى منه(٢).

وفي هذه الآية دليل على أن الأفعال خلق لله تعالى، وكسب للعبد، فالله -تبارك وتعالى- الذي خلق الهداية وخلق الضلال، "﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾، أي: من يكتب عليه في لوحه المحفوظ، وقدره المحتوم، أن يكون ضالاً، فلن يجد أحد سبيلا إلى هدايته؛ لأن قَدَر الله تعالى لَا يتغير، وقضاءه لَا يتبدل، وحكمه لَا يتخلف، فمن حاول هداية المنافقين الذين حكم عليهم بالضلال، فكأنما يحارب قدر الله ﷻ"(٣).

لذلك "الله سبحانه إذا أضل عبدًا لم يكن لأحد سبيل إلى هدايته"(٤).

---

(١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، أبو القاسم، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ، تحقيق: عبد الله الخالدي، (١٨٨/١).

(٢) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٨ /١٦)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (٢ /٨٨).

(٣) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، (د. ط. ت. ب)، (١٧١٩/٤).

(٤) شفاء العليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الدمشقي شمس الدين ابن القيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، (د. ط)، ص٨١.

٦- **المشيئة**:

والمشيئة من أفعال الله تعالى، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وقد دلت عليها السورة في قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٣]، والمعنى: "إن يشأ الله تعالى أيها الناس إفناءكم ويأت بآخرين، فإنه ﷻ يفعل؛ لأنه على ذلك قادر قدرة مطلقة لَا يحدها حد"(١).

فلو شاء الله تعالى وأراد أن يعدمكم بالكلية، ويأت بغيركم أطوع له منكم؛ لكان ما أراد، فمن قدر على خلق السماوات والأرض كان على تبديل خلق آخر بهم أقدر، وليس هذا بمتعسر، بل هو هين على الله يسير، وهو قادر على جميع الممكنات، وأمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون(٢).

فالشاهد: قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾، وهذه الآية تدل على مشيئة الله ﷻ.

قال ابن تيمية(٣): "وَمَنْ قَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، فَقَدْ أَصَابَ، وَكُلَّمَا تَقَدَّمَ فَقَدْ كَانَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ قَطْعًا؛ فَاَللَّهُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِمَشِيئَتِهِ قَطْعًا، وَأَرْسَلَ مُحَمَّدًا ﷺ بِمَشِيئَتِهِ قَطْعًا، وَالْإِنْسَانُ الْمَوْجُودُ خَلَقَهُ اللَّهُ بِمَشِيئَتِهِ قَطْعًا، وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُغَيِّرَ الْمَخْلُوقَ مِنْ حَالٍ إلَى حَالٍ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ، فَمَا خَلَقَهُ فَقَدْ كَانَ بِمَشِيئَتِهِ قَطْعًا، وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ يُغَيِّرَهُ غَيَّرَهُ بِمَشِيئَتِهِ قَطْعًا"(٤).

---

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (١٨٩١/٤).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط. ت)، (٤١/٥)، روح البيان، مصطفى الأستانبولي، (٤ /٤١٠).

(٣) تقي الدين أَحْمد بن عبد الْحَلِيم بن عبد السَّلَام بن عبد الله بن أبي الْقَاسم الْحَرَّانِي ابْن تَيْمِية شيخ الإسلام، كان فقيهًا ومفسرًا، ولد بحران عَاشر ربيع الأول سنة إِحْدَى وَسِتِّينَ وَتُوفِّي سنة سبع مائَة وثمان وعشرين هجرية ﷺ، له مصنفات عديدة منها: (مجموع الفتاوى)، (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)، (الصارم المسلول على شاتم الرسول)، انظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠م، (د. ط)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (١٣/٧)، ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ط١، دار ابن الأثير، الكويت، ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، ص٢١، الأعلام، الزركلي، (١٤٤/١).

(٤) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٦٢/٨).

وقال ابن القيم[١]: "وليس في الوجود موجب ومقتض إلا مشيئة الله وحده، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن"[٢].

(١) مُحَمَّد بن أَبي بكر بن أَيُّوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي شمس الدَّين ابْن قيم الجوزية، كان كثير العبادة، تبحر في معرفة مذهب علم السلف، قام بتهذيب ونشر كتب شيخه ابن تيمية، ألف تصانيف كثيرة، منها: (أعلام الموقعين)، (بدائع الفوائد)، (مدارج السالكين)، (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية)، (روضة المحبين)، انظر: الرد الوافر، محمد بن عبد الله بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٣هـ، تحقيق: زهير الشاويش، ص٦٩، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، (د. ط. ت)، (١٤٣/٢)، الأعلام، الزركلي، (٥٦/٦).

(٢) شفاء العليل، ابن القيم، ص٤٣.

المبحث الثاني:

توحيد العبودية

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: توحيد العبودية، وبيان الجبت والطاغوت اللذين أوجب الله على عبادة اجتنابهما.
- المطلب الثاني: الشرك الوارد في السورة.

المطلب الأول: توحيد العبودية[1]، وبيان الجبت والطاغوت اللذين أوجب الله على عبادة اجتنابهما.

في هذا المطلب سيتم التعرف على أولاً: معنى توحيد العبادة، وثانيًا: دلالة السورة عليه، ثالثاً: بيان الجبت والطاغوت اللذين أوجب الله على عبادة اجتنابهما.

أولاً: تعريف العبادة:

العبادة في اللغة:

"الطَّاعَة مَعَ الخضوع، وَيُقَال: طريقٌ مُعَبَّدٌ؛ إِذا كَانَ مذلَّلاً بِكَثْرَة الْوَطْء"[2].

العبادة في الاصطلاح:

هي: "عِبَارَةٌ عَمَّا يَجْمَعُ كَمَالَ الْمَحَبَّةِ وَالْخُضُوعِ وَالْخَوْفِ"[3].

وهي: "إفراد الله ﷻ بأفعال العباد من صلاة وصوم ونذر وخوف ورجاء وخشية وتوكل وإنابة ورهبة وخشوع وتذلل واستعانة وغيرها من أنواع العبادة"[4].

وقد ذكر ابن تيمية كلمة جامعة في تعريف العبادة، فقال: "الْعِبَادَة هِيَ: اسم جَامع لكل مَا

---

(١) والسبب في تسمية المبحث بتوحيد العبودية؛ لأن الآيات الواردة في سورة النساء تحدثت عن العبادة، ولأن مصطلح توحيد الألوهية مصطلح متأخر.

(٢) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب، (١٣٨/٢)، انظر: المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (٦٢/٤)، لسان العرب، ابن منظور، (٢٧٣/٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ط٢، دار طيبة للنشر، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، (د. ب)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (١٣٤/١).

(٤) انظر: الحسنة والسيئة، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط. ت)، ص١٢٦، تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، محمد بن إسماعيل الصنعاني، ط١، مطبعة سفير، السعودية، ١٤٢٤هـ، تحقيق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر، ص٩، لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (١٢٩/١).

يُحِبهُ الله ويرضاه من الْأَقْوَال والأعمال الْبَاطِنَة وَالظَّاهِرَة، فَالصَّلَاة، وَالزَّكَاة، وَالصِّيَام، وَالْحج، وَصدق الحَدِيث، وَأَدَاء الْأَمَانَة، وبرّ الْوَالِدين، وصلَة الْأَرْحَام، وَالْوَفَاء بالعهود، وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْي عَن الْمُنكر، وَالْجهَاد للْكفَّار وَالْمُنَافِقِينَ، وَالْإِحْسَان للْجَار واليتيم والمسكين وَابْن السَّبِيل والمملوك من الْآدَمِيّين والبهائم، وَالدُّعَاء، وَالذكر، وَالْقِرَاءَة، وأمثال ذَلِك، من الْعِبَادَة"(١).

وهنا يتضح أن العبادة: اسم عام لكل ما يحبه الله ويرضاه، وكان على الطريقة التي يريدها، ويتحقق هذا من خلال متابعة النبي ﷺ في أقواله وأعماله.

ثانياً: دلالة سورة النساء على توحيد العبودية:

خلق الله تعالى الخلق لتحقيق معنى العبودية وإخلاصها له سبحانه، وقد تطرقت سورة النساء في تسعٍ من آياتها عن عبادة الله ﷻ، وتحقيق معنى العبودية، وهي كما يلي:

١- وجوب التوجه بالعبادة لله تبارك وتعالى من صلاة، وزكاة.

وهذا ثابت في السورة في قوله تعالى: ﴿* وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء: ٣٦]، أي: وحدوه وأخلصوا له بالعبادة من دعاء وصلاة...، وغيرها، ولا تصرفوا منها شيئًا لغير الله(٢).

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [سورة النساء:٧٧].

وكذلك قوله تعالى من السورة نفسها: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [سورة النساء:١٠٣].

فالمؤمن يتوجه بصلاته لرب العالمين، كما يخرج الزكاة في مصارفها الخاصة إرضاً لربه الذي شرعها، كما شرع عبادة الصلاة، وجعلهن ركنين أساسين من أركان الإسلام.

---

(١) العبودية، ابن تيمية، ط٧، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، تحقيق: محمد زهير الشاويش، ص٤٤.
(٢) بحر العلوم، السمرقندي، (٣٠١/١).

ولقد جعل الله تعالى لمن أقام هذه الشعيرتين الأجر العظيم في الأخرة، وهو ثابت في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [سورة النساء: ١٦٢].

ففي هذه الآية يتبين وعد الله تعالى بالأجر العظيم لمن يحقق معنى العبودية في أعماله وأفعاله، وخص الصلاة والزكاة بالذكر؛ لأنهما من أفضل الأعمال التي يتوجه العبد بهما إلى الله تعالى، "فإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هما أبرز عملين من أعمال المؤمنين، وأن الاستقامة عليهما سبب لمرضاة الله، وللأجر العظيم عنده"(١).

٢- وجوب طاعة الله وطاعة ورسوله، وأولي الأمر الذين يحكمون بما شرع الله ورسوله.

وهي متمثلة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [سورة النساء: ٥٩].

فمن خلال هذه الآية الكريمة يتبين أمر الله الذي أمر به عباده بصرف الطاعة له وحده؛ فهو واجب الطاعة.

ومن خصائص ألوهية الله سبحانه: أن يسن الشريعة للناس؛ لأن الأحقية له وحده في حياة البشر، فيما جل منها وما دق، وما كبر وما صغر ابتداءً، وأن يطيعوا رسوله بما له من صفة الرسالة، وطاعته من طاعة الله، ثم طاعة أولي الأمر من المؤمنين الذين يتحقق فيهم شرط الإيمان، وطاعتهم تبعاً لطاعة الله وطاعة رسوله في حدود المعروف المشروع من الله(٢).

وطاعة أولي الأمر مقيدة بطاعة الله وطاعة رسوله، فعن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: ((السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ط. ت)، (١٠٠٧/٣).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ط١٧، دار الشروق، بيروت، ١٤١٢هـ، (٦٩٠/٢ – ٦٩١).

سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ))[1]، وقال عبادة بن الصامت: ((بايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطنا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وأثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَلَّا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وقَالَ: إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحا، عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ))[2].

وأوضحت السورة أن من يطع الرسول في كل ما أمر ونهى؛ فقد أطاع الله الذي بعثه للناس بشيراً ونذير، في قوله تعالى من السورة: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ [سورة النساء: ٨٠].

وقد بينت الآيات من سورة النساء أن دخول الجنة سببها طاعة الله ورسوله، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [سورة النساء: ١٣-١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [سورة النساء: ٦٩].

٣- عبادة الاستغفار والدوام عليه موجب لمغفرة الله ورحمته.

لقد أكدت سورة النساء على هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾ [سورة النساء: ١١٠]، فمن توجه إلى الله تعالى بالاستغفار بعد المعصية يجد الله تواباً، كثير قبول التوبة من عباده، بهم رحيما، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ [سورة النساء: ٦٤].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، (٦٣/٩)، رقم (٧١٤٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺسترون بعدي أمور تنكرونها، (٤٧/٩)، رقم(٧٠٥٦)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الامراء في غير معصية، (١٤٧٠/٣)، رقم (١٧٠٩)، واللفظ للبخاري.

٤- ضرورة ذكر الله في كل حين من ليلٍ ونهار.

في هذا دليل على توحيد العبودية، فالله وحده المستحق لعبادة الذكر، وهذا المعنى ثابت في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾ [سورة النساء:١٠٣].

٥- عبادة التوكل على الله تعالى.

والتوكل: "هو: اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها، والركون إليها"(١).

إذن: حقيقة التوكل: الاعتماد على الله في جلب المنافع ودفع المضار، وهو من تمام الإيمان وعلاماته، ومن توكل على الله، فهو كافيه، وهو حسيبه(٢).

والتوكل ثابت في القرآن الكريم، وهو ثابت في سورة النساء في آية واحدة فقط، في قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٨١﴾ [سورة النساء:٨١]، ومثلها قوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [سورة الطلاق:٣].

فالله وحده هو المستحق للعبادة من ذكر ورجاء وخوف ومحبة ودعاء، ومنها عبادة التوكل، وفي هذا دليل على توحيد العبودية.

٦- عبادة الخشية الواردة في السورة.

والخشية مُرَادِفَةٌ لِلْخَوْفِ(٣).

وعُرِفَت الخشية بأنها: "الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه، وكمال سلطانه، لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، أي: العلماء بعظمته،

---

(١) الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، ص٨٦.

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين، ط٤، دار الثريا للنشر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، (د. ب)، ص٥٨.

(٣) معارج القبول، حافظ الحكمي، (٤٤٩/٢).

وكمال سلطانه"[1].

وَالْخَشْيَةُ أَخَصُّ مِنَ الْخَوْفِ، فَإِنَّ الْخَشْيَةَ لِلْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [سورة فاطر: ٢٨]، فَهِيَ: خَوْفٌ مَقْرُونٌ بِمَعْرِفَةٍ[2]، قَالَ النَّبي ﷺ كما في حديث عائشة رضي الله عنها: ((فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً))[3].

وقد دلت سورة النساء على معنى الخشية في آية واحدة فقط، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧٧﴾ [سورة النساء: ٧٧].

والشاهد: قوله تعالى: ﴿كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾، فالخشية هي: نوع من أنواع العبادة، لا تكون إلا لله ﷻ، والخشية المرادة منها في السورة هي: الخشية المذمومة، خشية غير الله.

ففي الآية السابقة وصف الله تعالى الذين يخشون الناس ويخافونهم كخشيته أو أشد بأنهم منافقون، وهذا الوصف لا يليق إلا بالمنافقين، فالمؤمن لا يجوز أن يكون خوفه من الناس أشد من الله تبارك وتعالى[4]، "فالمؤمن لَا يليق به أن يخاف الناس كما يخاف الله، فكيف إذا كان يخاف الناس أكثر من الله؟! وهذا لا شك عائد على خلل في الإيمان"[5].

قال القرطبي: "الْخَشْيَةُ أَصْلُهَا: طُمَأْنِينَةٌ فِي الْقَلْبِ تَبْعَثُ عَلَى التَّوَقِّي[6]، وَالْخَوْفُ: فَزَعُ الْقَلْبِ

---

(١) شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين، ص٦٠.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم، (٥٠٨/١)، انظر: حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبد الله بن صالح الفوزان، مكتبة الرشد، (د. ط. ب. ت)، (٧٩/١ و٨٩).

(٣) صحيح البخاري، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، (٢٦/٨)، رقم (٦١٠١).

(٤) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، (٢٢٤/٣).

(٥) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (١٧٧٠/٤).

(٦) التوقي: توقاه: أي اتقاه، انظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون، (٧٢٦٤/١١).

تَخِفُّ لَهُ الْأَعْضَاءُ، وَلِخِفَّةِ الْأَعْضَاءِ بِهِ سُمِّيَ خَوْفًا، وَمَعْنَى الْآيَةِ: التَّحْقِيرُ لِكُلِّ مَنْ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالْأَمْرُ بِاطِّرَاحِ أَمْرِهِمْ وَمُرَاعَاةِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى"(١).

ومن هنا يرى بعض العلماء أن "الخشية نوعان:

١- خشية الله تعالى، وهي: طمأنينة في القلوب، تبعث على التوقي مما يغضب الله تعالى، وهذه هي الخشية من الله تعالى، وقد أمرنا بها، وأن تمتلئ قلوبنا بالاطمئنان مع التوقي مما يغضب الله تعالى.

٢- والخشية الأخرى: الخوف والفزع، وهي: ما نهانا الله تعالى عنه، فنهانا أن نخاف أو أن نفزع أو أن نتوقع الأذى من هؤلاء الظالمين، وأن نخشى الله تعالى، فتمتلى نفوسنا بالاطمئنان والتقوى"(٢)، كما في وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [سورة المائدة: ٤٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [سورة التوبة: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٣٩].

والشاهد: أن الخشية المصحوبة بالتعظيم لا تكون إلا من الله، أما الخوف الطبيعي، فهذا لا بأس به(٣).

قال ابن تيمية: "فَالْعِبَادَةُ وَالِاسْتِعَانَةُ، وَمَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مِنْ: الدُّعَاءِ، وَالِاسْتِغَاثَةِ، وَالْخَشْيَةِ، وَالرَّجَاءِ، وَالْإِنَابَةِ، وَالتَّوَكُّلِ، وَالتَّوْبَةِ، وَالِاسْتِغْفَارِ، كُلُّ هَذَا لِلَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَالْعِبَادَةُ مُتَعَلِّقَةٌ

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٧٠/٢)، انظر: اللباب في علوم الكتاب، النعماني (٧٠/٣).
(٢) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، (٤٦١/١).
(٣) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية، (١٦/٣).

بِأُلُوهِيَّتِهِ، وَالِاسْتِعَانَةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِرُبُوبِيَّتِهِ "[1].

والشاهد من كلام ابن تيمية: أن من صرف عبادة الخشية أو غيرها من أنواع العبادات لغير الله فقد أشرك.

فالعبادة لا بد أن تكون خالصة لله وحده لا شريك له، كما في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٦٦﴾ [سورة الزمر: ٦٦]، "فتوحيد الألوهية (العبودية) هو: أول الدين وآخره وباطنه وظاهره، وهو: أول دعوة المرسلين وآخرها، ومن أجله خلق الله الخلق"[2]، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

وقد أخبر النبي ﷺ أصحابه أن حق الله على العباد: أن يعبوا الله وحده، ويفردوه بالعبادة، ويتجردون من الشرك، حيث قال لمعاذ: ((يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ، قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ))[3].

وقول النبي ﷺ من حديث ابن عمر: ((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ))[4].

وفي هذا الصدد يقول ابن القيم رحمه الله: "فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا خَلَقَ الْخَلْقَ لِعِبَادَتِهِ الْجَامِعَةِ لِمَحَبَّتِهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ وَطَاعَتِهِ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي خُلِقَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَهُوَ غَايَةُ الْخَلْقِ

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ص٧٤.

(٢) مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر الشيخ، ص١٨٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، (١١٤/٩)، رقم (٧٣٧٣).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ [سورة التوبة: ٥]، (١٤/١) رقم (٢٥).

وَالْأَمْرِ، وَنَفْيُهُ هُوَ الْبَاطِلُ، وَالْعَبَثُ الَّذِي نَزَّهَ اللَّهُ نَفْسَهُ عَنْهُ، وَهُوَ السُّدَى الَّذِي نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْهُ أَنْ يَتْرُكَ الْإِنْسَانَ عَلَيْهِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُحِبُّ أَنْ يُعْبَدَ وَيُطَاعَ وَلَا يَعْبَأُ بِخَلْقِهِ شَيْئًا لَوْلَا مَحَبَّتُهُمْ لَهُ، وَطَاعَتُهُمْ لَهُ، وَدُعَاؤُهُمْ لَهُ"(١).

قال ابن تيمية: "فهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعليه يقع الجزاء والثواب في الأولى والآخرة، فمن لم يأت به كان من المشركين الخالدين، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"(٢).

ولا بد لتوحيد العبودية من شرطين:

أحدها: الإخلاص لله ﷻ:

وهو: أن يقصد بعبادته وجه الله ﷻ وحده، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [سورة البينة: ٥].

الثاني: متابعة النبي ﷺ:

فالعبادة لا تتحقق بعد الإخلاص لله تعالى إلا بمتابعة النبي ﷺ، في جميع أقواله وأفعاله، وقد أمرنا الله ﷻ بذلك، في قوله: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣١﴾ [سورة آل عمران: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾ [سورة الحشر: ٧].

ثالثاً: بيان الجبت والطاغوت اللذين أوجب الله على عباده اجتنابهما:

1ـ تعريف الجبت:

الجبت لغة: الْجِيمُ وَالْبَاءُ وَالتَّاءُ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، والْجِبْتُ: السَّاحِرُ، وَيُقَالُ: الْكَاهِنُ(٣)، وقيل

---

(١) مدارج السالكين، ابن القيم، (١/٢٣٠).

(٢) الحسنة والسيئة، ابن تيمية، ص١٢٨.

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، (١ /٥٠٠).

الجبت: "كَلِمَةٌ تَقَعُ عَلَى الصَّنَمِ وَالْكَاهِنِ وَالسَّاحِرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ"(١)، وقيل: "كلُّ مَا عُبِدَ مِن دُونِ اللَّه"(٢).

الجبت في الاصطلاح: وردت معانٍ كثيرة في تفسير كلمة الجبت، منها: الصنم، السحر، الساحر، الكاهن، وأن الجبت: حيي بن أخطب(٣)، كما أن الطاغوت: كعب بن الأشرف(٤)،(٥)؛ وسميَ بذلك لنزول آية من السورة فيهما، وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [سورة النساء: ٥١].

فمجموع هذا يقتضي أن "الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ هو: كل ما عبد وأطيع من دون الله تعالى"(٦).

2ـ تعريف الطاغوت:

الطاغوت في اللغة: "عبارةٌ عن كلِّ متعدٍّ، وكلِّ معبود من دون الله، ويستعمل في الواحد والجمع، قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [سورة الزمر: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [سورة

---

(١) مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ط٥، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، (١ /٥٢)، انظر: تاج العروس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، دار الهداية، (د. ط. ب. ت)، مجموعة من المحققين، (٤٨٠/٤).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (٢١/٢).

(٣) حيي بن أخطب النظري، جاهلي، من الأشداء العتاة، كان ينعت بسيد الحاضر والبادي، أدرك الإسلام، وآذى المسلمين، فأسروه يوم قريضة، ثم قتلوه، انظر: الأعلام، الزركلي، (٢٩٢/٢).

(٤) كعب بن الأشرف الطائي اليهودي، أمه من بني النضير، وكان سيداً فيهم، أدرك الإسلام لكنه لم يسلم، أكثر من هجو النبي ﷺ، خرج إلى مكة بعد بدر، وبكى وندب قتلى قريش، وحرضهم على الانتقام من المسلمين؛ فأمر النبي ﷺ بقتله، فانطلق خمسة من الأنصار فقتلوه، انظر: معجم الشعراء، أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، ط٢، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، (٣٤٣/١)، الأعلام، الزركلي، (٢٢٥/٥).

(٥) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٤٦١/٨ – ٤٦٤)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٣٤/٢).

(٦) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٦٦/٢).

البقرة: ٢٥٧]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [سورة النساء: ٦٠].

فالطاغوت: عبارة عن كلّ متعدّ، ولما تقدّم سمّي السّاحر، والكاهن، والمارد من الجنّ، والصارف عن طريق الخير طاغوتا"(١)، وكل ظالم ومستبد يصير بظلمه طاغوتًا.

وعُرفَ الطاغوت بأنه: "طَغَى طَغْوًا مِنْ بَابِ تَعِبَ وَمِنْ بَابِ نَفَعَ لُغَةٌ أَيْضًا، فَيُقَالُ: طَغَيْتُ...، وَالطَّاغُوتُ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ، وَالِاسم الطُّغْيَانُ، وَهُوَ: مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ، وَكُلُّ شَيْءٍ جَاوَزَ الْمِقْدَارَ وَالْحَدَّ فِي الْعِصْيَانِ فَهُوَ طَاغٍ، وَأَطْغَيْتُهُ جَعَلْتُهُ طَاغِيًا، وَطَغَى السَّيْلُ ارْتَفَعَ حَتَّى جَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكَثْرَةِ.

وَالطَّاغُوتُ الشَّيْطَانُ، وَهُوَ فِي تَقْدِيرِ فَعَلُوتٍ بِفَتْحِ الْعَيْنِ، لَكِنْ قُدِّمَتْ اللَّامُ مَوْضِعَ الْعَيْنِ، وَاللَّامُ وَاوٌ مُحَرَّكَةٌ مَفْتُوحٌ مَا قَبْلَهَا، فَقُلِبَتْ أَلِفًا فَبَقِيَ فِي تَقْدِيرِ فَلَعُوتٍ، وَهُوَ مِنْ الطُّغْيَانِ"(٢).

الطاغوت في الاصطلاح: وردت معانٍ كثيرة للطاغوت منها: أن الطاغوت الشيطان، والساحر، والكاهن، والأصنام، والأوثان(٣).

وتفسير أن الطاغوت هو الشيطان قوي جداً؛ لأنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان، والتحاكم إليها(٤).

وقد عرف ابن القيم ﷺ الطاغوت بأنه: "كُلُّ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ، مِنْ: مَعْبُودٍ، أَوْ مَتْبُوعٍ، أَوْ مُطَاعٍ، فَطَاغُوتُ كُلِّ قَوْمٍ: مِنْ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِ غَيْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَعْبُدُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَوْ يَتْبَعُونَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ مِنْ اللَّهِ، أَوْ يُطِيعُونَهُ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ، فَهَذِهِ طَوَاغِيتُ الْعَالَمِ إِذَا تَأَمَّلْتَهَا وَتَأَمَّلْتَ أَحْوَالَ النَّاسِ مَعَهَا رَأَيْت أَكْثَرَهُمْ عَدَلُوا مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ إِلَى عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ، وَعَنْ التَّحَاكُمِ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ إِلَى التَّحَاكُمِ إِلَى الطَّاغُوتِ، وَعَنْ طَاعَتِهِ وَمُتَابَعَةِ رَسُولِهِ إِلَى طَاعَةِ

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ص٥٢١.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، (د. ط. ت)، (٣٧٣/٢).

(٣) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٥ /٤١٧ – ٤١٨)، المحرر الوجيز، لابن عطية، (٣٤٤/١).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (١ /٦٨٣).

الطَّاغُوتِ وَمُتَابَعَتِهِ"[1].

والذي يظهر أن هذه المعاني تدخل تحت معنى الجبت، كما تدخل تحت معنى الطاغوت، والجامع لها كل من جعل له معبودًا من دون الله، فقد اتخذ له جبتًا وطاغوتًا يعبده من غير الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

3ـ بيان الجبت والطاغوت الوارد ذكرهما في السورة:

جاء ذكر الجبت والطاغوت في سورة النساء في ثلاث آيات منها، كلها فيمن عبد الطاغوت من دون الله تعالى.

الآية الأولى: قوله –تبارك وتعالى–: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ۝٥١﴾ [سورة النساء: ٥١].

فالمراد من هذه الآية: ذكر الجبت والطاغوت، وقد اختلف المفسرون في معنى الجبت والطاغوت، فقالوا: الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان، وقالوا: الجبت: الشيطان، والطاغوت: الكاهن، وقالوا: هما: صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله، وقالوا: هما كل معبود يعبد من دون الله تعالى، وقالوا: الجبت: حيي بن أخطب، والطاغوت: كعب بن الأشرف، وذلك أنهما خرجا إلى مكة محرضين قريش على قتال النبي ﷺ، فقالت لهم قريش: أنتم أهل كتاب، ومحمد صاحب كتاب، ونحن لا نأمن مكركم إلا أن تسجدوا لهذين الصنمين اللذين لنا ففعلوا ذلك...، وقالت لهم قريش: نحن نقري الضيف، ونسقي الحجيج، ونصل الرحم...، ومحمد قد قطع الرحم، وسف ألهتنا، فنحن خير أم هو؟ فقالوا لهم: بل أنتم أهدى منه[2].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الدمشقي شمس الدين ابن القيم الجوزية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، (١ /٤٠).

(٢) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٨/٤٦٣ – ٤٦٤)، بحر العلوم، السمرقندي، (١/٣٠٩)، تفسير القرآن، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني، ط١، دار الوطن، السعودية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، (١/٤٣٦)، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، أبو محمد، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (١/٦٤٥)، المحرر الوجيز، ابن عطية، (٢/٦٦ – ٦٧)، اللباب في علوم الكتاب، النعماني، (٦/٤٢٠).

وبناءً على هذه الأقوال كلها، وإن اختلفت في الألفاظ، فهي متفقة بالمعنى، بكون الجبت والطاغوت المذكوران في هذه الآية شامل لكل ما عبد من دون الله تعالى، سواء كان إنسانًا أو حيوانًا أو صنمًا أو شجرًا.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النساء: ٦٠].

والمراد بالطاغوت المذكور في هذه الآية: أن منافقًا اختلف مع يهودي، فأراد اليهودي أن يحتكما إلى النبي ﷺ؛ لما يعرف عنه من عدله، وامتناعه عن الرشوة، وأراد المنافق أن يحتكما إلى اليهود؛ لعلمهم أنهم يرتشون، فتفقا على أن يأتيا كاهناً(١).

والآية أعم في كل من عدل عن الكتاب والسنة، ورضي بحكم الطواغيت الذي لا يستند إلى نظام ثابت، بل هو نظام قائم على الخرافات والأباطيل.

وقد بين الله ﷻ في هذه السورة: أن الإيمان لا يتم إلا بالرضى بحكم النبي ﷺ في حياته، والاحتكام إلى شرعه بعد وفاته، في قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء: ٦٥].

والطاغوت المذكور في السورة هو: التحاكم بغير الشريعة الإسلامية، والرضى بها، "ولعل المراد به هنا: الحكْمُ الذي لا يبنى على الحق، ولا يقوم على أساسه، وليس له نظام وقانون مقرر ثابت، يعرف فيه كل واحد من الخصمين ما له من حقوق، وما عليه من التزامات"(٢).

والآية السابقة توضح أن من أنواع الطواغيت: الحكم بغير شريعة الله، والرضى بها، ومن رضي بها فقد تجاوز الحد، وخرج عن دائرة الإسلام، "فإن الإيمان يقتضي: الانقياد لشرع الله

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٥ /٢٦٣ – ٢٦٤)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج٢ /ص٣٤٦)، زهرة التفاسير، أبو زهرة، (١٧٣٤/٤)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، (٥٠٠/١).

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (١٧٣٤/٤).

وتحكيمه في كل أمر من الأمور، فمَنْ زعم أنه مؤمن واختار حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك، وهذا من إضلال الشيطان إياهم"[1].

والآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [سورة النساء: ٧٦].

فالشاهد من هذه الآية: أن المؤمنين يقاتلون في سبيل رفع كلمة الله تعالى، ونصرة دينه، والكافرين يقاتلون في سبيل طاعة الشيطان[2]، ويدل على ذلك: قرينة ذكر الشيطان في الآية[3]، والشيطان يصبح طاغوتًا لاتباعه بتزيين الفساد لهم والشر.

والذي نخلص إليه: بأن الآيات الثلاث من سورة النساء قد بينت: أن الجبت والطاغوت المذكوران فيها هو: كل ما عبد من دون الله تعالى، سواء أكان أشخاصًا أو شياطين، أو الحكم بغير الشريعة الإسلامية.

4ـ أنواع الطواغيت:

إن أنواع الطواغيت خمسة[4]، وقد تطرقت سورة النساء لاثنين منها، وسيتم بيان الأنواع الخمسة للفائدة، مبتدئة بما ذكر أولاً في السورة، على النحو الآتي:

النوع الأول: إبليس الداعي إلى عبادة غير الله ﷻ، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ٥١﴾ [سورة النساء: ٥١].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص١٨٤.

(٢) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (٦٦٣/١)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمد بن محمود النسفي، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، تحقيق: يوسف علي بديوي، (٣٧٥/١)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٥٨/٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (٧٩/٢).

(٤) انظر: مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، محمد بن عبد الوهاب النجدي، جامعة الإمام محمد بن سعود، (د. ط. ت. ب)، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري، ص٣٧٧، مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر الشيخ، (٣٧٤/١).

وعلى اعتبار أن من معاني الجبت والطاغوت الشيطان، يكون الشيطان داعياً إلى عبادة غير الله تعالى من صنمٍ أو شجرٍ أو حجرٍ أو إنسانٍ، وهذا ما بينته سورة النساء.

النوع الثاني: الحاكم الجائر الذي يغير أحكام الله ﷻ، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النساء: ٦٠].

والشاهد: أن من يحكم بغير شرعية الله فهو طاغوت، والآية وإن نزلت في من طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف اليهودي، وأعرض عن حكم النبي ﷺ، فإنها عامة في كل من وقع في هذا.

قال ابن كثير[1]: "وَالْآيَةُ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّهَا ذَامَّةٌ لِمَنْ عَدَلَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَحَاكَمُوا إِلَى مَا سِوَاهُمَا مِنَ الْبَاطِلِ، وَهُوَ الْمُرَادُ بِالطَّاغُوتِ هَاهُنَا"[2]، فكل من رضي بحكم غير حكم الله ورسوله؛ فقد رضي بحكم الطاغوت، وهذا ما وضحتها سورة النساء.

النوع الثالث: الذي يحكم بغير ما أنزل الله تعالى، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة: ٤٤].

والشاهد: أن من لم يعمل بأحكام الشريعة الاسلامية، وأنكرها، فقد عمل بغير ما أنزل الله، ومن عمل بغير ما أنزل الله، فقد انطبقت عليه الآية.

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصري ثم الدمشقيّ أبو الفداء، كان إمامًا مفتيًا، ومحدثًا بارعًا، ومؤرخًا، ولد فِي سنة سَبْعمِائة وَكَانَت وَفَاته فِي شهر شعْبَان بِدِمَشْق، له مصنفات عديدة، منها: (البداية والنهاية)، (تفسير القرآن العظيم)، (فضائل القرآن)، (جامع المسانيد)، (التاريخ الكبير)، انظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه، ط١، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٤١٧هـ — ١٩٩٧م، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، (٢٦٠/١)، تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م، (٢٠١/٤)، معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، مكتبة المثنى، بيروت، (د. ط. ت)، (٢/ ٢٨٣).
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٣٤٦/٢).

قال القرطبي: "هِيَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْيَهُودِ وَالْكُفَّارِ، أَيْ: مُعْتَقِدًا ذَلِكَ وَمُسْتَحِلًّا لَهُ، فَأَمَّا مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَهُوَ مُعْتَقِدٌ أَنَّهُ رَاكِبُ مُحَرَّمٍ فَهُوَ مِنْ فُسَّاقِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ"(١).

وقيل: كلاماً مشابه لهذا، ومؤكداً له، وهو: "أن الذي يحكم بغير حكم الله مستهينا به مستنكراً له، وقد يبلغ به الاستنكار درجة التهكم عليه يعد كافراً؛ لأن ذلك جحود وإنكار أو استهزاء بآيات الله إن كان يعلم أنها من عند الله تعالى، ويستنكر مؤداها، ومن جحد أحكام القرآن فقد كفر...، وبذلك يكون هذا النص وارداً، فيمن حكم بغير حكم الله تعالى منكرا"(٢)، فكل من حكم بغير ما أنزل الله تعالى صار طاغوتاً.

النوع الرابع: الذي يدعي علم الغيب من غير الله، فالغيب لا يعلمه أحد إلا الله، كما في قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧﴾ [سورة الجن: ٢٦-٢٧]، وقوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩﴾ [سورة الأنعام: ٥٩].

والشاهد من الآيتين الكريمتين: أن من ادعى علم الغيب كالساحر(٣)، والكاهن(٤)،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٩٠/٦).

(٢) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، (٤ /٢٢٠٤).

(٣) الساحر هو: الذي يظهر الشيء على غير حقيقته، ومنه إظهار الباطل في صورة الحق، ومنه أن يقوم الساحر بعمل عقد ورقى وكلام يتكلم به أو يكتبه يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله. انظر: تاج العروس، الزبيدي، (٥١٦/١١)، القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، (١٦٨/١).

(٤) الكاهن هو: من يطالع علم الغيب، ويخبر الناس عن الكوائن، انظر: معالم السنن، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب السبتي المعروف بالخطابي، ط١، المطبعة العلمية، حلب، ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م، (٢٢٨/٤)، شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ط٢، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش، (١٨٢/١٢).

والمنجم[1]، والعراف[2]، فقد خرج عن حدود الله تعالى؛ لأنه يدعي علم الغيب الذي هو من خصائص العبودية، وهذا تكذيب للقرآن والسنة النبوية، فقد أخبر الله تعالى أن الغيب لا يعلمه أحد حتى الأنبياء، والرسل، قال تعالى آمراً رسوله أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ [سورة الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠﴾ [سورة الأنعام: ٥٠].

فكل من أدعى علم الغيب، فقد أنزل نفسه منزلة العبودية، وصار بهذا طاغوت يعبد من غير الله تعالى.

النوع الخامس: الذي يُعبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة، كما في قوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾ [سورة الأنبياء: ٢٩]، "عَنَى بِهِ إِبْلِيسَ حِينَ دَعَا إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَأَمَرَ بِطَاعَةِ نَفْسِهِ، فَإِنَّ أَحَدًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ لَمْ يَقُلْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ، الْوَاضِعِينَ الْإِلَهِيَّةَ وَالْعِبَادَةَ فِي غير موضعها"[3].

والآية عامة في كل من أدعى لنفسه العبودية من غير الله تعالى، فإن جزاءه جهنم، وهذا جزاء الظالمين، "وأي ظلم أعظم من ادعاء المخلوق الناقص الفقير إلى الله من جميع الوجوه

---

(١) المنجم هو: من ينظر في النجوم بحسب مواقيتها، وسيرها، ويستطلع من ذلك أحوال الكون. انظر: القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، (٣٤٨/١)، المعجم الوسيط، مصطفي إبراهيم وآخرون، (٩٠٥/٢).

(٢) العراف هو: الذي يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها، كالشيء يسرق فيعرف المظنون به السرقة. انظر: معالم السنن، للخطابي، (٢٢٩/٤)، شرح السنة، البغوي، (١٨٢/١٢).

(٣) معالم التنزيل، البغوي، (٢٨٦/٣)، انظر: اللباب في علوم الكتاب، النعماني، (٤٨٠/١٣).

مشاركة الله في خصائص الإلهية والربوبية"[1].

فهذه هي الأنواع الخمسة لأنواع الطاغوت، والتي بينت سورة النساء اثنين منها فقط.

ولقد أمر الله تعالى عباده بترك عبادة الطاغوت، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [سورة النحل: ٣٦]، أي: اعبدوا الله واجتنبوا عبادة كل ما هو معبود من دون الله من شيطان وغيره[2].

وأخبر عباده بأن المؤمن منهم لا يصير مؤمناً إلا إذا كفر بالطاغوت في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦].

ومدح الله –تبارك وتعالى– في المقابل كل من توجه بالعبادة له وحده، ولم يشرك به غيره في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ١٧﴾ [سورة الزمر: ١٧].

فكل من أخلص في عبادته لله تعالى وحده، وابتعد من عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام، وابتعد من الشرك والمعاصي إلى التوحيد والطاعات، لهم البشرى التي لا يعلم قدرها ولا يعلم وصفها إلا من أكرمهم بها، وهذا شامل في الحياة الدنيا بالثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، والعناية الربانية، ولهم في الآخرة البشرى عند الموت، وفي القبر، والقيامة يبشرهم الله تعالى بدوام رضوانه، وحلول أمانه في الجنة[3].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٥٢١.

(٢) انظر: معالم التنزيل، للبغوي، (٧٩/٣)، الكشاف، الزمخشري، (٦٠٥/٢)، المحرر الوجيز، لابن عطية، (٣٩٢/٣)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٤٩/١٤ – ١٥٠)، زهرة التفاسير، لأبي زهرة، (٤١٧٥/٨).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٧٢١، مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر الشيخ، (٣٦٦/١).

المطلب الثاني: الشرك الوارد في السورة:

سيتم في هذا المطلب أولاً: تعريف الشرك في اللغة والاصطلاح، ثانياً: بيان الشرك الوارد في السورة، ثالثاً: أنواع الشرك، والفرق بين الشرك الأكبر الأصغر، وتفصيل ذلك في الآتي:

أولاً: تعريف الشرك في اللغة والاصطلاح:

الشرك في اللغة:

"يُقَالُ: شَرِكْتُهُ فِي الْأَمْرِ أَشْرَكُهُ شِرْكَةً، والاسم الشِّرْكُ، وشَارَكْتُهُ إِذَا صِرْت شَرِيكَهُ، وَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، فَهُوَ مُشْرِكٌ إِذَا جَعَلَ لَهُ شَرِيكاً"(١).

"والشِّرْكُ: أَن يجعل لِلَّهِ شَرِيكًا فِي رُبوبيته، تَعَالَى اللَّهُ عَنِ الشُّرَكاء والأَنداد، وإِنما دَخَلَتِ التَّاءُ فِي قَوْلِهِ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ؛ لأَن مَعْنَاهُ لَا تَعْدِلْ بِه غَيْرِهِ فَتَجْعَلَهُ شَرِيكًا لَهُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [سورة الأعراف: ٣٣]؛ لأَن مَعْنَاهُ: عَدَلُوا بِهِ، وَمَنْ عَدَلَ بِهِ شَيْئًا مِنْ خَلقه، فَهُوَ كَافِرٌ مُشْرِك؛ لأَن اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شريكَ لَهُ وَلَا نِدَّ لَهُ وَلَا نَديدَ"(٢).

الشرك في الاصطلاح:

هُوَ: صَرْفُ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِغَيْرِ اللَّهِ ﷻ(٣).

فالشرك إذن: أن يتخذ الإنسان له ندًا من دون الله أيا كان، من: حجر أو شجر أو بشر، حيًا أو ميتًا، يتألهه ويتوجه له بأي نوع من أنواع العبادة، من حب وتعظيم ودعاء أو رجاء أو خوف أو إنابة أو خشية أو ذبح أو نذر أو استغاثة أو غير ذلك، وكذلك الاحتكام إلى غير حكم الله

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، (د. ط)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (٤٦٦/٢).

(٢) لسان العرب، (٤٤٨/١٠)، انظر: المصباح المنير، الفيومي، (٣١١/١).

(٣) معارج القبول، حافظ الحكمي، (٢/ ٤٥٩).

وشريعته، رغبة أو قبولاً لما أحله الأحبار والرهبان أو الرؤساء السياسيون أو الروحانيون[1].

وحَقِيقَةُ الشِّرْكِ كما يقول ابن القيم: "هُوَ: التَّشَبُّهُ بِالْخَالِقِ، وَتَشْبِيهُ الْمَخْلُوقِ بِهِ، هَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ فِي الْحَقِيقَةِ...، وَجَعَلَ التَّوْحِيدَ تَشْبِيهًا، وَالتَّشْبِيهَ تَعْظِيمًا وَطَاعَةً، فَالْمُشْرِكُ مُشَبِّهٌ لِلْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ فِي خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ، فَإِنَّ مِنْ خَصَائِصِ الْإِلَهِيَّةِ: التَّفَرُّدَ بِمِلْكِ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ وَالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ، وَذَلِكَ يُوجِبُ تَعْلِيقَ الدُّعَاءِ وَالْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ وَالتَّوَكُّلِ بِهِ وَحْدَهُ، فَمَنْ عَلَّقَ ذَلِكَ بِمَخْلُوقٍ فَقَدْ شَبَّهَهُ بِالْخَالِقِ، وَجَعَلَ مَنْ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِ، شَبِيهًا بِمَنْ لَهُ الْأَمْرُ كُلُّهُ، فَأَزِمَّةُ الْأُمُورِ كُلِّهَا بِيَدَيْهِ، وَمَرْجِعُهَا إِلَيْهِ"[2].

ثانياً: بيان الشرك الوارد في سورة النساء.

نصت سورة النساء على الشرك في ثلاث آيات منها:

الآية الأولى: قوله -تبارك وتعالى-: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النساء: ٣٦].

والشاهد من الآية: النهي عن اتخاذ شريك مع الله تعالى، والمعنى: اعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، صنمًا أو حجرًا أو قبرًا، أو شيئًا من الإشراك كان، جليًا ذلك أو خفيًا[3].

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ٤٨﴾ [سورة النساء: ٤٨].

فالمراد: أن الله تعالى لا يغفر لمن أشرك به أحدًا من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب، صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمتُه مغفرتَه، فالذنوب التي دون الشرك قد جعل الله تعالى لمغفرتها أسباب كثيرة...، وهذا بخلاف الشرك الأكبر (الأعتقادي)،

---

(١) الأجوبة المفيدة، الدوسري، (١٢/١ – ١٣).

(٢) الجواب الكافي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي، ابن القيم الجوزية، ط١، دار المعرفة، المغرب، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م، ص١٣٦.

(٣) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (٧٣/٢)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (١٧٥/٢).

فإن المشرك إذا مات من غير توبة، فقد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد ولا تفيده المصائب شيئًا[1]، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [سورة الشعراء: ١٠٠-١٠١].

والآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١١٦﴾ [سورة النساء: ١١٦]، فقد بين الله تعالى أن من يشرك بالله ﴿فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾، فقد ضل عن طريق الصواب، "لأن الشركَ أعظمُ أنواعِ الضلالةِ، وأبعدُها عن الصواب والاستقامةِ، كما أنه افتراءٌ وإثمٌ عظيمٌ، ولذلك جُعل الجزاءُ في هذه الشرطيةِ: ﴿فَقَدۡ ضَلَّ﴾، وفيما سبق: ﴿فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾"[2].

وخلاصة القول في الآيات الثلاث: أن الله سبحانه يغفر الذنوب جميعًا عدا الشرك الأكبر (الاعتقادي)، ومن مات عليه من غير توبة فهو مخلد في النار، ففي قوله تعالى: ﴿وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ دليل قوي، بل هو من أقوى الأدلة، ورد على من أعتبر صاحب الكبيرة مخلد في النار[3]، ومنها صاحب الشرك الأصغر؛ لأن الله يغفر له بسبب التوحيد، بعكس صاحب الشرك الأكبر.

ثالثاً: أنواع الشرك، والفرق بين الشرك الأكبر والأصغر.

الشرك نوعان:

شرك أكبر، وشرك أصغر، والمراد بالشرك في الآيات السابقة هو: الشرك الأكبر.

النوع الأول: الشرك الأكبر، وهُوَ: أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا، يُحِبُّهُ كَمَا يُحِبُّ اللَّهَ، وَهُوَ: الشِّرْكُ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص١٨١.

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (٢/٢٣٣).

(٣) هذه من عقائد المعتزلة، وقد تم الحديث عنها في المبحث الثالث من هذا الفصل، وبيان بعض عقائدها في الفصل الثالث، مطلب اليوم الآخر والجوانب المتعلقة به.

الَّذِي تَضَمَّنَ تَسْوِيَةَ آلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ"(١)، فمن صرف لغير الله نوعًا من أنواع العبادة من دعاء ومحبة ونذر أو استعانة أو توكل؛ فقد وقع في الشرك الأكبر، وهذا الشرك يخرج صاحبه من دائرة الإسلام، ويحبط جميع عمله، ويخلد في النار إذا مات ولم يتب، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [سورة المائدة: ٧٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الحج: ٣١]، ولا تنفعه شفاعة الشافعين، كما في قول الله تعالى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة الشعراء: ١٠٠-١٠١].

وَقد خاطب الله صفوة خلقه، وهم: أنبياؤه ورسله عليهم السلام بعد ثنائه عليهم بقوله: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الأنعام: ٨٨]، والشاهد قوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم﴾، فحملت الآية تشديداً وتحذيراً؛ لأن الشرك ذنبه عظيم، "فالنص تقبيح للشرك أيًّا كانت صورته، وحث لهم على فعل الخير، وحمايته بالوحدانية"(٢).

ومثله قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الزمر: ٦٥-٦٦].

النوع الثاني: الشرك الأصغر: وهو: كَيَسِيرِ الرِّيَاءِ، وَالتَّصَنُّعِ لِلْخَلْقِ، وَالْحَلِفِ بِغَيْرِ اللَّهِ(٣).

---

(١) مدارج السالكين، ابن القيم (٣٤٨/١)، انظر: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ الحكمي، ط٢، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤٢٢هـ، تحقيق: حازم القاضي، ص٢٠.

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٢٥٨٠/٥).

(٣) مدارج السالكين، ابن القيم، (٣٥٢/١)، انظر: أعلام السنة المنشورة، حافظ الحكمي، ص٢١.

الشرك الأكبر[1] نوعان:

الأول: **شرك في الربوبية**: بأن يعتقد أن مع الله إلهًا آخر يشاركه في التدبير، والتصرف في الكون، من تدبير أمور الرزق، وغيره، كما في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢﴾ [سورة سبأ: ٢٢].

الثاني: **شرك في الالوهية**: بأن يدعو غير الله، ويستعين، أو يتوكل بغيره في أمور لا يقدر عليها إلا الله ﷻ، والواجب الاستعانة به وحده، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [سورة الفاتحة: ٥].

الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر[2]:

١- أن الشرك الأكبر لا يغفر الله لصاحبه، وأما الأصغر فتحت المشيئة.

٢- أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال، وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه.

٣- أن الشرك الأكبر مخرج لصاحبه من ملة الإسلام، وأما الأصغر فلا يخرجه منها.

٤- أن الشرك الأكبر صاحبه خالد في النار، ومحرم عليه الجنة، وأما الأصغر فكغيره من الذنوب، وقيل: "إنه لا يغفر لصاحبه إلا بالتوبة كالأكبر، وهذا هو الصواب"[3].

فالشرك الأكبر (الاعتقادي) هو: ما تطرقت إليه الآيات من سورة النساء، وبينت أنه يخرج مرتكبه من الإسلام وأكدته آيات كثيرة من القرآن.

---

(١) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ط٧، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، تحقيق: ناصر العقل، (٢/٢٢٦).

(٢) انظر: الأسئلة والأجوبة في العقيدة، صالح الأطرم، (١/٣٠)، مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر الشيخ، ص٣٨٤.

(٣) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤٢١هـ، ص٦٥، مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر الشيخ، ص٣٨٤.

المبحث الثالث:

توحيد الأسماء والصفات

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الاسم والصفة والفرق بينهما وبيان الأسماء والصفات الواردة في السورة.
- المطلب الثاني: مسألة رؤية الله تعالى وأقوال أهل العلم فيها.

المطلب الأول: الاسم والصفة، والفرق بينهما، وبيان الأسماء والصفات الواردة في السورة.

في هذا المطلب سيتم التعرف أولاً: على معنى الاسم والصفة، ثانيًا: الفرق بين الاسم والصفة، ثالثاً: الأسماء والصفات الواردة في السورة.

أولاً: معنى الاسم والصفة:

معنى الاسم:

الاسم: "كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، واشتقاقه من السمو، وذلك أنه كالعلم ينصب ليدل على صاحبه"(١).

وأَسْمَاءُ الْأَشْيَاءِ هِيَ: "الْأَلْفَاظُ الدَّالَّةُ عَلَيْهَا، لَيْسَتْ هِيَ أَعْيَانُ الْأَشْيَاءِ"(٢).

وقال بعضهم: "ما دلَّ على معنى في نفسه غير مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة"(٣).

معنى الصفة:

"هي: الاسم الدال على بعض أحوال الذات...، وهي: الأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها"(٤).

وقيل: "هِيَ: مَا وَقع الْوَصْف مشتقا مِنْهَا، وَهُوَ دَال عَلَيْهَا، وَذَلِكَ مثل الْعلم وَالْقُدْرَة وَنَحْوه"(٥).

---

(١) الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن مهران العسكري، دار العلم، مصر، (د. ط. ت)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، ص٥١.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٦ /١٩٥).

(٣) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، تحقيق: جماعة من العلماء، ص٢٤.

(٤) المرجع السابق، ص١٣٣.

(٥) الكليات، الكفوي، (١/٥٤٦).

ثانياً: الفرق بين الاسم والصفة:

إن بين أسماء الله تعالى وصفاته فروقاً يمكن إبرازها فيما يلي:

أولاً: أن الأسماء يشتق منها صفات، أما الصفات فلا يشتق منها أسماء، فيشتق من أسماء الله تعالى: الرحيم والقادر والعظيم، صفات: الرحمة، والقدرة، والعظمة، لكن لا يشتق من صفة الإرادة والمجي والمكر، اسم: المريد والجائي والماكر، فأسماء الله تعالى أوصاف(١).

ثانيًا: "أن الاسم لا يشتق من أفعال الله تعالى، فلا يشتق من كونه يحب ويكره ويغضب اسم: المحب والكاره والغاضب، أما الصفة فتشتق من أفعاله، فنثبت له مثلاً صفة: المحبة والكره والغضب ونحوها من تلك الأفعال؛ لذلك قيل: باب الصفات أوسع من باب الأسماء"(٢).

ثالثًا: "أن أسماء الله تعالى وصفاته تشترك في الاستعاذة بها والحلف بها"(٣).

لكن تختلف في الدعاء والتعبد، فيتعبد الله تعالى بأسمائه، فيقال: عبد الكريم، عبد الرحيم، عبد العزيز، لكن لا يتعبد بصفاته؛ فلا يقال: عبد الكرم، وعبد الرحمة، وعبد العزة.

كما أن الله يدعى بأسمائه، فيقال: يا رحيم ارحمنا، ويا كريم أكرمنا، ويا لطيف الطف بنا، لكن لا يدعى صفاته فيقال: يا رحمة الله ارحمينا، أو: يا كرم الله، أو: يا لطف الله؛ ذلك أن الصفة ليست هي موصوف؛ فالرحمة ليست هي الله، بل هي صفة لله، وكذلك العزة وغيرها؛ فهذه صفات الله، وليست هي الله، ولا يجوز التعبد إلا لله، ولا يجوز دعاء غير الله تعالى؛ لقوله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة النور: ٥٥]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ

---

(١) بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ط. ت)، (١/١٧٠)، انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين، ط٣، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، ص٣٠.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم، (٣/٤١٥).

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٦/١٤٣)، انظر: الموسوعة العقدية، علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية، على الانترنت، (د. ط. ت)، (١/٣٩٣).

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [سورة غافر: ٦٠]، وغيرها من الآيات(١).

ثالثاً: الأسماء والصفات الواردة في السورة:

سيكون الحديث عن الأسماء والصفات الواردة في السورة بذكر معناها مستشهدة ببعض الآيات الدالة عليها من السورة إن كانت كثيرة.

أولاً: الأسماء الواردة في السورة:

١ – الله:

"هو: المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وأخبر أنه الله الذي له جميع معاني الألوهية، وأنه هو المألوه المستحق لمعاني الألوهية كلها، التي توجب أن يكون المعبود وحده المحمود وحده المشكور وحده المعظم المقدس ذو الجلال والإكرام، واسم: (الله) هو: الجامع لجميع الأسماء الحسنى، والصفات العلى"(٢).

واللَّهِ: "هو: المعبود بحق علم على الذات العلية المقدسة، وقيل: إنه اسم الله الأعظم، ولم يتسمّ به غيره، وأما "الإله" فهو المعبود بحق أو باطل، يطلق على الله تعالى وعلى غيره"(٣).

والصفة من الله الإلهية والألوهية.

واسم: (الله) ثابت في القرآن في مواضع كثيرة، وكذلك في هذه السورة، في آياتها منها: قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء: ١]، وقوله تعالى: ﴿* وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء: ٣٦].

فالشاهد: احذروا الله المألوه بالعبادة، وتوجهوا إليه بعبادته دون غيره.

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط الأخيرة، دار الوطن، دار الثريا، ١٤١٣هـ، (د. ب)، (٢٦/١).

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، ١٤٢١هـ، (د. ط)، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، ص١٦٤.

(٣) التفسير المنير، للزحيلي، (٥٦/١).

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [سورة النساء: ٨٧]، وفي هذه الآية إخبار من الله تعالى بأنه المعبود وحده، لا تنبغي العبادة إلا له، فله عبادة كل شيء، وطاعة كل طائع(١).

فاسم: (الله) هو: أَشْهَرُ أَسْمَاءِ الربِّ تعالى، وأَعْلَاهَا مَحَلاً فِي الذكْرِ والدُّعَاءِ؛ وكذَلِكَ جُعِلَ أمامَ سَائِرِ الأَسْماءِ، وَخُصَّتْ بِهِ كَلِمَةُ الإِخْلَاصِ، وَوَقَعَتْ بِهِ الشهادةُ؛ فَصَارَ شِعَارَ الإِيمَانِ، وَهُوَ: اسم مَمنوع، لَمْ يَتسم بِهِ أَحَد، قَدْ قَبَضَ اللهُ عَنْهُ الأَلْسُنَ؛ فلم يُدْعَ بِهِ شَيْءٌ سِوَاهُ"(٢).

٢- الرب:

"المصلح للشيء، يقال: "ربيت الشيء أربه ربًا وربابة": إذا أصلحته وقمت عليه، ورب الشيء مالكه، فالله ﷻ مالك العباد ومصلحهم، ومصلح شؤونهم، ومصدر الرب: الربوبية، وكل من ملك شيئًا، فهو ربه، يقال: "هذا ربا الدار ورب الضيعة"، ولا يقال: "الرب" معرفًا بالألف واللام مطلقًا إلا لله ﷻ؛ لأنه مالك كل شيء"(٣).

"فهو: الرب الذي له جميع معاني الربوبية التي يستحق أن يؤله لأجلها، وهي: صفات الكمال كلها، والمحامد كلها له، والفضل كله، والإحسان كله، وأنه لا يشارك الله أحد في معنى من معاني الربوبية، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى: ١١]، لا بشر ولا ملك، بل هم جميعًا عبيد مربوبون لربهم بكل أنواع الربوبية، مقهورون خاضعون لجلاله وعظمته، فلا ينبغي أن يكون أحد منهم ندًا، ولا شريكًا لله في عبادته وألوهيته، فبربوبيته سبحانه يربي الجميع من ملائكة وأنبياء، وغيرهم خلقًا ورزقًا وتدبيرًا وإحياءً وإماتةً"(٤).

---

(١) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٥٩٢/٨).

(٢) شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، ط١، دار الثقافة العربية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، (د. ب)، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، (٣٠/١ - ٣١).

(٣) اشتقاق أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، (د. ب)، تحقيق: عبد الحسين المبارك، ص٣٣.

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص٢٠٠.

ومن اسم: (الرب) تشتق صفة الربوبية، وقد ذكر اسم: (الرب) في القرآن في مواضع كثيرة، والآيات الدالة من سورة النساء أربع هي:

١- **قولـه تعـالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [سورة النساء: ١].

٢- **قوله تعالى**: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٦٥﴾ [سورة النساء:٦٥].

٣- **وقولـه تعـالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧٠﴾ [سورة النساء: ١٧٠].

٤- **وقولـه -تبـارك وتعـالى-**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ۝١٧٤﴾ [سورة النساء: ١٧٤].

والشاهد من هذه الآيات: إثبات اسم: (الرب) ﷻ في السورة.

٣- العليم:

"العليم والعالم صفتان مشتقان من العلم، فالعالم اسم الفاعل من علم يعلم فهو عالم، والعليم من أبنية المبالغة في الوصف بالعلم، وهو بمنزلة قدير من القادر"(١).

"العَليمُ، والعالِمُ، والعَلاَّمُ، وَهُوَ: العالِمُ بِمَا كَانَ، وَمَا يَكونُ قَبْلَ كَوْنِهِ، وبِما يَكونُ ولَمَّا يَكُنْ بَعْدُ قَبْلَ أنْ يَكونَ، لَمْ يَزَلْ عالِمًا، وَلَا يَزالُ عالِمًا بِمَا كانَ وَمَا يَكونُ، وَلَا تَخْفَى عَليه خافِيةٌ فِي الأرْضِ وَلَا فِي السَّماءِ ﷻ، أحاطَ عِلْمَهُ بِجَميعِ الأشْياءِ"(٢).

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص٥٠.

(٢) تاج العروس، الزبيدي، (١٣٦/٣٣).

"وهو: يعلم ما في السماوات والأرضين السبع، وما بينهما، وما تحت الثرى، وما فِي قعر البحار، ومنبت كل شعرة وشجرة، وكل زرع، وكل نبات، ومسقط كل ورقة، وعدد كل كلمة، وعدد الحصى والرمل والتراب، ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم، ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء"(١).

والصفة من اسم: (العليم): العلم، وهي: صفة ذاتية لله ﷻ، ثابتة في القرآن والسنة.

وقد ثبت اسم: (العليم) في القرآن الكريم، ومنه سورة النساء، كما في قوله تعالى: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٧٦]، وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النساء: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾﴾ [سورة النساء: ٣٩].

ومن السنة النبوية حديث الاستخارة، فعَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، كَالسُّورَةِ مِنَ القرآن: إِذَا هَمَّ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلاَ أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلاَ أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي – أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ – فَاقْدُرْهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي – أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ – فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ))(٢).

وقد ورد اسم الله: (العليم) مقترنًا باسم: (الحليم) في موضع من السورة في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ

(١) طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت، (د. ط. ت)، تحقيق: محمد حامد الفقي، (٢٨/١).
(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، (٨١/٨) رقم (٦٣٨٢).

دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [سورة النساء: ١٢].

ومناسبة ارتباط اسمي الله: (العليم والحليم)؛ أن الله –تبارك وتعالى– لا يخفى عليه أمر من خالفه بقول، أو فعل، أو نية، أو غيرها، حليم لا يعاجل بالعقوبة، بل يمهل ويعطي الفرصة تلو الفرصة لعبده ليرجع إليه بالتوبة، لكن عليه إلا يغتر بإمهاله؛ لأنه إذا أخذ بعد طول الأناة لم يفلت من قبضته أحد(١).

وذكر اسم: (العليم) مقترنًا باسم: (الحكيم) في عدة مواضع من السورة منها، قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النساء: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [سورة النساء: ١١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة النساء: ١٧].

ودلالة ذكر اسمي الله: (العليم والحكيم) في الآيات؛ أن الله عليم بعواقب الأحكام التي شرعها لعباده، فيعاملهم حسب ما تقتضيه حكمته(٢)، "فهو العالم بمغيبات الأمور وعواقبها، ووجه الحكمة فيما قدره ودبره"(٣).

واقترن اسم الله: (العليم) باسمه: (الخبير)، في قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النساء: ٣٥].

ودلالة ارتباط اسم: (العليم) باسمه: (الخبير)؛ أن الله يطلع على ما لا يمكن الاطلاع عليه

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، بتصرف، (٥/٢١٣).

(٢) المرجع السابق، (٥/٢٠٨).

(٣) روح المعاني، الألوسي، (٢/٤٣٧).

من أحوال الناس، وإن غاب عن غيره، خبير بما تخفي صدورهم[١].

ولا شك أن علم الله مختلف عن علم المخلوقين، فالإنسان مهما أوتي من علم يظل علمه ناقص، بينما الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما.

قال الخطابي[٢]: "والآدمِيُّوْنَ -وإنْ كَانُوا يُوْصَفُونَ بِالعِلمِ-، فَإن ذَلِكَ يَنْصَرِفُ مِنْهُمْ إِلَى نَوْع مِنَ المَعْلُومَاتِ دون نَوْع، وَقَدْ يُوجَدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ فِي حَالٍ دون حَالٍ، وَقَدْ تَعْتَرِضُهُمْ الآفَاتُ، فيَخْلُفُ عِلْمهُمُ الجَهْلُ، ويعْقُبُ ذِكْرَهُمُ النَسْيَانُ، وَقَدْ نَجِدُ الوَاحِدَ مِنْهُمْ عَالَمًا بِالفِقْهِ غير عَالِم بِالنحْوِ، وَعَالِماً بهما غير عَالِم بِالحِسَابِ وبالطِّبِّ، وَنَحْوِهِمَا مِنَ الأمُوْرِ، وَعِلْمُ الله ﷻ عِلْمُ حَقِيْقَةٍ، وَكَمَالٍ"[٣].

٤- الحليم:

"اسم الفاعل من حلم، فهو حليم...، وحلم فلان عن فلان: إذا لم يقابله على إساءته، ولم يجازه عليها، فالله ﷻ حليم عن عباده؛ لأنه يعفو عن كثير من سيئاتهم، ويمهلهم بعد المعصية، ولا يعاجلهم بالعقوبة والانتقام، ويقبل توبتهم بعد ذلك"[٤].

وهو: "الحليم الذي يدر على خلقه النعم الظاهرة والباطنة مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعتبهم كي يتوبوا، ويمهلهم كي ينيبوا"[٥].

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٥/٢٧٤).

(٢) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، فقيه أديب ومحدث، وُلِدَ سَنَةَ بِضْعَ عَشْرَةَ وَثَلاَثِ مائَةٍ. وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وثمان وثمانين بمدينة بست، رحمه الله تعالى، له تصانيف عديدة منها: (معالم السنن في شرح سنن أبي داود)، (شأن الدعاء)، (غريب الحديث). انظر: وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، (٢/٢١٤)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٢/٤٩٦)، طبقات الشافعيين، ابن كثير، مكتبة الثقافة الدينية، (د. ط. ب. ت)، تحقيق: أحمد عمر هاشم، محمد زينهم محمد عزب، (١/٣٠٧)، الأعلام، الزركلي، (٢/٢٧٣).

(٣) شأن الدعاء، الخطابي، (١/٥٧)، انظر: الأسماء والصفات نقلا وعقلا، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ط٥، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م، ص١٢.

(٤) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص٩٦.

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص١٨٩.

ومن اسم: (الحليم) تشتق صفة الحلم، وهي ذاتية لله ﷻ ثابتة في القرآن الكريم، وقد ثبت اسم: (الحليم) في السورة في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢﴾ [سورة النساء: ١٢].

"فالله ذو حلم على خلقه، وذو أناة في تركه معاجلتهم بالعقوبة على ظلم بعضهم بعضًا"(١).

"وهُوَ: الَّذِي يُشَاهد مَعْصِيّة العصاة، وَيرى مُخَالفَة الْأَمر، ثمَّ لَا يستفزه غضب، وَلَا يَعْتَرِيه غيظ، وَلَا يحملهُ على المسارعة إِلَى الانتقام مَعَ غَايَة الاقتدار عجلة وطيش(٢)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِمۡ مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [سورة النحل: ٦١].

وقد وصف الله بعض عباده بصفة الحلم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾ [سورة هود: ٧٥]، وقوله: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤﴾ [سورة التوبة: ١١٤]، كما حكى الله ﷻ قول قوم شعيب: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ٨٧﴾ [سورة هود: ٨٧]، غير أن صفة الله تختلف عن صفة خلقه، فصفته كمال لا يعتريها نقص.

٥- الرقيب:

"هُوَ: الْحَافِظ الَّذِي لَا يغيب عَمَّا يحفظه، يُقَال: رقبت الشَّيْء أرقبه رَقَبَة، وَقَالَ الله تَعَالَى ذكره: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [سورة ق: ١٨]"(٣).

و"الرقيب من أسماء الله الحسنى، وهو يدل على: إحاطة سمع الله بالمسموعات وبصره

---

(١) جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٦٨/٨).

(٢) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ط١، الجفان والجابي، قبرص، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، ص١٠٣.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، دار الثقافة العربية، (د. ط. ت. ب)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، ص٥١.

بالمبصرات، وعلمه بجميع المعلومات الجليّة والخفية، وهو: الرقيب على ما دار في الخواطر، وما تحركت به اللواحظ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان"(١)، فهو"المُوَكَّلُ بِحِفْظِ الشيْءِ، والمَتَرَصِّدُ لَهُ، المُتَحَرِّزُ عَنِ الغَفْلَةِ فِيْهِ"(٢).

والصفة من اسم: (الرقيب): الرقابة، وهي: ذاتية لله ﷻ.

وقد ورد اسم: (الرقيب) في مواضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى في سورة النساء: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [سورة النساء: ١].

٦- الحسيب:

جاء"في اللغة على أوجه منها: الحسيب: المحاسب على الشيء، الموافق عليه، فالله ﷻ حسيب عباده، أي: محاسبهم على أعمالهم، ومجازيهم عليها"(٣).

والحسيب بمعنى: "الْكَافِي"(٤)، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق: ٣]، "أي: كافيه أمور دينه ودنياه"(٥).

وقد ورد اسم: (الحسيب) في مواضع من القرآن الكريم، منها موضعان في سورة النساء في آيتين منها، في قوله تعالى: ﴿فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦﴾ [سورة النساء: ٦]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦﴾ [سورة النساء: ٨٦].

فالله هو: الحسيب الرقيب المحاسب لعباده، المتولي جزاءهم بالعدل والفضل، وهو: الكافي عبده همومه وغمومه، وأخص من ذلك أنه: الحسيب للمتوكلين، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، بتصرف يسير، ص٢٠٧.

(٢) شأن الدعاء، للخطابي، (٧٢/١).

(٣) اشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي، ص١٢٩.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (٣٨١/١).

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص١٨٢.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣﴾ [سورة الطلاق: ٣].

"فالله ﷻ حسيب كل أحد وكافيه، وَهَذَا وصف لَا تتَصَوَّر حَقِيقَته لغيره، فَإِن الْكِفَايَة إِنَّمَا يحْتَاج إِلَيْهَا المكفي لوُجُوده، ولدوام وجوده، ولكمال وجوده، وَلَيْسَ فِي الْوُجُود شَيْء هُوَ وَحده كَاف لشَيْء إِلَّا الله ﷻ، فَإِنَّهُ وَحده كَاف لكل شَيْء، لَا لبَعض الْأَشْيَاء، أَي: هُوَ وَحده كَاف ليحصل بِهِ وجود الْأَشْيَاء، ويدوم بِهِ وجودهَا، ويكمل بِهِ وجودهَا"(١).

٧- **التواب:**

"فعال من تاب يتوب، أي: يقبل توبة عباده...، فالعبد يتوب إلى الله ﷻ، ويقلع عن ذنوبه، والله يتوب عليه، أي: يقبل توبته، فالعبد تائب، والله تواب"(٢)، "فهو: التواب الذي لم يزل يتوب على التائبين، ويغفر ذنوب المنيبين، فكل من تاب إلى الله توبة نصوحًا تاب الله عليه"(٣).

والصفة من اسم: (التواب): التوبة، وهي صفة ذاتية لله ﷻ، ثابتة له في مواضع من القرآن الكريم، وكذلك في سورة النساء.

فقد ذكر اسم: (التواب) في السورة مقترنًا باسم: (الرحيم) في آيتين منها، وهي: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾ [سورة النساء: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤﴾ [سورة النساء: ٦٤].

ودلالة ارتباط الاسمين، وختم الآيتين بهما؛ أن الله يقبل من رجع بالتوبة إليه من عباده بعد عصيانهم ورحيمًا بهم يخص بالتوفيق من يشاء من عباده، فالتوبة ورجوع العبد إلى الله هداية ينالها من يشاء الله.

---

(١) المقصد الأسنى، الغزالي، ص١١٣ – ١١٤.

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص٦٢ – ٦٣.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص١٧٦.

٨- **الرحيم:**

"الرحيم على وزن فعيل، بمنزلة نديم...، رحيم الآخرة، وهو: اسم عام"(١)، واسم: (الرحيم) خاص في رحمته بالمؤمنين؛ إذ هداهم في الدنيا إلى الإيمان، وفي الآخرة يثيبهم بالثواب الدائم الذي لا ينقطع(٢)، ولذلك فإن: "الرحيم اسم دال على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل مخلوق، وكتب الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة المتصلة بالسعادة الأبدية، ومن عداهم محروم من هذه الرحمة الكاملة"(٣).

والصفة من اسم: (الرحيم): الرحمة، وهي صفة ذاتية لله ﷻ، ثابتة له في مواضع من القرآن الكريم، وكذلك في سورة النساء.

ولقد ثبت اسم: (الرحيم) منفرداً في آية من السورة، وهي: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩﴾ [سورة النساء: ٢٩]، "فمن رحمته بكم كفُّ بعضكم عن قتل بعض أيها المؤمنون، بتحريم دماء بعضكم على بعض إلا بحقها"(٤).

كما ذكر اسم: (الرحيم) في السورة مقترنًا باسم: (التواب) في آيتين منها كما سبق في اسم: (التواب)، وذكرنا دلالة ارتباط الاسمين هناك.

ولقد وصف الله تعالى بعض عباده بالرحمة، كما في قوله تعالى عن النبي محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [سورة التوبة: ١٢٨].

٩- **الشهيد:**

"بمعنى: الشاهد...، والشاهد: خلاف الغائب، تقول العرب: "فلان كان شاهدًا لهذا الأمر"، أي: لم يغب عنه، فالله ﷻ لما كانت الأشياء لا تخفى عليه، كان شهيدًا لها، وشاهدًا عليها، أي: عالمًا

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص٤٠، انظر: تهذيب اللغة، الهروي، (٣٣/٥).

(٢) انظر: تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، ص٢٨.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، بتصرف يسير، ص٢٠٠.

(٤) جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٢٢٩/٨).

بها، وبحقائقها، علم المشاهد لها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية"(١).

والصفة من اسم: (الشهيد): الشهادة، وهي: ذاتية ثابتة لله ﷻ في القرآن الكريم.

ولقد ثبت اسم: (الشهيد) لله تعالى في سورة النساء في ثلاث آيات، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٣٣﴾ [سورة النساء: ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ١٦٦﴾ [سورة النساء: ١٦٦]، وقوله تعالى: ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩﴾ [سورة النساء: ٧٩]، أي: وكفى بالله شهيدًا لك بالرسالة والبلاغ(٢).

ولقد وصف الله بعض خلقه بالشهادة، كما في قوله تعالى عن النبي محمد ﷺ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١﴾ [سورة النساء:٤١]، وقوله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾ [سورة النساء:١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ٧٢﴾ [سورة النساء: ٧٢].

الشاهد: قوله تعالى: ﴿لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا﴾، أخبر تعالى أن البعض يتثاقل عن الجهاد، وبل يفرح عند نزول المصيبة، كالقتل إذا لم يكن معهم، أنه لم يكن شهيدًا حاضرًا للمعركة، فيصيبه ما أصابهم من الهم أو القتل(٣).

والذي يتضح في الشهادة: أن الله قد وصف بها عباده، وهي على النحو التالي:

١- أن كل نبي من الأنبياء عليهم السلام سيكون شهيدًا على أعمال قومه، وهذا واضح في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص١٣٢.

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٣٣٧/٥).

(٣) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (٦٦٢/١)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٢٠٠/٢).

﴿عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا ١٥٩﴾ [سورة النساء: ١٥٩]، فيكون عيسى عليه السلام شهيدًا على بني إسرائيل في قيام الحجة عليهم(١)، كقوله تعالى: ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ [سورة المائدة: ١١٧]، وكذلك كل نبي سيكون شهيدًا على قومه.

٢- أن أمة محمد ﷺ ستكون شهيدة على الأمم السابقة في صدق دعوة الأنبياء والرسل، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، فتشهد أمة محمد ﷺ يوم القيامة للأنبياء على أقوامهم بالتبليغ حينما ينكرون ذلك، وقد ورد في الحديث الصحيح ما يؤكد هذا المعنى(٢).

٣- أن محمداً ﷺ سيكون شهيدًا على هؤلاء أجمعين، وهذه فضيلة له ﷺ، يقول الله تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١﴾ [سورة النساء: ٤١]، فالآية تتضمن إخبارًا بأن النبي محمد ﷺ سيكون شهيدًا على المكذبين من قومه، وكذلك على جميع الأمم(٣).

١٠- الحكيم:

"الذي أفعاله محكمة متقنة، لا تفاوت فيها ولا اضطراب...، فالله عز وجل حكيم، كما وصف نفسه بذلك؛ لإتقان أفعاله واتساقها وانتظامها وتعلق بعضها ببعض"(٤)، "فهو الذي له الحكمة العليا في خلقه وأمره، الذي أحسن كل شيء خلقه...، فلا يخلق شيئًا عبثا، ولا يشرع شيئًا سدى، الذي له

---

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري، (٥١٢/١).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (٢١٩/١)، وقد ورد في الحديث الصحيح عن أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ وَالوَسَطُ العَدْلُ))، صحيح البخاري، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بُاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١]- إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، (٤/ ١٣٤)، رقم (٣٣٣٩).

(٣) المرجع السابق، (٥٥/٢).

(٤) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص٦٠، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٤١٩/١).

الحكم في الأولى والآخرة، وله الأحكام الثلاثة لا يشاركه فيها مشارك، فيحكم بين عباده في شرعه، وفي قدره، وجزائه"(١).

والصفة من اسم: (الحيكم): الحكمة، وهي: صفة ذاتية لله ﷻ، ثابتة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

وقد ثبت اسم: (الحكيم) في سورة النساء في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١٧﴾ [سورة النساء: ١٧]، وقوله تعالى: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٢٤﴾ [سورة النساء: ٢٤].

١١- العلي:

"فعيل من العلو والعلاء، والعلاء: الرفعة والسناء والجلال، تقول العرب: "فلان علا ذو علاء": إذا كان جليلاً عظيم الشأن والقدر"(٢)، والعلي يعني: "القاهر الغالب للأشياء، تقول العرب: علا فلان فلانًا: أي غلبه وقهره"(٣).

١٢- الكبير:

"العظيم الجليل، يقال: فلان كبير بني فلان أي: رئيسهم وعظيمهم...، وكبرياء الله: عظمته وجلاله"(٤)، فالله هو: الكبير العظيم على خلقه، "له الكبرياء في ذاته، وصفاته، وله الكبرياء في قلوب أهل السماء، والأرض"(٥).

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص١٨٦، انظر: رسالة في أسس العقيدة، محمد بن عودة السعوي، ط١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤٢٥هـ، ص٤٥.

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص١٠٨.

(٣) المرجع السابق، ص١٠٩.

(٤) المرجع نفسه، ص١٥٥.

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص٢٢٤.

والصفة من اسم: (العلي): العلو، ومن اسم: (الكبير): الكبر، وهما صفتان لله تعالى ذاتيتان ثابتتان لله ﷻ في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وقد ورد اسما: (العلي والكبير) في موضع واحد من السورة، في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [سورة النساء: ٣٤].

قال الزمخشري(١): "إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيًّا كَبِيرًا فاحذروه، واعلموا أنّ قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم"(٢).

"فله العلو والكبر على الإطلاق بكمال القدرة ونفوذ المشيئة، فهو لا يحب الباغي ولا يقره على بغيه، وقدرته عليكم أعظم من قدرتكم، وهو مع ذلك يعفو عمن عصاه وإن ملأ الأرض خطايا إذا أطاعه، ولا يؤاخذه بشيء مما فرط في حقه، بل يبدل سيئاته حسنات، فلو أخذكم بذنوبكم أهلككم، فتخلقوا بما قدرتم عليه من صفاته لتنالوا جليل هباته، وخافوا سطواته، واحذروا عقوبته بما له من العلو والكبر"(٣).

ودلالة ذكر اسمي الله: (العلي والكبير): أن الله غالب على الناس، قاهر لهم، كبير عليهم، وإذا علا الناس على من هم أضعف منهم بقهرهم، فليتذكروا علو الله عليهم، "وفي ذكر هذين الاسمين إشارة إلى قوته القاهرة، وأنه إذا استعلى الرجل على امرأته فالله العلي الكبير فوقه، وهو مؤاخذه وآخذه بعذاب أليم"(٤).

---

(١) محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ، جار الله أبو القاسم، كان من أئمة الدين والتفسير واللغة والأدب، وداعيًا إلى الاعتزال، ولد سَنَةَ أَرْبَعمائَةٍ. وسَبْعٍ وَسِتِّيْنَ ومَاتَ لَيْلَةَ عرفَةَ، سَنَةَ وَخَمْسمائَةٍ. ثَمَانٍ وَثَلاَثِيْنَ من تصانيفه: (الكشاف في تفسير القرآن الكريم)، (أساس البلاغة)، (مقامات)، (المفصل) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (١٥١/٢٠)، طبقات المفسرين العشرين، السيوطي، ص١٢٠، الأعلام، الزركلي، (١٧٨/٧).

(٢) الكشاف، (٥٠٧/١).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٢٧٢/٥).

(٤) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (١٦٧١/٣).

١٣- الخبير:

"هُوَ العَالِمُ بِكُنه الشيءِ، المُطَّلِعُ عَلى حَقِيْقَتِهِ"(١).

"فالخبير لَا تعزب عَنهُ الْأَخْبَار الْبَاطِنَة، فَلَا يجْرِي فِي الْملك والملكوت شَيْء، وَلَا تتحرك ذرة وَلَا تسكن، وَلَا تضطرب نفس وَلَا تطمئِن، إِلَّا وَيكون عِنْده خَبَرهَا، والْعلم إِذا أضيف إِلَى الخفايا الْبَاطِنَة سمي خبْرَة، وَيُسمى صَاحبهَا خَبِير"(٢).

"فالخبير قد أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والإسرار والإعلان، والواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء"(٣).

والصفة من اسم: (الخبير): الخبرة، وهي: صفة ذاتية لله ﷻ، ثابتة في مواضع كثيرة من القرآن الكريم.

وقد ثبت اسم: (الخبير) في سورة النساء في مواضع منها: قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النساء: ٣٥]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُوا۟ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾ [سورة النساء: ٩٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟

---

(١) شأن الدعاء، الخطابي، (٦٣/١).

(٢) المقصد الأسنى، الغزالي، ص١٠٣.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص١٩٤.

﴿وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ١٢٨﴾ [سورة النساء: ١٢٨]، فالله خبير بكل شيء وذكره في السورة هو الشاهد.

١٤- العفو:

العفو: "العفو عن الذنب: إذهابه وإبطاله، كما يقال: عفت الريح المنزل، أي: محت معالمه ودرست آثاره، فالعافي عن الذنب كأنه مبطل له مذهب، فإذا عفا عن الذنب فقد أبطله وذهب به، فيكون اشتقاقه من هذا"(١).

١٥- الغفور:

"الساتر على عباده، المُغطِّي ذنوبهم، من قولهم: غفرت المتاع في الوعاء أغفره غفرًا إذا سترته فيه(٢)، فالله ﷻ يستر ذنوب عباده، ولا يكشفها لهم، بل يتجاوز عنها، "لأنه لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفًا وبالغفران، والصفح عن عباده موصوفًا، كل أحد مضطر إلى عفوه ومغفرته، كما هو مضطر إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها"(٣)، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ٨٢﴾ [سورة طه: ٨٢].

والصفة من هذين الاسمين: (العفو والمغفرة)، وهما صفتان ذاتيتان لله تعالى، وقد ورد اسما الله: (العفو والغفور) في سور كثيرة، كما وردا في هذه السورة، في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورٗا ٤٣﴾ [سورة النساء:٤٣].

ودلالة ارتباط اسمي: (العفو والغفور) في الآية: أن الله بعفوه ترك العقاب على الذنب، وكأن

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص١٣٤، انظر: تهذيب اللغة، الهروي، (١٤١/٣).

(٢) الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، تحقيق: حاتم صالح الضامن، (٩٦/١).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص٢١٨.

هذا راجع إلى ما وقع حالة السكر، وغفورًا بترك العقاب، وبمحو الذنب حتى لا يذكر بعد ذلك أصلاً...، ومن كانت عادته العفو والمغفرة كان ميسرًا غير معسر"(١).

كذلك ذكر اسم: (الغفور) مقترنًا مع اسم: (الرحيم) في السورة نفسها في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة النساء: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة النساء: ١٠٠]، وقوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٠٦].

ووجه الدلالة من ذكر اسمي الله: (الغفور والرحيم): أن الله غفر عن تقصير عباده، فستر ذنوبهم ورحمهم في معاملته لهم في غاية الإكرام الذي ترتضيه الوهيته(٢).

١٦- العزيز:

"الْعَزِيز فِي صفة الله تَعَالَى: الْمُمْتَنع، فَلَا يغلبه شَيْء"(٣)، و"العزيز الذي له العزة كلها: عزة القوة، وعزة الغلبة، وعزة الامتناع، فممتنع أن يناله أحد من المخلوقات، وقهر جميع الموجودات، ودانت له الخليقة، وخضعت لعظمته"(٤).

وصفة العزة ثابته ذاتية لله تعالى.

وقد ورد اسم الله: (العزيز) مقترنًا مع اسم الله: (الحكيم)، في قوله تعالى من السورة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [سورة النساء: ٥٦].

"فالله لم يزل عزيزًا في انتقامه ممن انتقم منه من خلقه، لا يقدر على الامتناع منه أحد أرادَه بضرّ، ولا الانتصار منه أحدٌ أحلّ به عقوبة، حكيمًا في تدبيره وقضائه"(٥).

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٢٨٨/٥).

(٢) المرجع السابق، (٢٣٢/٥).

(٣) تهذيب اللغة، للهروي، (٦٤/١).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص٢١٤.

(٥) جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٤٨٨/٨).

والدلالة من ذكر اسمي: (العزيز والحكيم): أن الله لما كان غزيزًا غالبًا لا يغلب، كان حكيمًا فيما صنعه وأتقنه، ويعاقب العصاة على قدر ذنوبهم(١).

١٧- السميع:

السميع على ثلاثة أوجه:

الأول: سميع من وصف الذات، أي: لا تخفى عليه المسموعات.

والثاني: سميع بمعنى: مسمع، أي: يسمع غيره.

والثالث: سميع بمعنى: سامع، ويجوز وصف الله بها(٢).

والسميع: هُوَ: الَّذِي لَا يَعزُب عَنْ إدْراكه مَسْمُوعٌ، وَإِنَّ خَفي فَهُوَ يَسْمَعُ بِغَيْرِ جارِحةٍ، وفَعِيل مِنْ أَبْنِيَةِ المُبالغة(٣)، "فهو: السميع الذي يسمع جميع الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، فالسر عنده علانية، والبعيد عنده قريب"(٤).

والصفة من اسم: (السميع): السمع، وهي: صفة ذاتية ثابتة لله ﷻ.

١٨- البصير:

أي: "عالم بالأشياء خبير بها"(٥)، و"البصير: الذي أحاط بصره بجميع المبصرات في أقطار الأرض والسماوات، حتى أخفى ما يكون فيها، فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وجميع أعضائها الباطنة والظاهرة، وسريان القوت في أعضائها الدقيقة، ويرى سريان المياه في أغصان الأشجار..."(٦).

---

(١) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٥/٣٠٦).

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص٧٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٢/٤٠١).

(٤) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص٢٠٩.

(٥) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص٦٥.

(٦) تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، ص١٧٤.

والصفة من اسمي: (السميع والبصير): السمع، والبصر، وهما: صفتان ذاتيتان لله ﷻ ثابتتان في القرآن.

وقد ورد اسمي: (السميع والبصير) في سورٍ كثيرة من القرآن الكريم، كما ورد في هذه السورة في آيتين منها، في قوله تعالى: ﴿* إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [سورة النساء: ٥٨]، أي: "إِنَّ اللَّهَ كانَ سَمِيعًا لأقوالكم في الأمانات والأحكام، بَصِيرًا بأفعالكم فيهما، فإن سمع ورأى خيرًا جازاكم عليه خير الجزاء"(١)، وقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ١٣٤﴾ [سورة النساء: ١٣٤]، "فالله تعالى سميعٌ لما يقول هؤلاء المنافقون الذين يريدون ثواب الدنيا بأعمالهم، وإظهارهم للمؤمنين ما يظهرون لهم إذا لَقُوهم، وقولهم لهم آمنًا، وكان ذا بصر بهم، وبما هم عليه منطوون للمؤمنين فيما يكتمون، ولا يبدون لهم من الغش والغِلّ الذي في صدورهم لهم"(٢).

ودلالة ذكر اسمي الله: (السميع البصير)، وختم الآيتين بهما؛ أن الله سميعُ لأقوال عباده خيرًا كانت أو شرًا، بالغ البصر بكل حركاتهم، وردود أفعالهم، إن عجزوا أو امتنعوا عن الكلام، "فهو بالغ السمع لكل قول وإن خفي، نفسيًا كان أو لسانيًا، بصيرًا أي: بالغ البصر لكل ما يمكن أن يبصر من الأفعال، والعلم بكل ما يبصر وما لا يبصر منها ومن غيرها، فيكون من البصر ومن البصيرة، فليراقبه العبد قولاً وفعلاً"(٣).

وثبت اسم الله: (السميع) كذلك مقترنًا باسم الله: (العليم) في السورة في قول الله –تبارك وتعالى–: ﴿* لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ١٤٨﴾ [سورة النساء: ١٤٨].

---

(١) محاسن التأويل، القاسمي، (١٨٤/٣).

(٢) جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٣٠١/٩).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٤٣١/٥).

"ودلالة ارتباط اسمي: (السميع والعليم): أنه سبحانه متصف بوصف السمع الكامل، والعلم المحيط الشامل، فهو سميع لما يجهر به الإنسان، وما تحدثه به نفسه، وما هو مطويّ من خلجات وجدانه، وعليم بالبواعث التي تبعثه على المنطق، ومجازيه بقوله وعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وهو عليم بكل أعمال الجوارح، وما يرتكبه العباد من خير وشر، علمًا محيطًا يليق بذاته العليا"(١).

وقد ثبت في السنة اسم: (السميع) في حديث عَائِشَةَ ﵂، أَنَّها قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: ((لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ...))(٢).

١٩- المقيت:

"المقتدر على الشيء، يقال: أقات على الشيء: إذا اقتدر عليه"(٣).

"والْمُقِيتُ: الْحَافِظُ لِلشَّيْءِ وَالشَّاهِدُ لَهُ"(٤)، و"المقيت: الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها، وصرفها كيف يشاء بحكمه وحمده"(٥).

وثبت هذا الاسم في القرآن الكريم، كما ثبت في سورة النساء في موضع واحد، في قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ

---

(١) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (١٩٣٤/٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال احدكم آمين والملائكة في السماء آمين فوافقت أحدهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، (١١٥/٤)، رقم (٣٢٣١)، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، (١٤٢٠/٣)، رقم (١١١)، واللفظ للبخاري.

(٣) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص١٣٦، انظر: شأن الدعاء، الخطابي، (٦٨/١).

(٤) مختار الصحاح، الرازي، (٢٦٢/١).

(٥) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص٢٣٩.

﴿كِفْلٌ مِّنْهَا ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة النساء: ٨٥]، أي: "شاهدًا حفيظًا حسيبًا على هذه الأعمال، فيجازي كُلا ما يستحقه"(١).

٢٠- المحيط:

"اسم الفاعل من قولهم: أحاط فلان بالشيء، فهو محيط به إذا استولى عليه، وضم جميع أقطاره ونواحيه، حتى لا يمكن التخلص منه، فالله ﷻ محيط بالأشياء كلها؛ لأنها تحت قدرته لا يمكن شيئًا منها الخروج عن إرادته، ولا يمتنع عليه منها شيء"(٢)، "وهو: المحيط بكل شيء علمًا وقدرة ورحمة وقهرًا"(٣).

والصفة من اسم: (المحيط): الإحاطة، وهي صفة ذاتية ثابتة لله في القرآن الكريم.

واسم الله: (المحيط) ثابت في هذه سورة النساء في آيتين، هما: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٢٦]، وقوله تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة النساء: ١٠٨]، وهذا بيان لشمول علمه ﷻ بكل حركات عباده وسكناتهم، وهو معهم بعلمه واطلاعه على أقوالهم وأعمالهم، ولا يخفى عليه شيء من أمرهم حين يضمرون ويدبرون ويقدرون في أذهانهم ما لا يرضاه الله(٤).

٢١- القدير:

"هُوَ: الفَاعِلُ لِمَا يَشَاءُ على قَدْرِ مَا تقضِي الحِكْمَة، لَا زَائِدا عَلَيْهِ وَلَا ناقِصاً عَنهُ، وَلذَلِك لَا يَصِحُّ أَنْ يُوصَفَ بِهِ إِلاَّ اللهُ تَعَالَى"(٥).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص١٩٠.

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص٤٦، انظر: شأن الدعاء، الخطابي، (١٠٢/١).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص٢٣٧.

(٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، (٣٠٠/٣).

(٥) تاج العروس، للزبيدي، (٣٧٩/١٣).

"وهو: كامل القدرة، بقدرته أوجد الموجودات...، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، وبقدرته يقلب القلوب، ويصرفها على ما يشاء ويريد"(١).

والصفة من اسم: (القدير): القدرة، وهي: ذاتية ثابتة لله ﷻ في القرآن الكريم.

وقد ثبت اسم: (القدير) في سورة النساء منفرداً في آية هي: قوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٣]، أي: "وكان الله على إهلاككم وإفنائكم واستبدال آخرين غيركم بكم قديرًا ذا قدرة على ذلك"(٢).

وقد ذكر اسم: (القدير) مقترنًا باسم: (العفو)، في السورة في قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٩]، "أي: يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام، فأنتم أولى بذلك، وهو حث للمظلوم على العفو بعد ما رخص له في الانتظار حملاً على مكارم الأخلاق"(٣).

ومناسبة ارتباط اسمي الله: (العفو والقدير) في الآية، أنه "لما كان ترك العقاب لا يسمى عفوًا إلا إذا كان من قادر، وكان الكف – عند القدرة عن الانتقام ممن أثر في القلوب الآثار العظام – بعيداً، شاقاً على النفس شديداً؛ قال تعالى مذكرًا للعباد بذنوبهم إليه وقدرته عليهم: ﴿قَدِيرًا﴾، أي: بالغ العفو عن كل ما يريد العفو عنه من أفعال الجانين، والقدرة على كل ما يريد ومن يريد"(٤).

٢٢- الغني:

"في كلام العرب: الذي ليس بمحتاج إلى غيره"(٥)، والله سبحانه هو: الغني الذي لا يحتاج إلى أحد من خلقه، "فهو: الغني الذي بيده خزائن السماوات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة، المغني

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص٢٢٣.

(٢) جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٢٩٨/٩).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (١٠٦/٢).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٤٤٩/٥).

(٥) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص١١٧.

جميع خلقه غنى عامًا، والمغني لخواص خلقه مما أفاض على قلوبهم من الربانية والحقائق الإيمانية"(١).

والصفة من اسم: (الغني): الغنى، فالله غني عن خلقة، وهم مفتقرون إليه.

٢٣- الحميد:

هو "المحمود ذو الحمد المستحق لذلك"(٢)، و"الحميد في ذاته، وأسمائه، وصفاته وأفعاله، فله من الأسماء أجملها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل، فالحمد كثرة الصفات والخيرات، فهو الحميد لكثرة صفاته الحميدة"(٣).

والصفة من اسم: (الحميد): الحمد، وهي: ذاتية ثابتة لله ﷻ في القرآن الكريم.

ولقد ثبت اسم الله: (الغني) مقترنًا باسمه: (الحميد) في آية واحدة من السورة، وهي: قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيّٗا حَمِيدٗا ١٣١﴾ [سورة النساء: ١٣١]، أي: "غنياً عن خلقه، وعن عبادتهم، حَمِيدًا مستحقًا لأن يحمد؛ لكثرة نعمه، وإن لم يحَمده أحد"(٤).

ودلالة ذكر اسمي الله: (الغني والحميد)؛ أنه غني عن كل شيء، له الغنى المطلق لذاته؛ لذلك استحق الحمد، فهو محمود بكل لسان...، فكان ذلك غاية في بيان حكمته"(٥).

ومناسبة "اقتران هذين الاسمين الكريمين: (الغني والحميد)، لأنه غني محمود، فله كمال من غناه، وكمال من حمده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر"(٦).

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص٢٢٠.

(٢) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص١٢٥.

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص١٩٠.

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٤٠٣/١).

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، بتصرف يسير، (٤٢٨/٥).

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٠٧.

٢٤- الواسع:

الواسع: السعة مصدر من قولك: وسع يسع سعة، تقول: إنه لذو سعة في عيشه"(١).

والواسع "مَعْنَاهُ: الْجواد، وَقيل: الْعَالم، وَقيل: الْغَنِيّ"(٢).

فالله ﷻ واسع في عطائه، يعطي عباده من رزقه، "فهو: واسع الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، واسع العظمة والسلطان والملك، واسع الفضل والإحسان، عظيم الجود والكرم"(٣).

"وَالسعَة تُضَاف مرّة إِلَى الْعلم إِذا اتَّسع وأحاط بالمعلومات الْكَثِيرَة، وتضاف أُخْرَى إِلَى الْإِحْسَان وَبسط النعم، وَكَيف مَا قدر، وعَلى أَي شَيْء نزل، فالواسع الْمُطلق هُوَ الله سُبْحَانَهُ"(٤).

والصفة من اسم: (الواسع): السعة، وهي: ذاتية لله ﷻ ثابتة في القرآن الكريم.

وقد ثبت اسم الله: (الواسع) مقترنًا مع اسمه: (الحكيم) في آية واحدة من السورة، وهي: قوله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٠]، أي: "وَكانَ اللَّهُ واسِعًا حَكِيمًا مقتدرًا متقنًا في أفعاله وأحكامه"(٥)، فهو سبحانه: واسع الفضل والرحمة.

ودلالة ذكر اسمي الله: (الواسع والحكيم): أنه كثير الفضل، واسع الرحمة، وصلت رحمته وإحسانه إلى حيث وصل إليه علمه، ولكنه مع ذلك حَكِيمًا يعطي بحكمة، ويمنع لحكمة، فإذا اقتضت حكمته منع بعض عباده من إحسانه، بسبب من العبد لا يستحق معه الإحسان، حرمه عدلا وحكمة"(٦).

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي، ص٧٢.

(٢) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، المكتبة العتيقة ودار التراث، (د. ط. ت. ب)، (٢٩٦/٢).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص٢٤٢.

(٤) المقصد الأسنى، الغزالي، ص١١٩.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (١٠١/٢).

(٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢٠٧.

٢٥- الوكيل:

"فعيل، من قولك: وكلت أمري إلى فلان، وتوكل به أي: جعلته يليه دوني، وينظر فيه، فالله ﷻ وكيل عباده، أي: كافيهم أمورهم وأسبابهم"(١).

ومعنى الوكيل: "الكَفِيلُ بِأَرْزَاقِ العِبَادِ، والقَائِمُ عَلَيْهِم بِمَصَالِحَهِمْ، وَحَقِيْقَتُهُ: أنهُ الذي يَسْتَقِل بِالأَمْرِ المَوكُوْلِ إلَيْهِ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُ المُسْلِمِيْنَ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣]، نِعْمَ الكَفِيْلُ بِأَمُوْرِنَا وَالقَائِمُ بِهَا"(٢).

فالله تعالى وكيل عباده في جميع أمورهم، "والمتولي لتدبير خلقه بعلمه، وكمال قدرته، وشمول حكمته، والذي تولى أولياءه، فيسرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور، فمن أتخذه وكيلاً كفاه"(٣).

واسم الوكيل ثابت لله ﷻ في القرآن الكريم، وقد ورد سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٢]، وفي قوله تعالى: ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [سورة النساء: ١٧١]، "أي: أن الله تعالى هو الذي قد وكل إليه أمر الكون وتدبيره ظاهره وباطنه...، وكفى بالله وكيلا ليستقيم الأمر فيه، وليسير على سنن مستقيم، لَا اضطراب فيه ولا اختلاف"(٤).

٢٦- الشاكر:

"أصله في اللغة: من شكر يشكر، فهو: شاكر ومشكور، والشكر: مقابلة المنعم على فعله بثناء عليه، وقبول لنعمته واعتراف بها"(٥).

---

(١) اشتقاق أسماء الله الحسنى، الزجاجي، ص١٣٦.

(٢) شأن الدعاء، الخطابي، (٧٧/١)، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٢٢١/٥).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص٢٤٤.

(٤) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، (١٩٨٤/٤).

(٥) اشتقاق أسماء الله الحسنى، للزجاجي، ص٨٧.

"فمن أسمائه تعالى: (الشاكر الشكور)، وهو: الذي يشكر القليل من العمل الخالص النقي النافع، ويعفو عن الكثير من الزلل، ولا يضيع أجر من أحسن عملا، بل يضاعفه أضعافًا مضاعفة بغير عدٍ ولا حساب، ومن شكره أنه يجزي بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة"(١).

والشكر صفة لله ﷻ ثابته في القرآن الكريم.

وقد دلت سورة النساء على اسم: (الشاكر) في آية منها مضافاً إلى اسم: (العليم)، في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٧]، "فمَنْ شَكَرَ شَكَرَ لَهُ، وَمَنْ آمَنَ قَلْبُهُ بِهِ عَلِمَهُ، وَجَازَاهُ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ"(٢).

ودلالة ذكر اسمي الله: (شاكرًا وعليمًا): أن الله تعالى "شاكر لمن شكره بإثابته على طاعته فوق ما يستحقه، عليم بمن عمل له شيئًا وإن دق، لا يجوز عليه سهو ولا غلط ولا اشتباه"(٣).

ومما سبق يتضح أن أسماء الله تعالى الواردة في سورة النساء ستة وعشرين اسماً، هي: (الله، الرب، العليم، الحليم، الرقيب، الحسيب، التواب، الرحيم، الشهيد، الحكيم، العلي، الكبير، الخبير، العفو، الغفور، العزيز، السميع، البصير، المقيت، المحيط، القدير، الغني، الحميد، الواسع، الوكيل، الشاكر).

وقد جاءت بعضها منفردة، وجاءت بعضها مقترنة باسم آخر من أسماء الله تعالى في السورة نفسها، مثل: اقتران اسم: (العليم) باسم: (الحكيم)، واسم: (الغفور) باسم: (الرحيم) ... وهكذا، وفي هذا دلالة على اهتمام السورة المدنية بتوحيد الله في أسمائه الحسنى.

فهذه هي أسماء الله تعالى التي وردت في هذه السورة، وأما الصفات فهي كما يأتي:

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، ص٢١٠.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤٤٢/٢).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (٤٤٦/٥).

ثانيًا: الصفات الواردة في السورة:

١- الخلق:

"الخلق فِي اسم الله تَعَالَى هُوَ: ابْتِدَاء تَقْدِير النشء، فَالله تَعَالَى خَالِقهَا ومنشئها، وَهُوَ متممها ومدبرها"(١).

و"صفة الخلق بِالْألف وَاللَّام لا تجوز لغير الله ﷻ، والْخَلْقُ فِي كَلَام الْعَرَب: ابتداعُ الشَّيْء على مثالٍ لم يُسْبَقُ إليْه، (وهو) على ضَرْبَيْنِ:

أَحدهمَا: الْإِنْشَاء على مثالٍ أبدعه.

وَالْآخر: التَّقْدِير، قَالَ الله ﷻ: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة المؤمنون: ١٤]، مَعْنَاهُ: أحسنُ المقدرين، وَكَذَلِكَ قَوْله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [سورة العنكبوت: ١٧] أَي: تُقَدِّرون كَذبًا"(٢).

"وهي: صفةٌ من صفات الله الفعلية الثابتة بالكتاب والسنة، وهي: مأخوذة أيضًا من اسميه (الخالق) و(الخلاَّق)، وهي: من صفات الذات وصفات الفعل معًا"(٣).

والخالِقُ: "هُوَ: المبدِعُ للْخلقِ، والمُخْترِعُ لَهُ عَلَى غَيْر مِثالٍ سَبق"(٤).

وقد وردت صفة الخلق في هذه السورة في ثلاث آيات منها، هي:

١- قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، الزجاج، ص٣٧.

(٢) تهذيب اللغة، الهروي، (١٦/٧)، انظر: الصفدية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ط٢، مكتبة ابن تيمية، مصر، ١٤٠٦هـ، تحقيق: محمد رشاد سالم، (٢٤٠/١).

(٣) صفات الله عز وجل، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، ط٣، الدرر السنية، دار الهجرة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م، (د. ب)، ص١٥٤.

(٤) شأن الدعاء، الخطابي، (٤٩/١).

﴿رَقِيبًا ۝١﴾ [سورة النساء: ١].

٢- وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ۝٢٨﴾ [سورة النساء:٢٨].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة النساء:١١٩].

وقد دلت عليها السنة النبوية من حديث أَبَي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((قَالَ اللَّهُ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً))(١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ))(٢).

٢- التخفيف:

والمراد بالتخفيف: التيسير على أمة محمد ﷺ في كثير من الشرائع، رحمة بهم.

وصفة التخفيف ثابت لله ﷻ في القرآن الكريم.

وقد وردت صفة التخفيف في سورة النساء في آية منها، وهي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ۝٢٨﴾ [سورة النساء:٢٨]، ووجه الدلالة هي: لفظ: (يخفف)، فالله يخفف عن عباده من شرائعه التي افترضها عليهم رحمة بهم، فخفف الصلاة من خمسين إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، وقصر الصلاة ركعتين للمسافر تيسيرا عليه، وأباح للمريض الفطر في نهار رمضان، وغيرها من العبادات التي اتضحت بها صفة التخفيف، فالله لم يكلف عباده إلا ما يطيقون وما يستطيعون، ومشابه للآية السابقة قوله تعالى في سورة البقرة:

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (والله خلقكم وما تعملون، (١٦١/٩)، رقم (٧٥٥٩)، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة، (١٦٧١/٣)، رقم (٢١١١)، واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، (٢٠٤٤/٤)، رقم (٢٦٥٣).

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة:١٨٥].

٣- التوفيق:

هو: "عناية خاصة يتولاها رب العزة لبعض عباده فضلا منه ونعمة، فيجعل أعمال هذا العبد ومساعيه موافقه لأسباب ظفره بالخير الذي يجهل طرقه"(١).

وهو: صفة لله ﷻ مشتقة من الفعل: يوفق، الدال على وحدانيته، والتوفيق بيد الله ﷻ يختص به من يشاء من عباده نعمة وفضلا منه سبحانه.

وقد دلت سورة النساء على معنى التوفيق في آيتين منها، وهما:

١- قوله تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النساء:٣٥]، أي: فإن أراد الحكمان الإصلاح بين الزوجين، وإنهاء الخلاف، يوفق الله بينهما لذلك، وكذلك يوفق الله كل مصلح لقول الحق وعمل الصواب(٢)، ووجه الدلالة مجيء لفظ: (يوفق) في الآية.

٢- قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾﴾ [سورة النساء:٦٢]، والشاهد: لفظ: (توفيقاً) الوارد في الآية، والتوفيق دال على توحيد الله في ألوهيته.

٤- المشيئة:

٥- الإرادة:

صفتي المشيئة والإرادة ثابته لله تعالى بالقرآن والسنة، حيث وردتا في عدة مواضع من القرآن، كما وردتا في سورة النساء.

ففي المشيئة يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ

---

(١) التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد، عمر العرباوي الحملاوي، مطبعة الوراقة العصرية، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، (د. ط. ب)، ص٢٣٥.

(٢) جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٨/ ٣٣٢).

وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ [سورة النساء: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ [سورة النساء: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ [سورة النساء: ٩٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ [سورة النساء:١١٦]، وقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ [سورة النساء: ١٣٣].

وفي الإرادة يقول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ [سورة النساء: ٢٦-٢٨].

"فالمشيئة: صفة لله -تبارك وتعالى-، فهو سبحانه يفعل ما يشاء، والأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ومشيئة الله جل وعلا نافذة في كل شيء، لا تتخلف، ولا تُرد، ولا معقب لها، ما شاء الله لا بد أن ينفذ ويقع وفقًا وطبقًا لما شاءه، لا يمكن أن يكون في الكون ذرة أو حركة أو سكون أو قيام أو قعود أو مرض أو صحة أو ضعف أو قوة أو إيمان أو كفر إلا بمشيئة الرب ﷻ"(١).

وقد دلت على ذلك أيضاً السنة النبوية من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتْ: هَذِهِ يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ، وَالْمَسَاكِينُ، فَقَالَ اللهُ ﷻ لِهَذِهِ: أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ – وَرُبَّمَا قَالَ: أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ –

(١) تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط١، غراس للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، (د. ب)، ص١٥١.

وَقَالَ لِهَذِهِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا))[1].

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ، فَقَالَ: ((أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَأُخِذَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ، وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ، فَذَلِكَ إِلَى اللَّهِ: إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ))[2].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ((لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، وَلِيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ، إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لاَ مُكْرِهَ لَهُ))[3].

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ السَّائِلُ -وَرُبَّمَا قَالَ: جَاءَهُ السَّائِلُ- أَوْ صَاحِبُ الحَاجَةِ، قَالَ: ((اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ مَا شَاءَ))[4].

وعندما يتحدث أهل العلم عن المشيئة يذكرون معها صفة الإرادة، وقد وردت صفتي المشيئة والإرادة في آية واحدة في سورة البقرة، وهي: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٥٣]؛ لأن معناهما متقارب، إلا أن المشيئة واحدة لا تنقسم، ويندرج تحتها كل ما شاءه الله ﷻ، وكل ما قضاه الله وقدره في هذا الكون فإنه مندرج تحت المشيئة؛ فالخير والشر وكل حادث وكائن في هذا الكون مندرج تحت مشيئة الله ﷻ، إذن: كل شيء خلقه الله فقد شاءه[5].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، (٤/٢١٨٦)، رقم(٢٨٤٦).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ [التكوير: ٢٩]، (٩/١٣٨)، رقم(٧٤٦٨).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ [التكوير: ٢٩]، (٩/١٤٠)، رقم (٧٤٧٧).

(٤) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾ [التكوير: ٢٩]، (٩/١٣٩)، رقم (٧٤٧٦).

(٥) المباحث العقدية في سورة الزخرف، فادي محمد توفيق الفيشاوي، (١٤٣٣هـ – ٢٠١٢)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، غزة – فلسطين، ص٤٥.

وأما "الْإِرَادَةُ فِي كِتَابِ اللَّهِ فنَوْعَانِ: إِرَادَةٌ قَدَرِيَّةٌ كَوْنِيَّةٌ خَلْقِيَّةٌ، وَإِرَادَةٌ دِينِيَّةٌ أَمْرِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ، فَالْإِرَادَةُ الشَّرْعِيَّةُ هِيَ: الْمُتَضَمِّنَةُ لِلْمَحَبَّةِ وَالرِّضَا، وَالْكَوْنِيَّةُ هِيَ: الْمَشِيئَةُ الشَّامِلَةُ لِجَمِيعِ الْحَوَادِثِ"(١)، فما أراد الله تعالى فهو كائن، ولا بد أن يقع، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

ولقد وصف الله تعالى بعض المخلوقين بالإرادة، فقال: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة الأنفال: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾ [سورة الصف: ٨]، "ولا شك أن لله إرادة حقيقية لائقة بكماله وجلاله، كما أن للمخلوقين إرادة مناسبة لحالهم وعجزهم وفنائهم وافتقارهم، وبين إرادة الخالق والمخلوق كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق"(٢).

٦- الفعل والإيتاء:

صفة الفعل ثابته لله ﷻ في القرآن الكريم، ومنه هذه السورة، حيث ورد الفعل في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٧]، فالله سبحانه لَا يفعل بكم شيئا من العذاب ولا الإيلام في الآخرة إن كان منكم الشكر والإيمان، بل إنه ﷻ مجازيكم شاكرًا لكم توبتكم بعد الكفر، وطاعتكم بعد العصيان(٣)، والشاهد: صفة الفعل.

وكذلك لقد وصف الله نفسه بصفة الفعل الذي هو: الإيتاء في مواضع أخرى من السورة، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ [سورة النساء: ١٥٢]، وقوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، (٧٩/١)، انظر: شرح العقيدة الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس، ط٣، دار الهجرة، الخبر، ١٤١٥هـ، (٩٩/١)، شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط٦، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ، (٢٢٢/١).

(٢) الأسماء والصفات نقلا وعقلا، الأمين الشنقيطي، ص١١ – ١٢.

(٣) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (١٩٢٨/٤).

فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ [سورة النساء: ١٦٢]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾﴾ [سورة النساء: ١٦٣]، فلفظ الإيتاء الوارد في الآيات الثلاث فيه دلالة على أنها صفة لله -تبارك وتعالى-.

كما وصف الله ﷻ بعض المخلوقين بالفعل الذي هو: الإيتاء، في قوله تعالى من السورة: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾ [سورة النساء: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا﴾ [سورة النساء: ٢٠]، وكذلك جعل الله الإيتاء لرسوله كما في قوله تعالى في سورة الحشر: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [سورة الحشر: ٧]، ولا شك أن ما وصف الله به نفسه من الفعل مخالف لما وصف به بعض عباده، فصفات الله كمال، وصفات عباده يعتريها النقص(١).

٧- **التزكية:**

وهي: إصلاح النفوس بفعل المأمورات من الأعمال الصالحة، وتطهيرها بترك المحرمات من الأعمال السيئة(٢).

وقد ثبتت صفة التزكية لله تعالى في القرآن الكريم، فوردت في سورة النساء في آية منها هي قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [سورة النساء:٤٩].

فالله ﷻ يزكي من يشاء من عباده، فيصلحه ويطهره من دنس المعاصي، ويرقيه إلى أعلى

---

(١) انظر: الأسماء والصفات نقلا وعقلا، الشنقيطي، (١/١٥)، العقيدة في الله، عمر بن سليمان الأشقر، ط١٢، دار النفائس، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، (د. ب)، (١/٢٣٢).

(٢) انظر: الزهد والورع والعبادة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، ابن تيمية الحراني، الحنبلي، الدمشقي، تقي الدين، أبو العباس، ط١، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٧هـ، تحقيق: حماد سلامة، محمد عويضة، (١/ ٥٩)، معالم في السلوك وتزكية النفوس، عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، ط١، دار الوطن، ١٤١٤هـ، (د. ب)، (١/٥٧).

مراتب العبادة في الدنيا، والدرجات العالية في الآخرة، وهذه التزكية لا تأتي إلا بفضل من الله وتوفيقه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [سورة النور:٢١]، وأيضاً بجهادٍ من الإنسان نحو ترقية نفسه، وتطهيرها، كما قال تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة فاطر:١٨].

والتزكية نوعان(١):

الأول: تزكية منهي عنها، وهي: الأعجاب والمدح للنفس، فاليهود والنصارى قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة المائدة:١٨]، فليس للإنسان أن يمدح نفسه؛ لأنه قد يمدح نفسه أو غيره بما ليس فيه، وإن كان محقاً بذلك المدح قد يدخل هو أو المزكى الذي قصده في جانب الغرور والعجب والكبر، فيحبط العمل، ويكون صاحبه من الخاسرين.

والنوع الثاني: التزكية المأمور بها هي: تزكية الإصلاح، فيطهر نفسه بالأعمال الصالحة، وترك الأعمال السيئة، وهذا ما وقع من يوسف عليه السلام عندما زكى نفسه بقوله: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة يوسف:٥٥]، فقصد يوسف عليه السلام أنه الأصلح لذلك الأمر من غيره.

٨- **الرضى:**

الراء والضاد والحرف المعتل أصل واحد يدل على: الرضى، وهو: خلاف السخط، من قولك: رضيَ يرضىَ رضىً، وهو راضٍ(٢).

---

(١) انظر: الموسوعة العقدية، علوي السقاف وآخرون، (٣٧٩/١).

(٢) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٢٠٤/٢).

وصفة الرضى ثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد وردت في سورة النساء في آية واحدة فقط، في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة النساء:١٠٨]، ووجه الدلالة: أن هناك أقوالاً لا يرضاه الله ﷻ تنافي الإيمان، وتنافي ما أمر الله به، كما ثبت في هذه الآية.

فالرضى صفة لله ﷻ، وهي: صفة حقيقة فعلية متعلقة بمشيئته، فهو يرضى عن المؤمنين ولا يرضى عن الكافرين، ورضى الله متعلق بالعمل وبالعامل، فهو يرضى الأعمال الصالحة، ويرضى بالإيمان ولا يرضى الكفر والأقوال السيئة، كما ثبت في الآية السابقة من السورة(١)، وكما في قوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [سورة المائدة:١١٩].

٩- المحبة:

لقد ثبتت صفة المحبة لله -تبارك وتعالى- في كتابه والسنة النبوية في مواضع عدة، فقد وردت في سورة النساء في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النساء:٣٦]، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾﴾ [سورة النساء:١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿* لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [سورة النساء:١٤٨].

ونلاحظ في الآيات الكريمات ذكر لفظ: (لا يحب)، فالله يحب بعض الخصال دون بعض، فهو يكره بعضها ويبغضها، فالله يبغض الجهر بالسوء من القول لأحد كائنًا من كان إلا من ظلم، والحب والبغض والكره ينسب إلى الله بالمعنى الذي يليق به(٢).

فالشاهد: ثبوت صفة المحبة لله، وهي: ثابتة في السورة.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، (٢٥٩/١).

(٢) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٣/٦).

ومن السنة قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: ((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ))(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ))(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ))(٣).

فكل هذه الأخبار سواءً من النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية، تضمنت صفة المحبة لله ﷻ، وهي من صفات الفعل الاختيارية المتعلقة بمشيئته وإرادته، فالله يحب بعض الأشخاص، وبعض الأعمال وبعض الأخلاق دون بعض؛ على ما تقتضيه حكمته البالغة دون تنقيص بجلالة الله تعالى أو تشبيهًا بخلقة، فالحق أن المحبة صفة لله –تبارك وتعالى– على ما يليق به، ومن لوازمها أن يثيب الله عباده على فعل الطاعة، وينعم عليهم، ويوفقهم لرضاه(٤).

١٠- تنزيه الله عن اتخاذ الولد.

اتصف الله ﷻ بصفات كمال، فله الأسماء الحسنى والصفات العليا، والله منزه عن كل عيب ونقص، وقد تطرقت سورة النساء في آية منها بتنزيه الله عن اتخاذ الولد، في قوله تعالى: ﴿**وَلَا**

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، (١١١/٤)، رقم (٣٢٠٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والإستعانة بالله وتفويض المقادير لله، (٢٠٥٢/٤)، رقم (٢٦٦٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، (١٠٥/٨)، رقم (٦٥٠٢).

(٤) انظر: شرح العقيدة الواسطية، الهراس، (١٠٢/١).

﴿تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [سورة النساء: ١٧١].

"فالله منزه عن التعدد، وليس له أجزاء، ولا أقانيم(١)، ولا هو مركب من أجزاء، وليس له ولد، ولا شريك، ولا المسيح عيسى ابنه، ولا المسيح الله عينه، إنما القول الحق أن المسيح عيسى وأمه ومن في الأرض ملكه وخلقه وعبيده، وتحت تصرفه وتدبيره، لا يملكون ضرًا ولا نفعًا"(٢).

والله ﷻ قد نزه نفسه في سورة جامعة لهذا كله وهي سورة الإخلاص، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [سورة الإخلاص: ١-٣].

"فالمعبود بحق ليس إلا واحدًا، وهو الله تعالى ذو الجلال والإكرام، ووحدانيته تكون في الذات والصفات والعبودية، فليست ذاته الكريمة كذات المخلوقات، وهو وحده سبحانه الجدير بالعبودية والألوهية فلا معبود سواه، وهو وحده الخالق للكون، وقد تنزه سبحانه عن أن يكون له ولد؛ لأن هذه صفات المخلوقين، وذاته تعالى واحدة، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى: ١١]؛ لأن كون أحد ولده يقضي الاتصال بالمخلوقين، ويكون مثلهم، وهو الخالق لهم ولكل شيء، فكيف يكون المخلوق ولدا، وكيف يكون البشر متولدًا من الله تعالى الخالق له المنشئ المكون المربي"(٣).

وصدق الله عندما وصفة نفسه بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى: ١١].

---

(١) الأقنوم: هو الشخص، والأقانيم: يقصدون بها تارة الأشخاص، وتارة الخواص، وتارة صفات، وتارة جواهر، وتارة يجعلونها اسمًا للذات والصفة، انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، (٤٧٧/١)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ط٢، دار العاصمة، السعودية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، (٢٠٠/٣).

(٢) التفسير المنير، للزحيلي، (٤٦/٦)، انظر: التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، ط١٠، دار الجيل الجدي، بيروت، ١٤١٣هـ، (٤٦٨/١).

(٣) زهرة التفاسير، لأبي زهرة، (١٩٨٤/٤)، انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص٢١٦.

وقد ذكرت السنة النبوية أحاديث تنزه الله تعالى عن اتخاذ الولد، منها: عن ابن عباس ﷺ: عن النبي ﷺ قال: ((قال الله: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي: فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان، وأما شتمه إياي: فقوله: لي ولد، فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا))(١).

فسمى الله ﷻ من نسب له الولد من أهل الكتاب ومشركي العرب حين قالوا: الملائكة بنات الله شتمًا؛ لأن فيه ازدراء، ونقص؛ لأن الولد لا يكون إلا عن والدة تحمله ثم تضعه، والله سبحانه واجب الوجود، موجود قبل وجود الأشياء، وكل مولود محدث، ولو كان الله متخذ ولدًا لتخذ خليفة يقوم بأمره من بعده، فيلزم من ذلك فناءه وزواله ﷻ عما يقولون علوًا كبيرًا(٢).

وقد قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا، وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ))(٣).

فهذا الحديث يبين أن الله سبحانه صبور، وهو من أسمائه الحسنى، فهو لا يعاجل بالعقوبة والانتقام ممن نسب له الولد، بل يصفح ويتجاوز، بدليل أنه يرزقهم ويعافيهم ويعطيهم(٤)، فله الأسماء الحسنى والصفات العليا، موصوفٌ بالكمال منزه عن كل ما لا يليق به.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه﴾ [البقرة: ١١٦]، (١٩/٦)، رقم (٤٤٨٢).

(٢) انظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، ط٧، المطبعة الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ، (١٣/٧)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المعروف بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ، (٤٧٣/٤)، مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان المباركفوري، ط٣، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء الجامعة السلفية، بنارس الهند، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، (٨٣/١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل، (٢١٦٠/٤)، رقم (٢٨٠٤).

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، (د. ط)، (٣٦٠/١٣)، إرشاد الساري، القسطلاني، (٣٦٢/١٠).

ومما سبق يتضح أن صفات الله تعالى الواردة في سورة النساء عشر صفات، هي: (الخلق، التخفيف، التوفيق، المشيئة، الإرادة، الفعل والإيتاء، التزكية، الرضى، المحبة، تنزيه الله تعالى عن اتخاذ الولد)، وفي هذا دليل على توحيد الله تعالى في صفاته، وأن له صفات الكمال التي لا يشاركه فيها أحد.

المطلب الثاني: مسألة رؤية الله تعالى، وأقوال أهل العلم فيها[1].

لقد تطرقت سورة النساء في آية منها إلى مسألة رؤية الله ﷻ، وهذا يفضي بنا إلى الحديث عن معرفة أقوال أهل العلم في مسألة رؤية الله ﷻ في الدنيا والآخرة، على النحو التالي:

أولاً: بيان الرؤية الواردة في السورة:

وردت الإشارة إلى الرؤية في السورة، في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة النساء: ١٥٣]، وبيان الآية: أن أناسًا من اليهود قالوا للرسول ﷺ: إن كنت نبيًا فأتنا بكتاب جملة، كما أنزل كتاب جملة على موسى، فنزل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا﴾، فرد الله مواسيًا لنبيه محمد ﷺ بأنهم قد سألوا موسى أكبر من هذا، ﴿فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي: عيانًا، فأخذتهم الصاعقة[2].

والشاهد من هذه الآية: ذكر كلمة الرؤية، وإن كانت الآية تبين طلب اليهود رؤية الله تعالى في الدنيا، لكن الدراسة ستتطرق إلى الحديث عن رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة بشكل عام ليتضح المعنى.

ثانياً: اختلاف العلماء في رؤية الله تعالى:

لقد اختلف أهل العلم في مسألة رؤية الله ﷻ في الدنيا والآخرة على ثلاثة أقوال:

القول الأول: رؤية الله ﷻ جائزة في الدنيا والآخرة.

---

(١) جعلت هذه المسألة ضمن مسائل الأسماء والصفات؛ لأن من صفات الله أنه يُرى، ورؤية الله ثابتة بالكتاب والسنة، وإن كانت المسألة فيها خلاف بين أهل العلم، وتوحيد الأسماء والصفات مرتبط بتوحيد الربوبية عند من جعل التوحيد نوعين القصد والطلب، وتوحيد المعرفة والإثبات، ويقصد به: (توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (١٣١/٢)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (١٠٦/٢)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (٢٤٩/٢).

القول الثاني: رؤية الله ﷻ غير جائزة في الدنيا والآخرة.

القول الثالث: رؤية الله ﷻ جائزة وممكنة في الدنيا الآخرة، غير أنها واقعة عقلاً وشرعًا في الآخرة فقط.

وتفصل الأقوال في الآتي:

أولاً: القول الأول: رؤية الله ﷻ جائزة في الدنيا والآخرة:

يرى أصحاب هذا المذهب، وهو منسوب إلى الصوفية(١): أن الأولياء يرون الله –تبارك وتعالى– في الدنيا والآخرة كلما شاءوا، والرؤية خاصة بهم دون أعدائهم(٢).

وقد قيل في تفسير هذه الآية: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣]، قال العز بن عبد السلام(٣): "لا تحيط به أو لا تراه، أو لا تدركه في الدنيا وتدركه في الآخرة، أو لا تدركه أبصار الظالمين في الدنيا والآخرة، وتدركه أبصار المؤمنين، أو لا تدركه بهذه الأبصار بل لا بدّ من خلق حاسّة سادسة لأوليائه يدركونه بها"(٤).

---

(١) الصوفية هي: حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري، وكانت تدعو في بدايتها إلى الزهد في الدنيا والتخلي عنها وشدة الانقطاع للعبادة، واتخذوا في ذلك طريقة على هدي النبي ﷺ، ثم تطورت إلى أن أصبحت لهم طرق مميزة في الدين باسم الصوفية، تدعو إلى تربية النفس بالسمو بهدف الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة، واختلطت بالفلسفات الوثنية والهندية والفارسية. انظر: تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، ص١٤٥، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٤، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، (د. ب)، (٢٤٩/١).

(٢) انظر: التبصير في معالم الدين، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ط١، دار العاصمة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، (د. ب)، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، (٢١٨/١).

(٣) عبد الْعَزِيز بن عبد السَّلَام بن أبي الْقَاسم بن حسن بن مُحَمَّد ابْن مهذب السّلمِيّ، كان قاضيًا وقائمًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، أشتغل في التدريس والتصنيف والإفتاء،، وُلِد سنة وخمسمائة، وسبع أو ثمانٍ وسبعين وتوفي سنة ستمائة وستين هجرية رحمه الله، له مصنفات عديدة منها: (تفسير القرآن)، (مجاز القرآن)، (قواعد الإحكام في مصالح الأنام)، انظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب السبكي، ط٢، هجر للطباعة، ١٤١٣هـ، (د. ب)، (٢٠٩/٨)، طبقات الشافعيين، ابن كثير، (٨٧٣/١)، تاريخ الإسلام، الذهبي، (٩٣٣/١٤).

(٤) تفسير القرآن، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، (٤٦٣/١).

فالشاهد: قوله: (لا تدركه أبصار الظالمين في الدنيا والآخرة، وتدركه أبصار المؤمنين)، فكأن المؤمنين هم الذين يرون الله في الدنيا والآخرة.

وقال الإيجي[١] في تفسيره لهذه الآية: "أي: لا تدركه في الدنيا أو لا يحيط به الإبصار، فإن الإدراك أخص من الرؤية، أو لا يراه أحد على ما هو عليه لا بشر ولا ملك، لكن إذا تجلى[٢] بوجه يمكن رؤيته تدركه الأبصار"[٣].

قوله: (لكن إذا تجلى) يقصد: إذا تجلى وظهر لبعض عباده يمكن رؤيته، فالله تعالى يتجلى لأوليائه فقط دون أعدائه، وذلك حينما يصل المرء إلى مرحلة المكاشفة[٤]، فتظهر له من المعاني والأسرار ما لا تنكشف لغيره، فيحدث عن الله تعالى مباشرة، ولا يصل إلى هذه المرحلة إلا بعد تدريب نفسه وتهذيبها، والخلوات مع الله تعالى لفترة طويلة، وترديد الأذكار لمرات عديدة بطريقة لم ترد في الشرع[٥]، مستلهمين ذلك من سيرة النبي ﷺ، فقد كان يخلو بنفسه للعبادة في غار حراء قبل البعثة.

---

(١) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ، كان مفسرًا، توفي سنة تسعمائة وستة رحمه الله من مصنفاته: جامع البيان في تفسير القرآن، ورسالة في بيان المعاد الجسماني والروح، انظر: الأعلام، الزركلي، (١٩٥/٦)، معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، (١٠/ ١٥٣).

(٢) التجلي هو: ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب، انظر: التعريفات، الجرجاني، ص٥١.

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م، (٥٦٥/١).

(٤) الكشف هو: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجودًا وشهودًا، انظر: التعريفات، الجرجاني، ص١٨٤، والكشف عَن الخواطر هو: أَن يبْحَث عَن كل مَا يخْطر على سره فيتابع مَا للحق ويدع مَا لَيْسَ لَهُ، انظر: التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط. ت)، ص٩٠، وقال الغزالي: إنه لا يستدل بالسمع على شيء من العلم الخبري، وإنما الإنسان يعرف الحق بنور إلهي يقذف في قلبه ثم يعرض الوارد في السمع عليه، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه، وما خالف أولوه، (الذي يدل من كلامه أنه يقصد المكاشفة)، انظر: إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت، (د. ط. ت)، (١٨٠/١)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، (د. ط)، (٧٨/٣).

(٥) انظر: الكَشْف المُبْدِي لتمويه أبي الحسن السُّبكيّ، محمد بن حسين بن سليمان بن إبراهيم الفقيه، ط١، دار الفضيلة، الرياض، ٢٠٠٢م، تحقيق: صالح بن علي المحسن وأبو بكر بن سالم شهال، ص١٠١.

وقال الغزالي[1]: "إن من ارتفع الحجاب بينه وبين الله تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه، فيرى جنة عرض بعضها السماوات والأرض"[2].

فالمراد: أن المرء إذا ارتفع الحجاب له قد يرى الله تعالى والملائكة والأنبياء، فالعارف بالله تعالى هو: الذي لا يرى في نومه ولا يقظته إلا الله تعالى، ولا يطالع ولا يحدث ولا يوافق غير الله تعالى، وبالمعرفة تضاء له أنوار العلم، ويبصر به عجائب الغيب، فيرى الملائكة والأنبياء والرسل، ويرى الله ﷻ[3].

والشاهد: أن الرؤية لله تعالى في الدنيا خاصة بالأولياء والصالحين من أمة محمد عليه الصلاة والسلام، وهذا على مذهب الصوفية.

ثانياً: القول الثاني: رؤية الله غير جائزة في الدنيا والآخرة:

ذهب أصحاب هذا المذهب، وهم المعتزلة[4] إلى أن الرؤية غير متحققة في الدنيا والآخرة،

---

(١) أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي، كان فقيهًا شافعيًا، وفيلسوفًا، اشتغل بالتدريس، وتصنيف الكتب، ولد بطوس سنة أربعمائة وخمسين، وتوفي يَوْم الِاثْنَيْنِ الرَّابع عشر من جُمَادَى الْآخِرَة سنة خمسمائة وخمسة، له مصنفات عديدة، منها: (إحياء علوم الدين)، (المنقذ من الضلال)، (تهافت الفلاسفة)، (محك النظر)، (القسطاس)، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، (٢١٧/٤)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢٦٧/١٤)، طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، (١٩١/٦)، الأعلام، الزركلي، (٢٢/٧).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي، (١٥/٣)، انظر: كيمياء السعادة، والأصل: كتاب اسمه كميائي سعادات في مجلدين كبار وهو ترجمة تقريبا لكتابه الإحياء مع تغير بسيط، ص١٣٦، المنقذ من الضلال، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الكتب الحديثة، مصر، (د. ط. ت)، ص١٧٨.

(٣) انظر: الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، دار المعارف، القاهرة، (د. ط. ت)، تحقيق: عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف، (٢/ ٤٠١).

(٤) المعتزلة هم: فرقة كلامية تنسب إلى الفرق الإسلامية، وقيل: سموا بذلك؛ لأنهم اعتزلوا قول الأمة في مسألة: أن الفاسق في منزلة بين منزلتين، أي: لا مؤمن ولا كافر، وقيل: إن رجلاً سأل الحسن البصري عن حكم مرتكب الكبيرة، فأجاب واصل بن عطاء الغزال، وكان من تلامذة الحسن بقوله: لا أقول مؤمن مطلقًا ولا كافر، واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر هذه العقيدة، فطرده الحسن البصري، وقال: اعتزل عنا واصل بن عطاء، وقيل: إن الحسن بن علي عندما بايع معاوية اعتزلوا الحسن ومعاوية، فسموا بذلك، لهم مسائل عقدية كثيرة تخالف أهل السنة قد أشرت إلى بعضها في الهامش في الفصل الثالث، مبحث الجوانب المتعلقة باليوم الآخر، انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، =

وقد استدلوا بالآتي:

١- قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة النساء: ١٥٣].

والشاهد من الآية هنا: أن بني إسرائيل طلبوا أمرًا محالاً، والرؤية بحد ذاتها أمر محال؛ لأن ما لا يجوز أن يكون في جهة محال أن يرى، ومن أجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام والأعراض، والله منزه عن هذا(١).

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣].

فقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾، (لن): تفيد تأكيد النفي الذي تعطيه (لا)، وذلك أن: (لا) تنفي

=

محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، (د. ط. ت)، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ص٣٦ – ٣٧، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م، ص٩٤، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد البغدادي، ط١، عالم الكتب، لبنان، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ص٦٧، الحور العين، نشوان بن سعيد الحميري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨م، (د. ط)، ص٢٠٤ – ٢٠٥، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط. ت)، تحقيق: علي سامي النشار، ص٣٩، التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك الدوسري، ط٣، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ، (٤٦/١). وتنسب مسألة نفي الرؤية أيضاً للقدرية، وسوف يأتي تعريفها في الفصل الثالث المبحث الثاني.

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري، (١٤١/١).

المستقبل، كقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [سورة الأنعام:١٠٣]، نفي للرؤية فيما يستقبل(١)، فالمراد من كلامه: أن (لَن) تفيد النفي في المستقبل، فعلى هذا: فالرؤية غير متحققة في الدنيا ولا الآخرة.

٣- قولـــه تعـــالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣].

استدلوا من الآية بأن المؤمنين لا يرون الله تعالى؛ لأن الأبصار إنما يكون لمن له جهة، كالأجسام، والله متعال عن ذلك، فالرؤية غير متحققة دنيا وآخرة(٢).

وفي الآية السابقة: "إشارة أنه سبحانه لطيف لا يرى، إذ لو رؤي لتحدّد، ولو تحدّد لتجسّم، ولو تجسّم لكان مركبًا، ولو كان مركبًا لكان مخلوقاً...، أما الله ﷻ، فهو يرى كل موجود، ويبصر كل مبصر، فهو سبحانه يملأ عين المبصرين بنوره، ولكنهم لا يبصرونه، ﴿وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾، الذي جلّ بلطفه عن أن يرى، وعلا بعلمه أن يغيب شيء عنه"(٣).

وما دام الله تعالى ليس بجسم ولا عرض، ولا يجوز عليه ما يجوز على الأجسام والأعراض، من المقابلة والمجاورة، والحلول والمماسة، والهبوط والارتفاع، أو الانحدار والانتقال من مكان إلى آخر، ولا تجوز عليه الزيادة ولا النقصان، وبناءً على هذا: فالله لا يجوز رؤيته بالأبصار، ولا يدرك بأي شيء من الحواس(٤).

وقاعدتهم التي ينطلقون منها: أنهم أنكروا صفة العلو والفوقية لله ﷻ، وقالوا: إن من يرى لزم عليه أن يكون في جهة، ومن يكون في جهة لزم أن يكون له جسم، والله منزه عن هذا كله.

٤- قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [سورة المطففين: ١٥].

قالوا: هذه الآية دالة على أنهم محجوبون عن ثوابه يوم القيامة لا عن رؤيته؛ لأن الله تعالى

---

(١) انظر: الكشاف، للزمخشري، (١٥٤/٢).

(٢) المرجع السابق، (٥٤/٢).

(٣) التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، (٢٥٤/٤).

(٤) انظر: شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، تحقيق: عبد الكريم عثمان، ص٦٦.

لا يوصف بمكان فيحل فيه فيحجب عن عباده[1].

فخلاصة أقوالهم: أن الله ﷻ لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة عملاً بهذه الأدلة.

ثالثاً: القول الثالث: **رؤية الله جائزة وممكنه في الدنيا والآخرة، غير أنها واقعة عقلاً وشرعاً في الآخرة فقط**: وهذا مذهب أهل السنة[2].

رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة وممكنة بدليل: سؤال موسى ربه، وعدم إنكار الله تعالى عليه، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣]، لكنها غير واقعة؛ لضعف البشر عن رؤيته[3]، أما في الآخرة فالمؤمنون يرون ربهم في الجنة، "وهي: رؤية دون محاذاة ولا تكييف ولا تحديد كما هو معلوم، موجود لا يشبه الموجودات، كذلك هو لا يشبه المرئيات في شيء، فإنه ليس كمثله شيء لا إله إلا هو"[4]، واستدلوا بالآتي:

١- قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣]، فتكون وجوه المؤمنين مسرورة حسنة من النعيم والغبطة الذي نالوه في الجنة، جزاء لهم على ما فعلوه في الدنيا من عبادة الله، وأكبر نعيم: أنهم ينظرون إلى ربهم ﷻ، وهذا هو الشاهد،

---

(١) انظر: التوحيد، حمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، مكتبة البو ور حمجصه (المصطفوي)، طهران، ١٣٧٥هـ، (د. ط)، ص١٠٥.

(٢) أهل السنة: أهل النقل والأثر المتبعين آثار رَسُول اللَّهِ ﷺ وآثار أصحابه، هم أهل السنة، لأنهم عَلَى تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رَسُول اللَّهِ ﷺ وأصحابه، وسموا بذلك لاتباعهم سنة النبي ﷺ، انظر: تلبيس إبليس، لابن الجوزي، ص١٧، المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، (د. ط. ت. ب)، تحقيق: محب الدين الخطيب، ص١٨٩، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، الأثري، (٣٦/١)، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان جمعة ضميرية، ط٢، مكتبة السوادي، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، (د. ب)، ص١٤٨، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، ط٣، دار طيبة، ١٤٢٨هـ، (د. ب)، (٢٦/١).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص١٩٥.

(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٤٠٥/٥)، انظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، (٥٢٣/٥).

فقوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، أي: تنظر إلى ربها[1]، وَالنَّظر إذا عدي بإلى اقتضى رؤية البصر.

فإن عارضوا هذا الرأي بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٣]، فالجواب بأن الله تعالى يرى ولا يدرك، والأدراك يعني: الإحاطة، ودرك الغاية، والله سبحانه منزه عن الإحاطة وعن الغاية والنهاية[2].

٢- في قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [سورة الزخرف: ٧١]، وكذلك قَوْله: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝٥٧﴾ [سورة النحل: ٥٧]، "دلَالَة أَنهم يرَوْنَ الله؛ لِأَن من الْمحَال أَن لَا يَشْتَهِي أَوْلِيَاء الله وَأهل طَاعَته أَن يرَوا معبودهم، وخالقهم الَّذِي خلقهمْ، وأوصلهم إِلَى جواره، وأنزلهم فِي دَاره، وَحقّ عَلَى المزور أَن يكرم زَائِره، كَمَا لَو أَن ملكًا من الْمُلُوك أكْرم بعض أوليائه، وأضافه عِنْده فِي دَاره، ثمَّ احتجب عَنهُ، كَانَ مَنْسُوبا إِلَى بعض الْمُرُوءَة وَالْكَرم، فَالله ﷻ أولى بِالْكَرمِ والإفضال وإتمام النِّعْمَة الَّتِي منَّ بهَا عَلَيْهِم، وَلَا يكون تَمام النِّعْمَة إِلَّا بِالنّظرِ إِلَيْهِ ﷻ، حَتَّى إِن جَمِيع نعم أهل الْجنَّة لتغرق فِي جنب مَا أنعم الله عَلَى أوليائه بِالنّظرِ إِلَيْهِ ﷻ"[3].

٣- ومن الأدلة على ذلك الأحاديث عن النبي ﷺ، ومنها: قوله ﷺ: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ[4] فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ

---

(١) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٧١/٢٤)، بحر العلوم، السمرقندي، (٥٢٢/٣)، معالم التنزيل، البغوي، (١٨٥/٥)، المحرر الوجيز، ابن عطية، (٤٠٥/٥).

(٢) انظر: لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ط٢، عالم الكتب، لبنان، ١٩٨٧م، تحقيق: فوقية حسين محمود، ص١١٨.

(٣) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، ط٢، دار الراية، السعودية، ١٩٩٩م، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، (٥٢٥/٢).

(٤) لا تضامون، أي: لا ينضمّ بعضكم إلى بعضٍ فيُزاحمه ويقول له: أرنيه، كما يفعلون، عند النظر إلى الهلال، ولكن ينفرد كل منهم برؤيته، انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٤٨٦/٤).

طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا))[1]، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة ق: ٣٩].

"والرؤية في الآخرة ثابتة عن النبي ﷺ، كما ورد في الحديث السابق، وهي جائزة عقلا دون تحديد ولا تكييف ولا تحيز، كما هو تعالى معلوم لا كالمعلومات، كذاك هو مرئي لا كالمرئيات، هذه حجة أهل السنة وقولهم"[2].

الرأي الراجح: هو القول الثالث: قول من قال: إن الرؤية لله ﷻ جائزة وممكن في الدنيا والآخرة، غير أنها واقعة عقلاً وشرعًا في الآخرة فقط، والدليل على ذلك ما سبق، وأيضاً:

١- قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة ق: ٣٥]، قالوا: هذه الآية كقوله تبارك وتعالى: ﴿* لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس: ٢٦]، فمعنى الزيادة أي: النظر إلى الله ﷻ[3].

٢- أن ﴿نَاظِرَةٌ﴾ في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة: ٢٢-٢٣]، تعني: النظر إلى الله ﷻ، وهذا الذي اختاره ابن جرير[4]، وبيان

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة﴾ [القيامة: ٢٣]، (١٢٧/٩)، رقم (٧٤٣٤)، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها، (٤٣٩/١)، رقم (٦٣٣)، واللفظ للبخاري.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية، (١٣١/٢)، انظر: أصول الدين، جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، تحقيق: عمر وفيق الداعوق، ص١٧، شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص١٨٩، أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، (١٤١٤هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم العقيدة والمذاهب، (د. ب)، (٥٥٠/٢)، الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، سهل بن رفاع بن سهيل الروقي العتيبي، (د. ت)، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الرياض، ص٣٣٢.

(٣) انظر: تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، تحقيق: مجدي باسلوم، (٣٦٥/٩)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢١/١٧)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤٠٧/٧).

(٤) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٧١/٢٤).

ذلك: أن الفعل (نظر) إما أن يتعدى بنفسه أو بـ (في)، أو بـ (إلى)، فإن تعدى بنفسه كما في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [سورة الحديد: ١٣]، يكون المراد منه: الانتظار، فمعنى: ﴿ٱنظُرُونَا﴾: انتظرونا، أي: انتظرونا نمر معكم، نستفيد من نوركم، وإذا تعدى بـ (في)، كما في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٥]، يكون المراد منه: الرؤية القلبية أو التدبر، فمعنى: ﴿يَنظُرُوا۟﴾: ينظروا بقلوبهم، وإذا تعدى بـ (إلى)، كما في قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة القيامة:٢٣]، يكون المراد منه: الرؤية البصرية(١)، فمعنى: ﴿نَاظِرَةٌ﴾: تنظر إلى ربها، وهذا يقوي القول برؤية الله ﷻ في الآخرة.

وأما الرد على أدلة القولين الآخرين، فتفصيل ذلك فيما يأتي:

١- أن (لن) التي استدل بها نفاة الرؤية لا تفيد النفي المؤبد، وإنما هي للنفي المؤقت، بدليل أن الله تعالى أخبر عن أهل الكتاب عدم تمنيهم للموت في قوله تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا﴾ [سورة البقرة: ٩٥]، ثم هم سيتمنونه في الآخرة، لقوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [سورة الزخرف:٧٧]، فثبت أن (لن) لا تقتضي النفي المؤبد(٢).

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [سورة الأعراف:١٤٣]، هذه الآية من أوضح الأدلة على جواز الرؤية، ولو كانت مستحيلة لما طلبها موسى ﷺ، وهو أعرف أهل زمانه بربه، وأعرف ما يجوز على ربه وما لا يجوز، فقد اصطفاه الله لرسالته واجتباه لنبوته(٣).

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص١٩٠، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٤٣٤/٢).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص١٩٢.

(٣) انظر: لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، أبو المعالي عبد الملك بن محمد الجويني، ص١١٨، شرح النووي على صحيح مسلم، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ، (٤/٣)، الأساس في السنة، سعيد حوّى، ط٢، دار السلام، ١٩٩٢م، (د. ب)، (١٤١٧/٣)، الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، ص٣٣٥.

٣- وأما من قال: بأن الرؤية لله تعالى في الدنيا متحققة وواقعة، وهو مذهب الصوفية، فالجواب: أن أبصار الناس لا تقوى على رؤية الله تعالى؛ لضعفهم في الدنيا، لكن الله يعطيهم القدرة في الآخرة على رؤيته(١)، كما أن الجبل على عظمته لم يثبت أمام نور الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣]، وكذلك يدل قول النبي ﷺ: ((تَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ))(٢)، يدل على نفي الرؤية في الدنيا، فهذا الحديث يدل على أن الرؤية ممتنعة في الدنيا، وإن كانت ممكنة، لكنها غير واقعة لضعف البشر، والله أعلم.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص١٩٥، الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، ص٣٣٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر ابن صياد، (٤/٢٢٤٥)، رقم (١٦٩).

الفصل الثاني:
الإيمان بالكتب السماوية وبالأنبياء والرسل

وفيه مبحثين:

- المبحث الأول: الكتب السماوية.
- المبحث الثاني: الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الأول:

الكتب السماوية.

وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: التعريف بالكتب السماوية والإيمان بها وأهميتها في هداية البشرية، وبيان فضل القرآن الكريم على سائر الكتب السماوية.
- المطلب الثاني: الكتب السماوية الوارد ذكرها في السورة.
- المطلب الثالث: الكفر والاستهزاء بالكتب السماوية.

المطلب الأول: التعريف بالكتب السماوية، والإيمان بها، وأهميتها في هداية البشرية، وبيان فضل القرآن الكريم على سائر الكتب.

ستتناول الدراسة في هذا المطلب: تعريف الكتب السماوية السابقة، والإيمان بها، وأهميتها في هداية البشرية، مع ذكر فضل القرآن الكريم على الكتب السماوية السابقة.

أولاً: تعريف الكتب السماوية:

الكتب لغة:

الكتب: جمع كتاب، وكَتَبَ: الْكَافُ وَالتَّاءُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى: جَمْعِ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، ومِنْ ذَلِكَ الْكِتَابُ وَالْكِتَابَةُ. يُقَالُ: كَتَبْتُ الْكِتَابَ أَكْتُبُهُ كَتْبًا(١).

وعُرِفَ الكتاب كذلك بأنه: الصُّحُف الْمَجْمُوعَة والرسالة، جمعه كُتُب، ومنه: القرآن والتوراة وَالْإِنْجِيل(٢).

وكل ما جمع بين دفتي الغلاف من العلوم والأحكام والشرائع يسمى: كتاب، كالقرآن والتوراة والانجيل وغيره.

الكتب السماوية في الاصطلاح:

"هُوَ: اسم جِنْسٍ يَشْمَلُ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، حَتَّى خُتِمَتْ بِأَشْرَفِهَا، وَهُوَ القرآن الْمُهَيْمِنُ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ"(٣).

وعُرِفتْ أيضاً بأنها: الكتب والصحف التي حوت كلام الله تعالى، الذيَ أوحاه إلى رسله عليهم السلام، سواء ما ألقاه مكتوبًا كالتوراة، أو أنزله عن طريق الملك مشافهة فكتب بعد ذلك، كسائر

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، (١٥٨/٥)، انظر: تهذيب اللغة، الهروي، (٨٧/١٠)، الصحاح، الفارابي، (٢٠٨/١).
(٢) المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون، (٧٧٥/٢).
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤٨٦/١).

الكتب[1]، فالله أنزل كتبًا سماوية إلى رسله على عباده بالحق، تضمنت هداية ونورًا للبشر.

ثانياً: الإيمان بالكتب السماوية:

الإيمان بالكتب السماوية المنزلة من عند الله واجبٌ، فهي أصل من أصول العقيدة، وركن من أركانها؛ إذا لا يتم إيمان العبد إلا إذا آمن بها جميعًا من غير تفريق فيما بينها؛ فهي منزلة من عند الله، وأنزلت على أنبيائه الذين لا يتكلمون إلا بوحي منه، كقوله تعالى مبينًا وجوب الإيمان بالكتب من سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ﴾ [سورة النساء: ١٣٦]، ففي هذه الآية أمر الله تعالى عباده الإيمان به وبرسوله وبالكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ، وهو القرآن، وبالكتاب الذي أنزل من قبل وهو: التوراة والإنجيل، وسائر الكتب المتقدمة[2].

والشاهد: وجوب الإيمان بالكتب السماوية، كالقرآن وغيره من الكتب.

"وفيه دلالة عَلَى أَنَّهُ لَا نَبِيَّ إِلَّا مَعَهُ كِتَابٌ مُنَزَّلٌ فِيهِ بَيَانُ الْحَقِّ طَالَ ذَلِكَ الْكِتَابُ أَمْ قَصُرَ، وَدُوِّنَ ذَلِكَ الْكِتَابُ أَوْ لَمْ يُدَوِّنْ، وَكَانَ ذَلِكَ الْكِتَابُ مُعْجِزًا أَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ"[3].

وقال ابن كثير: "فَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ أَحَدٌ فَرْدٌ صَمَدٌ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، وَيُصَدِّقُونَ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ الْمُرْسَلِينَ وَالْأَنْبِيَاءِ..."[4].

فالشاهد من كلامه: أنهم يؤمنون بجميع الكتب السماوية.

---

(١) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، لنخبة من العلماء، ص١٢٧.

(٢) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٣١٢/٩)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، ط١، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، تحقيق: أبي محمد بن عاشور، (٤٠١/٣)، معالم التنزيل، البغوي، (٧١٢/١).

(٣) مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، الفخر الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، (٣٧٥/٦) بتصرف بسيط.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٧٣٦/١).

وبالجملة؛ فالإيمان بالكتب هو: الإيمان بالقرآن الكريم وبغيره من الكتب المنزلة على الرسل، سواءً التي سمى لنا الله منها، وهي: القرآن، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، والتي لم يسم، "وَأَمَّا الْإِيمَانُ بِالْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، فَنُؤْمِنُ بِمَا سَمَّى اللَّهَ تَعَالَى مِنْهَا فِي كِتَابِهِ، مِنَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى سِوَى ذَلِكَ كُتُبًا أَنْزَلَهَا عَلَى أَنْبِيَائِهِ، لَا يَعْرِفُ أَسْمَاءَهَا وَعَدَدَهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى"(١).

وأما ما جاء في السنة النبوية عن وجوب الإيمان بالكتب السماوية السابقة، فكثير منها: حديث جِبْرِيلُ عندما سأل النبي ﷺ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: ((الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ))(٢).

ثالثاً: أهمية الكتب السماوية في هداية البشرية(٣):

للكتب السماوية أهمية كبيرة في هداية البشرية، وهي مجملة في النقاط التالية:

١- بيان طريق الهداية للناس لمعرفة ربهم وإرشادهم:

أنزل الله تعالى الكتب السماوية لتكون منارًا للعلم، ففيها يجد الناس كل ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى﴾ [سورة المائدة: ٤٤]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠﴾ [سورة الإسراء: ٩-١٠].

٢- إقامة الحجة على الخلق:

أنزل الله تعالى الكتب حتى يقيم الحجة على خلقه، فلا يبقى يوم القيامة أي عذر لمعتذر، وقد بين الله ﷻ هذا في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، (٢/٤٢٤).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، (١/١٩)، رقم (٥٠).

(٣) انظر: منشور على موقع الشبكة الإسلامية، طريق الإسلام، https://ar.islamway.net>article ومنشور على موقع الأيام، www.alayam.com/alayam/vari

وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٩﴾ [سورة المائدة: ١٩].

٣- تأييد الرسل، ودليل لهم على صدق دعوتهم:

أنزل الله تعالى الكتب السماوية تأييدًا لرسله في صدق دعواهم بالبعثة والاصطفاء، ولتساهم في تقويم سلوك البشرية وتعديل عقائدهم.

٤- مواساة للرسل:

كان للكتب السماوية دورًا بارزًا في مواساة الأنبياء والرسل والتخفيف عنهم في مواجهة أقوامهم بما كان يوحى إليهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ [سورة النحل: ١٢٧]، وهي كذلك لمن بعدهم من الصالحين الذين ساروا على نهج الأنبياء والرسل في الصبر على الدعوة وتحمل الأذى، كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

٥- بيان كيفية الحكم بين الناس بالعدل:

أنزل الله تعالى الكتب السماوية لبيان كيفية الحكم بالعدل بين الناس عند الاختلاف، كالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [سورة النساء:١٠٥]، وليأخذ كل ذي حق حقه، وحتى لا يظلم أحدٌ أحدًا، كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [سورة الحديد: ٢٥].

٦- بينت الكتب السماوية أصول التشريع، وأهم الأوامر والنواهي، والحلال والحرام:

لقد نصت الكتب السماوية على لسان أنبيائها التشريع، فبينوا الحلال والحرام، كما قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي

حُرِّمَ عَلَيۡكُمۡۚ وَجِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٥١﴾ [سورة آل عمران: ٥٠-٥١]، وقال تعالى: ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧].

كما أكدت الكتب السماوية أن أصل دعوتها واحد؛ فكلها تدعو إلى توحيد الله تعالى، ونبذ ما سواه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥].

رابعًا: فضل القرآن الكريم على الكتب السماوية:

دلّت سورة النساء على أن فضل القرآن عظيم على جميع الكتب السماوية؛ لسلامته من التناقض والتحريف، ولو كان من كلام غيره لوجدوا فيه اختلافًا واضطرابًا كبيرًا، وذلك في آية واحدة منها هي: قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [سورة النساء: ٨٢]، أي: أفلا ينظرون في القرآن الكريم، ويتفكرون في ترابط ألفاظه، وقوة معانيها، وخلوها من الاضطراب، وسلامة أخباره من التناقض والاختلاف، ولو كان من كلام غيره لوجدوا فيه تناقضًا كثيرًا، وهذه طبيعة كلام البشر، وكتبهم المليئة بالاختلافات التي لا يمكن لأحد جمعها، والقرآن منزه عن هذا كله[1]، وهذا يُظهر سلامة القرآن الكريم، وخلوه من التناقض والاضطراب، وهذا يُعد من فضل القرآن، فالناظر في الكتب السماوية السابقة يجد التحريف والتغيير في ألفاظها، وأخبارها، فيما لا نجده في القرآن؛ لفضله وهيمنته عليها، كما هو واضح في

(١) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٨ /٥٦٧)، بحر العلوم، السمرقندي، (١ /٣٢١)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ص٢٧٨، معالم التنزيل، البغوي، (٦٦٧/١)، المحرر الوجيز، لابن عطية، (٨٣/٢)، التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (٢٠١/١).

قولـــه تعـــالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة: ٤٨]، وقد جاء عن السدي[١] في قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾، قال: شهيدًا عليه[٢].

فالقرآن شهيدٌ على ما في الكتب السماوية من أخبار الأنبياء السابقين، ناسخٌ لما فيها من شرائع، وقد بين الله تعالى هذا في قوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨٥].

قال ابن كثير: "وهذه الأمة مع قصر مدتها فضلت الأمم الماضية مع طول مدتها، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١١٠]، ... وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم، القرآن الذي شرَّفَه الله على كل كتاب أنزله، وجعله مهيمنًا عليه، وناسخًا له، وخاتمًا له؛ لأن كل الكتب المتقدِّمَة نزلت إلى الأرض جملة واحدة، وهذا القرآن نزل منجَّمًا بحسب الوقائع؛ لشدة الاعتناء به وبمن أُنْزِلَ عليه، فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة"[٣].

ويقول ابن كثير أيضاً عند قوله تعالى: ﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [سورة طه:٩٩]، وهو: القرآن العظيم، الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة فصلت:٤٢]، الذي لم يعط نبي من الأنبياء منذ بعثوا إلى أن ختموا بمحمد صلى الله عليه وسلم تسليما، كتابا مثله ولا أكمل منه، ولا أجمع لخبر ما سبق وخبر ما هو كائن، وحكم

---

(١) إِسْمَاعِيل بن عبد الرَّحْمَن ابْن أبي ذُؤَيْب السّديّ الإِمَام أَبُو مُحَمَّد السّديّ الْكَبِير الْحِجَازِي، كان مفسرًا عالمًا بالقرآن، وكان إمامًا عارفًا بالوقائع وأيام الناس، مات سنة مائة وسبع وعشرين، من مصنفاته: (صاحب التفسير والمغازي والسير) انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٢٦٥/٥)، تاريخ الإسلام، الذهبي، (٣/ ٣٥٨)، الوافي بالوفيات، الصفدي، (٨٥/٩)، انظر: الأعلام، الزركلي، (٣١٧/١).

(٢) جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٣٧٧/١٠).

(٣) فضائل القرآن، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ط١، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٦هـ، (د. ب)، ص١٧٥.

الفصل بين الناس منه"[١].

فالقرآن الكريم كلام الله سبحانه، ولم يختلط بكلام غيره من البشر، وهذا تنزيهاً له، وفيه هداية لقلوبهم من الغي إلى الرشاد، ومن الضلال إلى السداد، وفصل الله فيه أخبار كل شيء الماضي والحاضر والمستقبل، وبيان الأحكام من الحلال والحرام، فهو الكتاب الذي اختتم الله –تبارك وتعالى– به الرسالات السماوية السابقة، "وهو كتاب الله الخالد، وحجته البالغة على الناس جميعا، ختم الله به الكتب السماوية، وأنزله هداية ورحمة للعالمين، وضمّنه منهاجا كاملا وشريعة تامّة لحياة المسلمين"[٢]، فهذه كانت جملة من فضائل القرآن الكريم.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/٣١٥).

(٢) الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، ط٢، دار الكلم الطيب، دمشق، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ص٢٥.

المطلب الثاني: الكتب السماوية الوارد ذكرها في السورة:

إن الكتب التي أنزلها الله سبحانه على أنبيائه، وسماها لنا في القرآن الكريم خمسة، وهي: (الصحف، التوراة، الإنجيل، الزبور، القرآن)، غير أن هذه الكتب السماوية لم تذكر جميعها باسمها صراحة في سورة النساء، وإنما ذكرت كتابي: القرآن والزبور، وأشارت آية أخرى من السورة نفسها إلى وجود كتب غيرها بصيغة العموم، وسوف تتناولها الدراسة على النحو التالي:

أولاً: الكتب السماوية التي ورد ذكرها بصيغة العموم والإجمال:

يقول تعالى في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [سورة النساء: ١٣٦].

أشارت الآية الكريمة من السورة إلى وجود الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه؛ لتكون دليلاً على صدقهم، وأخبرنا بضرورة الإيمان بها، والمعنى: آمنوا بالكتاب الذي أنزله الله على رسوله ﷺ، وهو القرآن، والكتاب الذي أنزله من قبل، وهو: التوراة(١)، والإنجيل(٢)، والزبور، وسائر الكتب(٣).

فالشاهد من الآية السابقة: ورود لفظ: (الكتاب)، الذي يتضمن في معناه: كل كتاب سماوي أنزله الله –تبارك وتعالى–.

---

(١) التوراة هي: الضياء والنور، من قول العرب: قد وريت بك زنادي، أي: أضاءت بك زنادي، وهي: الكتاب المنزل على موسى عليه السلام، انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري، (٧٢/١)، والكليات، الكفوي، (٣٢٠/١).

(٢) الإنجيل هي: من نجلت الشَّيْء إِذا أخرجته، وَمِنْه قيل لنسل الرجل: نجله، كَأَنَّهُ هُوَ استخرجه، يُقَال: فتح الله ناجليه أَي: وَالِديهِ، وَقيل للْمَاء الَّذِي يظْهر من النز: نجل، يُقَال: قد استنجل الْوَادي، وإنجيل إفعيل، كَأَن الْحق كَانَ دثر ودرس كثيرًا من معالمه، وَكثر تَحْرِيف أهل الْكتاب، وخفي على النَّاس مَا أحدثوه، فأظهر الله جلّ وَعز ذَلِك، انظر: غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ، تحقيق: عبد الله الجبوري، (١/ ٢٤٥، ٢٤٦).

(٣) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (٧١٢/١)، المحرر الوجيز، ابن عطية، (١٢٤/٢)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤٣٤/٢)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٤١٥/٥)، محاسن التأويل، القاسمي، (٧٣٠/٣)، جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، (٤١٩/١).

ثانياً: الكتب التي نصت عليها السورة بالاسم:

لقد جاء ذكر كلٍ من القرآن والزبور في السورة على وجه الخصوص، وهي كما يلي:

أولاً: القرآن: وهو لغة من: "**القِراءة**، والاقْتراء، القارِىء، والقرآن، وَالْأَصْلُ فِي هَذِهِ اللَّفْظة: الجمعُ، وكلُّ شَيْءٍ جَمعْتَه فَقَدَ قَرَأْتَه، وسُمِّيَ القرآن قُرْآنًا؛ لِأَنَّهُ جَمع القِصَص، والأمْر وَالنَّهْيَ، والوْعد وَالْوَعِيدَ، والآياتِ والسُّوَر بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ، وَهُوَ مَصْدَرٌ، كالغُفْران والكُفْران...، قَرَأَ يَقْرَأُ قِراءة وقُرْآناً[(١)].

"والقرآن: كَلَامُ اللَّهِ، مِنْهُ بَدَا بِلَا كَيْفِيَّةٍ قَوْلًا، وَأَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَحْيًا، وَصَدَّقَهُ الْمُؤْمِنُونَ عَلَى ذَلِكَ حَقًّا، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِيقَةِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ كَكَلَامِ الْبَرِيَّةِ"[(٢)].

والقرآن هو: "الكلام المعجز المنزل على قلب النبي ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المتحدى به"[(٣)]، فهو كلام رب العالمين، وكتابه الواضح المبين، وحبله القوي المتين؛ الذي أنزله على قلب نبينا محمد ﷺ، ليكون منهجًا ودستورًا لأمته في حياتهم، ومخرجًا لهم من الظلمات إلى النور، وهاديًا لهم إلى الرشاد، وإلى الصراط المستقيم، طريق الإسلام[(٤)].

ومما سبق يتضح: أن القرآن كلام الله، وكتابه الواضح المبين، المنزل على قلب سيدنا محمد ﷺ، فيه هداية لأمته، ومخرجًا لهم من الظلمات إلى النور، يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [سورة النساء: ١٠٥]، ويقول تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [سورة

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٤/٣٠).

(٢) متن العقيدة الطحاوية، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك المعروف بالطحاوي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ، ص٤٠.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، (١/١٩)، انظر: مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ط٢٤، دار العلم للملايين، ٢٠٠٠، (د. ب)، ص٢١، مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، ط٣، مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، (د. ب)، ص١٧.

(٤) انظر: الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، ط١، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٢م، (١/١٣٦).

النســـاء: ١١٣]، ويقـــول تعـــالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة: ٤٨]، فكان القرآن شاهدًا على ما سبق من الكتب السماوية(١).

وقد تكفل الله ﷻ بحفظه، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر: ٩]؛ فسلم بذلك من التحريف الذي أصاب الكتب السماوية السابقة.

ثانياً: الزبور: الْكِتَابُ المَزبُورُ، وَالْجَمْعُ: زُبُرٌ...، وَقَدْ غَلَبَ الزَّبُورُ عَلَى صُحُفِ دَاوُدُ، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكُلُّ كِتَابٍ: زَبُورٌ(٢)، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٥]، "وسُمِّيَ كِتَابُ دَاوودَ زَبُورًّ؛ لأَنَّه نَزَلَ من السَّماءِ مَسْطُورًا"(٣).

والزبور: هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيه داود عليه السلام، وقد أخبر سبحانه بنزوله في هذه السورة، فقال: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝١٦٣﴾ [سورة النساء: ١٦٣].

وكتاب الزبور حرف كما حرفت الكتب السماوية السابقة، وجاء ذكر هذا في بيان تحريف أهل الكتاب لكلام الله وكتبه بالجملة، فقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ [سورة المائدة:١٥].

قال ابن كثير: "يُبَيِّنُ الله مَا بَدَّلُوهُ أهل الكتاب من كلامه، وَحَرَّفُوهُ وَأَوَّلُوهُ، وَافْتَرَوْا عَلَيه، وَيَسْكُتُ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا غَيَّرُوهُ وَلَا فَائِدَةَ فِي بَيَانِهِ"(٤).

---

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (٥٧/٢).

(٢) لسان العرب، ابن منظور، (١١٣/١٢).

(٣) تاج العروس، الزبيدي، (٤٠٠/١١).

(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦٧/٣).

وهذا كلام خلاصته: وقوع التحريف في كتب أهل الكتاب، وقد تكفل الله ﷻ بحفظ كتابه العزيز، أما ما سبقه من الكتب فقد استحفظها جل جلاله الربانيين والأحبار؛ فأحدثوا فيها كثيرًا من التحريف، وهذه هي الكتب التي أخبرنا الله ﷻ عنها في كتابه، وسماها لنا، فيجب الإيمان بها، وبالأنبياء الذين أرسلوا بها، وبما جاء فيها من أخبار الأمم السابقة، وأن القرآن الكريم مصدقًا وناسخًا لها.

المطلب الثالث: الكفر والاستهزاء بالكتب السماوية.

سيكون الحديث في هذا المطلب عن الكفر بالكتب السماوية المنزلة من عند الله والاستهزاء بها، وهذا يقتضي تناول تعريف الكفر والاستهزاء أولاً، وثانياً: الكفر بالآيات الوارد ذكرها في السورة، وثالثاً: الاستهزاء بالكتب السماوية الوارد ذكرها في السورة مع بيان حكمهما.

أولاً: تعريف الكفر والاستهزاء لغة واصطلاحا:

الكفر في اللغة:

الكفر بالفتح: التغطية، وقد كفرت الشيء أكفره بالكسر كَفْرًا، أي: سَتَرْتُهُ، والكَفْرُ أيضًا: ظُلْمَةُ الليل وسوادُه، والكافر: الليل المظلم؛ لأنه ستر كل شيء بظلمته(١).

الكفر في الاصطلاح:

قيل هو: الجُحُود(٢).

وقيل: "إنما الكفر يكون بتكذيب الرسول ﷺ فيما أخبر به، أو الامتناع عن متابعته مع العلم بصدقه، مثل: كفر فرعون واليهود ونحوهم"(٣).

"فالكفر: ستر نور الفطرة الذي ينبثق نحو الحقيقة، كما يطلق الكفر على جحود النعمة، وإنكارها"(٤)، "وإنما سمي الكافر كافرًا؛ لأنه يستر نعم الله تعالى"(٥).

والكفر: كما يكون بالجحود، يكون بالغفلة، وعدم النظر في آيات الله تعالى، والتأمل في

---

(١) الصحاح، الفارابي، (٢/٨٠٧ – ٨٠٨)، انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (٥/١٩١).

(٢) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (١/٢٥٥).

(٣) درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ط٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، تحقيق: محمد رشاد سالم، (١/٢٤٢).

(٤) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (١/١١٦).

(٥) بحر العلوم، السمرقندي، (١/٢٤).

معانيها، أو إلقاء الشكوك والشبهات فيها، وقد يكون أيضًا بإنكارها عنادًا وحسدًا[1].

وخلاصة التعريفات: أن الكفر يغطي على قلب الإنسان، ويحجبه عن رؤية نور الإيمان، فهو يتقلب في حياته من سواد إلى سواد، لا يميز بين حلال وحرام، ولا معروف ومنكر، فأعماله تسير وفق نزغاته وشهواته، وهذا ثابت في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ أَوۡ كَظُلُمَٰتٖ فِي بَحۡرٖ لُّجِّيّٖ يَغۡشَىٰهُ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ مَوۡجٞ مِّن فَوۡقِهِۦ سَحَابٞۚ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ إِذَآ أَخۡرَجَ يَدَهُۥ لَمۡ يَكَدۡ يَرَىٰهَاۗ وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾ [سورة النور: ٣٩-٤٠].

الاستهزاء في اللغة:

"استهزأ بخصمه: هزِئ به؛ سخِر منه، استهان به، حقَّره، ازدراه"[2].

الاستهزاء في الاصطلاح:

الاستهزاء: "الاستخفاف والسخرية"[3].

وعُرِفَ بأنه: السخرية، ومعاملة الآخر باحتقار قولاً أو عملاً، سواء أشعره بذلك أم أخفاه عنه[4].

إذن: الاستهزاء هو: السخرية والاحتقار، وإثارة الضحك والهمز حول القرآن وأخباره وشرائعه، بما يصد المسلمون ويدفعهم عن اتباعه والإيمان به.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (١٠/١٠٥)، اللباب في علوم الكتاب، النعماني، (٦/٤٢٧).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، (د. ب)، (٣/٢٣٤٦).

(٣) روح المعاني، الألوسي، (١/١٥٨).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١/٢٩٣).

ثانياً: الكفر بالآيات الوارد ذكرها في السورة وبيان حكمها:

ورد لفظ الكفر بالآيات في أربع آيات من سورة النساء على النحو التالي:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦﴾ [سورة النساء: ٥٦].

فالشاهد لفظ: (الكفر) الوارد في هذه الآية، والكفر كما مر معنا في تعريفه أنه: الجحود، فالذين يجحدون ما أنزل الله تعالى على رسوله من آيات القرآن الدالة على صدقه، فلم يصدقوا بها، سواء كانوا يكذبون بها من يهود بني إسرائيل، أو من غيرهم، فسوف يدخلهم الله ناراً(١).

فمن كفر بآيات القرآن الدالة على صدق أنبياء الله، وخاصة القرآن، باعتبار أن المراد من الآيات هي: آيات القرآن، لأنه أظهر الآيات، وأكملها، فسوف يصليهم الله النار، التي وقودها الناس والحجارة، ويحرقهم بها(٢).

والآية تدل على وجوب العذاب لمن كفر بالكتب السماوية، وإن كان الخطاب لمن كفر بالآيات التي نزلت على محمد رسول الله ﷺ، فهي تدل في الوقت نفسه على الكفر بالكتب كلها، باعتبار أن القرآن واحد من الكتب السماوية.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ [سورة النساء: ١٣٦].

"فَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ أَوْ بِمَلَائِكَتِهِ أَوْ بِبَعْضِ كُتُبِهِ أَوْ رُسُلِهِ أَوِ اليوم الآخر، فَقَدْ ضَلَّ عَنْ صِرَاطِ الْحَقِّ الصَّحِيحِ الَّذِي يُنَجِّي صَاحِبَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ، وَيُمَتِّعُهُ بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَفَرَ بِبَعْضِ تِلْكَ الْأَرْكَانِ بِجُحُودِ أَصْلِهِ، وَإِنْكَارِهِ الْبَتَّةَ كَانَتْ حَيَاتُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَيَوَانِيَّةً مَحْضَةً، لَا يُزَكِّي نَفْسَهُ، وَلَا يُعِدُّ رُوحَهُ لِلْحَيَاةِ الْبَاقِيَةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَإِنْ كَفَرَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَالرُّسُلِ كَانَ كُفْرُهُ بِهَا دَلِيلًا

(١) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٤٨٤/٨).

(٢) انظر: التفسير الواضح، الحجازي، (٣٨٨/١).

عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِشَيْءٍ مِنْهَا إِيمَانًا صَحِيحًا مَبْنِيًّا عَلَى فَهْمِ مَعْنَاهَا، وَالْبَصِيرَةِ بِحِكْمَتِهَا"(١).

والآية وإن كانت عامة في بيان الكفر بأركان الإيمان، إلا أنها دالة على الكفر بالكتب السماوية، "ومن ينكر الكتب المنزلة ويجحدها، فقد حاد عن السبيل، وانحرف عن الجادة، وبُعد في التيه بعدًا كبيرًا، لَا يمكن أن يعود إلى الطريق المستقيم"(٢).

"وأعلم أن الكفر بواحد من أركان الإيمان هو: الكفر بجميعها؛ لتلازمها، وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض"(٣)؛ لذلك ورد لفظ الكفر مع أركان الإيمان دون بعضها؛ لعدم صحة الإيمان بواحد منها فقط.

والشاهد من الآية السابقة: أن من كفر بالكتب السماوية المنزلة، فقد ضل عن الطريق المستقيم.

وَلَفْظُ (الضَّلَالِ) إِذَا أُطْلِقَ تَنَاوَلَ مَنْ ضَلَّ عَنْ الْهُدَى سَوَاءٌ كَانَ عَمْدًا أَوْ جَهْلًا...، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الصافات: ٦٩-٧٠]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٦٧-٦٨]، وَقَوْلِهِ تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [سورة طه: ١٢٣].

٣- قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٠].

فالشاهد من الآية: مجيء لفظ: (يكفر).

---

(١) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٥ /٣٧٤)، انظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ط١، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، مصر، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م، (١٨١/٥).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (١٩٠٤/٤).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٢٠٩ بتصرف.

٤- قوله -تبارك وتعالى-: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة النساء: ١٥٥].

أي: "فبنقض أهل الكتاب العهود التي عاهدوا الله أن يعملوا بما في التوراة، وجحودهم بآيات الله، وأدلته التي احتج بها عليهم في صدق أنبيائه ورسله، فهؤلاء طبع الله على قلوبهم، فهم لا يفقهون ولا يعقلون"(١).

فدلت الآية على أن من نقض العهد، وكفر بالكتب السماوية المنزلة؛ فقد استحق أن يختم الله على قلبه، فلا يرى نورًا، ولا يهتدي إلى الطريق المستقيم الواضح.

فهذه الآيات السابقة من سورة النساء بينت لفظ الكفر الوارد فيها، وهذا هو الشاهد، وبينت الآيات من السورة حكم من كفر بالكتب السماوية، فمن جحد بكتابٍ من الكتب المنزلة أو جحد بها كلها، فقد كفر بجميع ما أنزل الله ﷻ؛ كون الله هو من أنزلها على رسله؛ لهداية الناس، ولتعريفهم بربهم، وقد بين كثير من العلماء هذه المسألة.

وفي هذا الصدد يقول القاضي عياض(٢): "واعْلَم أن مِن اسْتَخَفّ بالقرآن، أَو الْمُصَحف، أَو بشيء مِنْه، أَو سَبَّهُما، أَو جَحَدَه، أَو حَرْفًا مِنْه، أَو آيَة، أَو كَذَّب بِه، أَو بشيء مِنْه، أَو كَذّب بشيء مِمَّا صُرّح بِه فِيه من حُكْم أَو خَبَر، أَو أَثْبَت مَا نَفاه، أَو نَفَى مَا أَثْبَتَه، عَلَى عِلْم مِنْه بِذَلِك، أَو شك في شيء من ذَلِك، فَهُو كَافِر...، وَكَذَلِكَ إِنْ جَحَدَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ، وَكُتُبَ اللَّهِ المُنَزَّلَة، أَو كَفَر بِهَا، أَو لَعَنَهَا، أَو سَبَّهَا، أَو اسْتَخَفّ بِهَا، فَهُو كَافِر"(٣).

---

(١) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٣٦٣/٩).

(٢) عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، كان إمام أهل الحديث وعلومه والنحو واللغة، وكان عاملاً للقضاء، ولد سنة أربعمائة وست وسبعين، وتوفي سنة خمسمائة وأربع وأربعين رحمه الله، من مصنفاته: (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى)، (شرح صحيح مسلم)، (الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع)، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، (٤٨٣/٣)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٥٠/١٥)، الأعلام، الزركلي، (٩٩/٥).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، ط٢، دار الفيحاء، عمان، ١٤٠٧هـ، (٣٠٤/٢).

وقال ابن رجب[١]: "إن من جحد شيئًا من أركان الإسلام، أو سب الله، أو رسوله، أو كفر ببعض الملائكة، أو النبيين، أو الكتب المذكورة في القرآن، مع العلم بذلك؛ فهو تارك لدينه، مفارق للجماعة، وإن كان مقرًا بالشهادتين، ويدعي الإسلام"[٢].

وقال الإمام إسحاق بن راهوية[٣]: "قد أجمع المسلمون أن من سب الله، أو سب رسوله عليه الصلاة والسلام، أو دفع شيئًا مما أنزل الله، أو قتل نبيا من أنبياء الله، أنه كافر بذلك، وإن كان مقرًا بما أنزل الله"[٤].

فالشاهد: أن من دفع شيئًا أنزله الله تعالى بإنكاره وتكذيبه فقد كفر، والكتب السماوية أنزلها الله تعالى على رسله عليهم الصلاة والسلام.

أنواع الكفر:

والكُفْر عَلَى أرْبَعَة أنواع[٥]:

١- **كُفْر إنْكار**: وهو: أن ينكر وجود الله تعالى بقلبه ولسانه.

٢- **كفر جحود**: وهو: أن يعترف بالله بقلبه فقط، كما كان من إبليس وفرعون.

---

(١) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السّلامي البغدادي ثم الدمشقيّ، أبو الفرج، محدث فقيه مؤرخ، ولد سنة سبعمائة وستة وثلاثين ومات سنة سبعمائة وخمسة وتسعين ﷺ، من كتبه: (جامع العلوم والحكم)، (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، (شرح جامع الترمذي)، (لطائف المعارف)، انظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط. ب. ت)، (١٦٣/٧)، الأعلام، الزركلي، (٢٩٥/٣)، معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، (١١٨/٥).

(٢) انظر: جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السّلامي البغدادي ثم الدمشقيّ، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (٣١٨/١).

(٣) محمد بن محمد بن إسحاق بن راهَوَيْهِ أبو الحسن الحنظليُّ، كان إمامًا عارفًا بمذهب الإمام مالك، وتولى القضاء في مرو ثم نيسابور، توفي سنة مائتين وأربع وتسعين ﷺ. انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، (٥٢٦/٧)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٥٤٤/١٣)، لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، (٥٤٦/٦).

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحلم بن عبد السلام ابن تيمية، الحرس الوطني السعودي، السعودية، (د. ط. ت)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ص٥١٢.

(٥) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (١٨٥/٤).

٣- **كفر عناد**: وهو: أن يعترف بالله بقلبه ولسانه، لكن لا يتوجه له بالعبادة، كما حصل مع الوليد بن المغيرة عندما سمع كلام النبي ﷺ، فقال لقريش: إن لكلامه لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أسفله لمغدق، وإن أعلاه لمثمر، وإنه يعلو ولا يعلى عليه.

٤- **كفر نفاق**: وهو: أن يعترف بالله بلسانه، ولا يقر له بقلبه، كعبد الله بن أبي بن سلول، ومن كفر بواحد من بالكتب السماوية السابقة فقد كفر بها جميعًا.

ثالثاً: الاستهزاء بالكتب السماوية الوارد ذكرها في السورة:

لقد تطرقت سورة النساء إلى الكُفرِ والاستهزاء بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٠]، وقد تم بيان الكفر بالكتب، وأما الاستهزاء الوارد في الآية، فهو: خاص بالقرآن الكريم، وهو: واحد من الكتب السماوية، وبيان هذه الآية عند العلماء كما فسروها: أن الخطاب هنا للمؤمنين وغيرهم من المنافقين(١)، بعدم الجلوس في المجالس التي يكفر بالقرآن الكريم ويستهزأ به بالسخرية والاحتقار؛ وذلك أن المشركين في مكة كانوا يكثرون من الخوض في آيات الله تعالى بالاستهزاء، فنُهيَ المسلمون عن الجلوس معهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ﴾ [سورة الأنعام: ٦٨]، وفي المدينة كان المنافقون يحضرون مجالس اليهود الذين يكثرون من الخوض في آيات الله، فنُهيَ المسلمون عن الجلوس معهم، والنهي يشمل مجالس كل من يَستهزأُ بالقرآن الكريم من المنافقين والكفار واليهود(٢).

وقوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾: "قَدْ قِيلَ: فِيهِ وَجْهَانِ:

أَحَدُهُمَا: فِي الْعِصْيَانِ، وَإِنْ لَمْ تَبْلُغْ مَعْصِيَتُهُمْ مَنْزِلَةَ الْكُفْرِ.

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (١٢٥/٢)، التفسير الواضح، الحجازي، (٤٤٣/١)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٤١٧/٥).

(٢) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ص٢٩٦، زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، (٤٨٧/١).

وَالثَّانِي: كذلك إنكم مثلهم في الرضى بحالهم في ظاهر أمركم، والرضى بِالْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِآيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى كُفْرٌ"(١).

ولقد بينت هذا النهي سورة أخرى في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الأنعام: ٦٨]، فبينت الآية: وجوب الأعراض والقيام عن المجالس التي يستهزأ فيها بالقرآن الكريم حتى يُغير الحديث، ومن نسي فعليه بالقيام عند تذكر النهي(٢).

وللعلماء في المجالس التي يُكْفرُ ويستهزأُ فيها بالقرآن الكريم أقوال:

القول الأول: أن من حضر هذه المجالس راضيًا بها، محبًا ومعجبًا لما يحدث فيها من الاستهزاء، والسخرية بالله وبرسوله، أو بالقرآن وغيره من الكتب، غير منكر لها، مع قدرته على ذلك؛ فهو مثلهم في الكفر، واستدلوا بالآتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٠].

فالشاهد: قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ﴾، قيل: مثلهم في الكفر إن رضيتم بذلك(٣). قال الزمخشري: "لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين، والراضي بالكفر كافر"(٤).

٢- قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٥-٦٦].

---

(١) أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، (د. ط)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، (٢٧٨/٣).

(٢) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (١٦٧/٢).

(٣) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (٧١٤/١)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (٢ /١٠٤).

(٤) الكشاف، الزمخشري، (٥٧٨/١).

"فَنَصَّ الله ﷻ على أن الاستهزاء بالله أو بآياته أو برسول من رسله كفر مخرج من الايمان"(١)، **والشاهد من الكلام:** أن الاستهزاء بالقرآن الكريم كفر.

وكذلك نُقل عن الشافعي(٢): أنه سُئل عمّن هزء بشيء من آيات الله تعالى أنه قال: "هو كافر"(٣)، واستدل بقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾.

وقال ابن تيمية: "وهذا نص في أن الاستهزاء بالله وآياته وبرسوله كفر، فالسب المقصود بطريق الأولى"(٤)، "فإن الاستهزاء بالله وآياته ومنها القرآن الكريم باعتبار الآية تتحدث عنه، وكذلك الاستهزاء برسوله كفر مخرج عن الدين، لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض"(٥).

والشاهد من أقوالهم: أن الاستهزاء بالقرآن الكريم، أو بمعنى من معانيه، أو حكم من أحكامه، كفر بنص القرآن الكريم، ويقتضي أن مجالسة من يكفر ويستهزأ بآيات الله رضًا بما يقول فيها من الكفر والاستهزاء؛ فهو كافر.

القول الثاني: من حضر هذه المجالس خوفًا ومكرهًا وغير قادرٍ على إنكارها، فلا أثم عليه، واستدلوا بالآتي:

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط. ت)، (٣/٢٤٥).

(٢) أَبو عَبْد الله مُحَمَّد بْن إِدْرِيس بْن الْعَبَّاس بْن عُثْمَان الشافعي، طلب العلم في صغر سنه، وذاع صيته، وكان بارعًا في العلم والشعر والفقه، إمام عصره في العلوم، عمل في القضاء والتدريس والفتوى، ولد سنة مائة وخمسين، وتوفي سنة مائتين وأربعة ﷺ، من مصنفاته (كتاب الحجة)، (كتاب الأم في الفقه)، (المسند)، (أحكام القرآن)، (الرسالة في أصول الفقه)، انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (٢/٥٤)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٨/٢٣٦)، طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، (٢/٧٢)، طبقات الشافعيين، ابن كثير، ص٧٨٢، الأعلام، الزركلي، (٦/٢٦).

(٣) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، ص٥١٣.

(٤) المرجع السابق، ص٣١.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٣٤٢ بتصرف يسير.

١- قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [سورة النحل: ١٠٦]، أي: "فمن أكره على الكفر، وتكلم بالكفر مكرهًا، وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ، ليس عليه حرج"(١).

قَالَ الجصاص(٢): "هَذَا أَصْلٌ فِي جَوَازِ إظْهَارِ كَلِمَةِ الْكُفْرِ فِي حَالِ الْإِكْرَاهِ، وَالْإِكْرَاهُ الْمُبِيحُ لِذَلِكَ هُوَ: أَنْ يَخَافَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ بَعْضِ أَعْضَائِهِ التَّلَفَ إنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ بِهِ، فَأُبِيحَ لَهُ فِي هَذِهِ الْحَالِ أَنْ يُظْهِرَ كَلِمَةَ الْكُفْرِ، وَيُعَارِضَ بِهَا غَيْرَهُ"(٣).

وقال الماتريدي(٤): "وأما من أظهر الكفر بلسانه بالإكراه، وقلبه معتقد بالإيمان على ما كان مطمئنًّا به، فهو ليس بكافر"(٥).

وقال القرطبي: "أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ مَنْ أُكْرِهَ عَلَى الْكُفْرِ حَتَّى خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ الْقَتْلَ، أَنَّهُ لَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنْ كَفَرَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ"(٦).

وقال ابن دقيق العيد(٧): "وللكفر أحكام، فلما وضع الله عنه الكفر سقطت أحكام الإكراه عن

---

(١) بحر العلوم، السمرقندي، (٢/٢٩٣) بتصرف يسير.

(٢) أحمد بن علي الرَّازي أبو بكر الجصاص، انتهت إليه رئاسة الحنفية في الفقه، ولد سنة ثلاثمائة وخمس، ومات سنة ثلاثمائة وسبعين رحمه الله، ألف كتبًا كثيرة منها: (أحكام القرآن)، كتاب (في أصول الفقه)، (جوابات المسائل)، (المناسك)، انظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (٥/٧٢)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، مير محمد كتب خانه، كراتشي، (د. ط. ت)، (١/٨٤)، الأعلام، الزركلي، (١/١٧١).

(٣) أحكام القرآن، الجصاص، (٥/١٣).

(٤) محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي، مات سنة ثلاثمائة وثلاث وثلاثين رحمه الله، ألف كتب كثيرة منها: (التفسير = تأويلات أهل السنة)، (التوحيد)، (مآخذ الشرائع)، (الجدل)، (المقالات)، انظر: تاج التراجم، زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا السودوني، ص٢٤٩، الأعلام، الزركلي، (٧/١٩)، تراجم موجزة للأعلام، موقع وزارة الأوقاف المصرية، (د. ط. ب. ت)، (١/٤٩٦).

(٥) تفسير الماتريدي، (٦/٥٧٥).

(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٠/١٨٢).

(٧) محمد بن علي بن وهب بن مطيع، الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح ابن دقيق العيد القشيري، كان أحد الأعلام وقاضي القضاة، مكبًا على العلم، ولد سنة ستمائة وخمس وعشرين، وتوفي سنة سبعمائة واثنين رحمه الله، له كتب كثيرة منها: (شرح عمدة الأحكام)، (شرح مقدمة المطرز في أصول الفقه)، (علوم الحديث)، (شرح الأربعين النووية)، انظر: فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن الملقب بصلاح الدين، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م، (٣/٤٤٢)، الوافي بالوفيات، الصفدي، (١/١٩٤)، الأعلام، الزركلي، (٦/٢٨٣).

القول كلها؛ لأن الأعظم إذا سقط: سقط ما هو أصغر منه"[١].

وقال السعدي[٢]: "من أكره على الكفر وأجبر عليه، وقلبه مطمئن بالإيمان راغب فيه، فإنه لا حرج عليه ولا إثم، ويجوز له النطق بكلمة الكفر عند الإكراه عليها"[٣].

فالشاهد: أن من أكره على فعل محرم، فهو غير مؤاخذ به، فمن باب أولى أن مجالسة من يكفر، ويستهزأ بآيات الله تحت الإكراه، فلا يؤاخذ بما يحصل فيها من المعاصي، عملاً بالآية السابقة، وإذا كان الإنسان لا يعاقب على قول كلمة الكفر مكرهاً؛ فمن باب أولى سقوط العقاب عنه لحضور مجالس الاستهزاء المكره عليه.

٢- حديث النبي ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانُ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ))[٤].

"فَإِذَا أُكْرِهَ بِغَيْرِ حَقٍّ عَلَى قَوْلٍ مِنَ الْأَقْوَالِ، لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَيْهِ حُكْمٌ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَكَانَ لَغْوًا، فَإِنَّ كَلَامَ الْمُكْرَهِ صَدَرَ مِنْهُ وَهُوَ غَيْرُ رَاضٍ بِهِ، فَلِذَلِكَ عُفِيَ عَنْهُ، وَلَمْ يُؤَاخَذْ بِهِ فِي أَحْكَامِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبِهَذَا فَارَقَ النَّاسِيَ وَالْجَاهِلَ"[٥].

فالشاهد: أن الانسان غير محاسب على فعله إن كان مكرهًا عليه، وليس له اختيار ولا قدرة على الامتناع والرفض.

القول الثالث: من حضر مجلسًا يستهزأ فيه بكتاب الله تهاونًا منه، وتقصيرًا في تعظيم شعائر

---

(١) شرح الأربعين النووية، محمد بن علي بن وهب بن مطيع ابن دقيق العيد، ط٦، مؤسسة الريان، ٢٠٠٣م، (د. ب)، باب التجاوز عن المخطى والناسي والمكره، (١٣١/١).

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي النجدي، مفسر، ومحدث، عمل في التدريس والافتاء، ولد سنة ألف وثلاثمائة وسبع، ومات سنة ألف وثلاثمائة وست وسبعين رحمه الله، له مؤلفات، منها: (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، (تيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن)، (طريق الوصول إلى العلم المأمول من الأصول)، انظر: معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، (٣٩٦/١٣)، المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، أعضاء موقع ملتقى أهل الحديث، http://www.ahlalhdeeth.com ص١٥٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٤٥٠.

(٤) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، (د. ب)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، (٣/ ٢٠٠)، رقم (٢٠٤٣).

(٥) جامع العلوم والحكم، ابن رجب، (٣٧٤/٢).

الله تعالى، قادرًا على الخروج، لكنه لم يفعل، مجاملة لأصحاب ذلك المجلس، مع إنكاره لهم بقلبه؛ فهو مثلهم في تحمل الوزر، وليس مثلهم في بقية صفات النفاق، فإن المؤمن لا يكون منافقًا لمجرد جلوسه معهم، والمراد هنا: المماثلة في المعصية؛ لأنه قادر على الأعراض عنهم، وترك مجالسهم، والأنكار عليهم.

قال البيضاوي(١) رحمه الله: "﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ في الإثم؛ لأنكم قادرون على الإعراض عنهم، والإنكار عليهم"(٢).

وقال النسفي(٣): "﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ في الوزر إذا مكثتم معهم، ولم يرد به التمثيل من كل وجه، فإن خوض المنافقين فيه كفر، ومكث هؤلاء معهم معصية، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝١٤٠﴾؛ لاجتماعهم في الكفر والاستهزاء"(٤).

فحكم الجالس كحكم القائلين في تحمله الوزر، وقد قال النبي ﷺ: ((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليوم الآخر فَلَا يَجْلِسْ عَلَى مَائِدَةٍ يُدَارُ عَلَيْهَا بِالخَمْرِ))(٥)، فالنهي واضح عن الجلوس مع من يرتكب

---

(١) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو سعيد، أو أبو الخير ناصر الدين البيضاوي، قاضٍ، مفسر، وعالم أذربيجان، عمل في التدريس والفتوى، ومات سنة ستمائة وخمس وثمانين رحمه الله، من مؤلفاته: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، (منهاج الوصول إلى علم الأصول)، (طوالع الأنوار)، انظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لابن تغري بردي، (١١١/٧)، الأعلام، الزركلي، (١١٠/٤).

(٢) أنوار التنزيل، البيضاوي، (١٠٤/٢).

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات حافظ الدين، كان فقيهًا، ومفسرًا، توفي سنة سبعمائة وعشرة، له مصنفات عديدة، منها: (مدارك التنزيل في تفسير القرآن)، (كنز الدقائق في الفقه)، (المنار في أصول الفقه)، (شرح المنار)، (الْعُمْدَة فِي أصُول الدّين)، وغيرها...، انظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه، ص٢٣٦، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٣٩٢هـ — ١٩٧٢م، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، (١٧/٣)، الأعلام، الزركلي، (٦٧/٤)، معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، (٣٢/٦).

(٤) مدارك التنزيل، النسفي، (٤٠٦/١).

(٥) سنن الترمذي، باب ما جاء في دخول الحمام، (١١٣/٥)، رقم (٢٨٠١) وقال حديث حسن غريب، وقال الحاكم حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، انظر: المستدرك على الصحيحين، عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله محمد النيسابوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ — ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب الأدب، =

معصية كالخمر، وهي كبيرة، ولا شك أن النهي عن الجلوس مع من يقول الكفر أعظم جرمًا.

وقال القرطبي: "فَكُلُّ مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسِ مَعْصِيَةٍ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِمْ يَكُونُ مَعَهُمْ فِي الْوِزْرِ سَوَاءً، وَيَنْبَغِي أَنْ يُنْكِرَ عَلَيْهِمْ إِذَا تَكَلَّمُوا بِالْمَعْصِيَةِ وَعَمِلُوا بِهَا، فَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى النَّكِيرِ عَلَيْهِمْ فَيَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ عَنْهُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ"(١).

وأما إن خاضوا في حديث آخر غير الاستهزاء، فيجوز القعود معهم مع الكراهة، وقال الحسن البصري: لا يجوز القعود وإن خاضوا في حديث غيره؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾ [سورة الأنعام: ٦٨]، والذي عليه الأكثرون: جواز القعود إن تحدثوا في حديث آخر؛ لأن آية الأنعام هذه مكية، وآية: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ﴾ [سورة النساء: ١٤٠] من سورة النساء، وهي: مدنية، وهي: متأخرة في النزول، والمتأخر أولى(٢).

والخلاصة: أن حضور مجالس الاستهزاء والرضا بها كفر، وإن كان حضورها من باب التقصير فصاحبها آثم، وعليه البعد عن تلك المجالس إن لم يستطع على إزالة ذلك المنكر؛ لقول النبي ﷺ: ((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))(٣)، وأما من حضرها مكرهًا فلا شيء عليه.

=

(٤/٣٢٠)، رقم (٧٧٧٩)، وقال الألباني معناه عند الترمذي صحيح، انظر: غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ، (١/٥٨)، رقم (٦٤).

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٥/٤١٨).

(٢) انظر: تفسير القرآن، السمعاني، (١/٤٩٢)، اللباب في علوم الكتاب، النعماني، (٧/٨٠)، معالم التنزيل، البغوي، (١/٧١٤).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، (١/٦٩)، رقم (٤٩).

المبحث الثاني:

الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: الإيمان بالأنبياء والرسل ودلالة السورة عليه.
- المطلب الثاني: معتقدات اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام وبيان دلائل نبوة محمد عليه الصلاة والسلام من السورة.

المطلب الأول: الإيمان بالأنبياء والرسل.

في هذا المطلب سنعرف النبي والرسول أولاً من حيث اللغة والاصطلاح، وثم نذكر الفرق بينهما، وثانياً: سنذكر الإيمان بالأنبياء والرسل ودلالة السورة عليه.

أولاً: تعريف النبي والرسول لغة واصطلاحا، والفرق بينهما:

النبي في اللغة:

النبي مشتق من النبأ، وهو: الخبر، قال الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢﴾ [سورة النبأ: ١-٢]، والمنبئ هو: المخبر، والنبي: مخبر عن الله، أي: يوحى إليه من الله تعالى، وهو: مأمور بالتبليغ، وقيل: النبي مشتق من النبوة والنباوة، وهي: الارتفاع، وهذا يفيد أن النبي ذو رفعة ومكانة عظيمة(١).

الرسول في اللغة:

وَالرَّسُول مَعْنَاهُ فِي اللُّغَة: الَّذِي يُتَابع أَخْبَار الَّذِي بَعثَه؛ أُخِذ من قَوْلهم: جَاءَت الإِبلُ رسلًا، أَي: متتابعة...، وسمِّيَ الرسولُ رَسُولا؛ لِأَنَّهُ ذُو رَسول، أَي: ذُو رِسَالَة، وَالرَّسُول: اسمٌ من أَرسلْت، وَكَذَلِكَ الرسَالَة(٢).

والإرسال في اللغة: مأخوذة من التَّوْجِيهُ، كما قال تعالى: ﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦﴾ [سورة الشعراء: ١٦]، فالرسول مرسل من الله تعالى إلى الناس(٣)، فيكون الرسول متابعاً لإخبار من بعثه وأرسله قائما بتوجيه من أرسل إليهم.

---

(١) انظر: مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، (٨٥٣/١)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٣/٥ - ٤)، لسان العرب، ابن منظور، (١٦٢/١ - ١٦٣)، تاج العروس، الزبيدي، (٤٤٥/١).

(٢) تهذيب اللغة، الهروي، (٢٧٢/١٢).

(٣) انظر: المخصص، ابن سيده، (٤١٦/٣)، لسان العرب، ابن منظور، (٢٨١/١١)، تاج العروس، الزبيدي، (٧٢/٢٩).

النبي والرسول في الاصطلاح:

اختلف كثير من العلماء في تعريف النبي والرسول في الاصطلاح على أقوال كثيرة، لعل أرجحها ما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: "**النبي**: هو الذي ينبئه الله بأن يعمل بشريعة من قبله، ولم يرسل إلى كفار خالفوا أمر الله ليبلغهم رسالة من الله إليهم، وقد يوحى إليه وحي خاص في قصة معينة، فالأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين بهم.

أما الرسول: فهو الذي ينبئه الله، ثم يأمره بأن يبلغ رسالته من خالف أمره، كنوح، فقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض، وقد كان قبله أنبياء كشيث وإدريس وقبلهما آدم، كان نبيًا مكلماً"(١).

الفرق بين النبي والرسول:

العلماء في هذه المسألة على أقوال، أجمعها في ثلاثة أقوال هي أبرزها:

القول الأول: يرى أصحابه أنه لا فرق بين النبي والرسول، وهما مصطلحان مترادفان، فالنبي وكذلك الرسول بعثهم الله لتبليغ ما أوحي إليهم، والنبي هو الرسول والعكس(٢).

القول الثاني: يرى أصحابه أن هناك فرقًا بين النبي والرسول، ودليلهم: "أَنَّ مَنْ نَبَّأَهُ اللَّهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ، إِنْ أَمَرَهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ رَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يُبَلِّغَ غَيْرَهُ، فَهُوَ نَبِيٌّ وَلَيْسَ بِرَسُولٍ، فَالرَّسُولُ أَخَصُّ مِنَ النَّبِيِّ، فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا، وَلَكِنَّ الرِّسَالَةَ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهَا، فَالنُّبُوَّةُ جُزْءٌ مِنَ الرِّسَالَةِ، إِذِ الرِّسَالَةُ تَتَنَاوَلُ النُّبُوَّةَ وَغَيْرَهَا، بِخِلَافِ الرُّسُلِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَتَنَاوَلُونَ الْأَنْبِيَاءَ

---

(١) النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ط١، أضواء السلف، السعودية، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، (٢/٧١٤ – ٧١٥)، انظر: روح المعاني، الألوسي، (٩/١٦٥).

(٢) انظر: هذا الرأي ضمن كتاب الفقه الأكبر، منسوب لأبي حنيفة، ص٢٠، النكت والعيون، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د. ط. ت)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (٤/٣٤)، غاية المرام في علم الكلام، سيف الدين علي بن علي بن محمد الثعلبي الآمدي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، (د. ط. ت)، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، ص٣١٧، جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، (٣/٦٢).

وَغَيْرَهُمْ، بَلِ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ، فَالرِّسَالَةُ أَعَمُّ مِنْ جِهَةِ نَفْسِهَا، وَأَخَصُّ مِنْ جِهَةِ أَهْلِهَا"(١).

القول الثالث: يرى أصحابه: أن الفرق بينهما: في أن الرسول من جاء بشرع جديد، والنبي من يعمل بشريعة من قبله(٢)، ودليلهم: قول ابن تيمية: "النبي: هو الذي ينبئه الله، وهو ينبىء بما أنبأ الله به، فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة فهو نبي وليس برسول"(٣).

الترجيح: وهذا القول الثالث هو الأقرب إلى الصواب، والدليل على ذلك ما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [سورة الحج: ٥٢]، فالآية تقتضي أن هناك فرقًا، فقد عطف الله النبي على الرسول، والعطف يقتضي المغايرة(٤).

٢- لقد وصف الله بعض الرسل بالنبوة والرسالة، وهذا يدل على أنهما وصفان مختلفان، وأن الرسالة أمر زائد على النبوة، كقوله تعالى في شأن موسى عليه السلام(٥): ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾ [سورة مريم: ٥١].

٣- عندما سئل النبي ﷺ: ((كم النبيون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، قيل: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر))(٦)، وهذا دليل على الفرق بين النبي

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ص١٥٨، انظر: لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (٤٩/١ – ٥٠).

(٢) انظر: النبوات، ابن تيمية، (٧١٤/٢)، روح المعاني، الألوسي، (١٦٥/٩)، فتح القدير، الشوكاني، (٥٤٦/٣)، زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٥٠٠٥/٩).

(٣) النبوات، ابن تيمية، (٧١٤/٢).

(٤) انظر: الكشاف، الزمخشري، (١٦٤/٣)، مدارك التنزيل، النسفي، (٤٤٧/٢)، روح المعاني، الألوسي، (١٦٤/٩).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (٥٤٨/٢١)، اللباب في علوم الكتاب، النعماني، (٨١/١٣)، مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر الشيخ، ص٤٦٦.

(٦) المستدرك على الصحيحين، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر المرسلين، (٦٥٢/٢)، رقم (٤١٦٦)، حديث ضعيف، انظر: مختصر ملخص الذهبي، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد =

والرسول، وأن النبي أعم من الرسول، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول.

٤- أما من قال: إن النبي: "هُوَ إِنْسَانٌ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِشَرْعٍ، وَإِنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِتَبْلِيغِهِ، فَإِنْ أُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ فَهُوَ رَسُولٌ أَيْضًا عَلَى الْمَشْهُورِ، فَبَيْنَ النَّبِيِّ وَالرَّسُولِ عُمُومٌ وَخُصُوصٌ مُطْلَقٌ، فَكُلُّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلَيْسَ كُلُّ نَبِيٍّ رَسُولًا. وَالرَّسُولُ أَفْضَلُ مِنَ النَّبِيِّ إِجْمَاعًا؛ لِتَمَيُّزِهِ بِالرِّسَالَةِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ مِنَ النُّبُوَّةِ"(١)، فيرد عليه بأمرين(٢):

الأول: أن الله نص على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل، قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ**﴾ [سورة الحج: ٥٢]، فإذا كان الفارق بينهما هو الأمر بالبلاغ، فالإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

الثاني: أن ترك البلاغ كتمان لوحي الله تعالى، والأنبياء أمرهم الله تعالى بتبليغ ما أوحاه الله إليهم، فقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ...))(٣).

والقول بوجود فرق بين النبي والرسول راجع إلى تعدد أقوال العلماء في تعريف النبي والرسول في الاصطلاح، وملخص أقوالهم(٤):

- الرسول من جمع إلى المعجزة كتاباً منزلاً عليه، والنبي غير الرسول من لا كتاب له.
- الرسول من يأتيه الملك بالوحي، والنبي يقال له ولمن يوحى إليه في المنام.

=

الشافعي، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤١١هـ، تحقيق: عبد الله بن حمد اللحيدان وسعد بن عبد الله آل حميد، باب نبينا محمد ﷺ، (١٠٤٣/٢)، رقم(٤٣٩).

(١) لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (٤٩/١ – ٥٠).

(٢) انظر: مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر الشيخ، ص٤٦٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب من لم يرق الرقية، (١٣٤/٧)، رقم (٥٧٥٢).

(٤) أنوار التنزيل، البيضاوي، (٧٥/٤).

- الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها، والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهما السلام.

ومما تقدم يتضح أن القول الراجح هو القول بالفرق بين النبي والرسول.

ثانياً: الإيمان بالأنبياء والرسل ودلالة السورة عليه:

الإيمان بالأنبياء والرسل هو: الاعتقاد الجازم بأن الله بعث من عباده رسلاً يدعونهم إلى توحيده وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، "فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَتَصْدِيقِهِمْ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرُوا بِهِ مِنَ الْغَيْبِ، وَطَاعَتِهِمْ فِي كُلِّ مَا أَمَرُوا بِهِ وَنَهَوْا عَنْهُ"(١)، وقد أوجب الله تعالى الإيمان بالأنبياء والرسل في القرآن والسنة، فقد ورد في سورة النساء في عدة آيات هي:

١- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾ [سورة النساء: ١٥٢]، "فالذين صدقوا بوحدانية الله، وأقرّوا بنبوة رسله أجمعين، ولم يفرقوا بين أحد منهم، ولم يكذّبوا بعضهم ويصدقوا بعضهم، هؤلاء سوف يعطيهم جزاءهم وثوابهم على تصديقهم الرسل في توحيد الله وشرائع دينه، وما جاءت به هو من عند الله"(٢).

فدلّت الآية كذلك أن من آمن بالله وجميع رسله، ولم يفرق فيما بينهم فهؤلاء مأجورن يوم القيامة.

٢- قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [سورة النساء: ٦٤].

٣- قوله تعالى: ﴿* إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [سورة النساء: ١٦٣]، فهذه الآيتان تأكيد من الله

---

(١) لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (٢٦٣/٢)، انظر: مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر الشيخ، ص٤٧٠.

(٢) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٣٥٥/٩)، بحر العلوم، السمرقندي، (٣٥٣/١).

سبحانه على صدق الأنبياء والرسل، وعلى نزول الوحي عليهم، ففي هذه الآيتين إخبار من الله تعالى: "أنه أوحى إلى عبده ورسوله من الشرع العظيم والأخبار الصادقة ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"(١).

٤- قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة النساء: ١٦٤].

٥- قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [سورة النساء: ١٦٥]، وبيان الآيتين: "أن الرسل منهم من قصه الله على رسوله، ومنهم من لم يقصه عليه، وهذا يدل على كثرتهم، وأن الله أرسلهم مبشرين لمن أطاع الله واتبعهم بالسعادة الدنيوية والأخروية، ومنذرين من عصى الله وخالفهم بشقاوة الدارين؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل"(٢).

٦- قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [سورة النساء: ١٧١]، فالإيمان بالأنبياء والرسل ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصوله؛ ولا يقبل دين أحد إلا أن يؤمن بجميع أركانه، "وآمنوا برسله جميعًا بدون تفريق بينهم، ولا تغالوا في أحد منهم بأن تخرجوه عن طبيعته وعن وظيفته"(٣).

وناسب مجيء الإيمان بالله موصولاً بالإيمان بالرسل في الآية السابقة، والسبب في ذلك؛ أن الرسل هم المبلغون شرع الله، وهم الوسائط بينه وبين خلقه.

٧- قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾ [سورة النساء: ١٧٢]، فالإيمان بأنهم عليهم الصلاة والسلام مع علو منزلتهم عبيد لله تعالى لا يستكبرون، "والرَّسَلُ عليهم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى عُلُوِّ مَنْزِلَتِهِمْ لَا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٢١٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢١٤ بتصرف يسير.

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، (٤٠٣/٣).

يَمْتَازُونَ عَنِ الْخَلْقِ فِي تَمَامِ عبوديتهم، فهم فقراء إلى اللهِ لا يملكون شَيْئًا مَعَهُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مُلْكِهِ"(١)، وهذه الآية وإن كانت في عيسى عليه السلام إلا أنها عامة في جميع الرسل دالة على عبوديتهم لله عز وجل.

٨- قوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٥١﴾ [سورة النساء: ١٥٠-١٥١]، قال ابن عطية(٢): "نزلت في اليهود والنصارى؛ لأنهم في كفرهم بمحمد ﷺ كأنهم قد كفروا بجميع الرسل، وكفرهم بالرسل كفر بالله، وفرقوا بين الله ورسله في أنهم قالوا: نحن نؤمن بالله ولا نؤمن بفلان وفلان من الأنبياء، وقولهم: نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ، قيل: معناه من الأنبياء، وقيل: هو: تصديق بعضهم لمحمد في أنه نبي، لكن ليس إلى بني إسرائيل...، ثم أخبر تعالى عنهم أنهم الكافرون حقا؛ لئلا يظن أحد أن ذلك القدر الذي عندهم من الإيمان ينفعهم"(٣).

فالشاهد: أن من كفر بالرسل، فهو في الحقيقة كافر بالله؛ لأن الرسل هم المبلغون عن الله تعالى، ومن آمن بالله وكفر ببعض الرسل، فهو كافر بالله.

قال الزمخشري: "جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله أو آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعًا"(٤).

---

(١) العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، ط٢، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، (د. ت)، ص١١٢، بتصرف يسير.

(٢) عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، أبو محمد، المشهور بابن عطية، كان فقيهاً عارفاً بالأحكام والتفسير، من مصنفاته: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، (فهرس ابن عطية)، (اقتضاب ابن باشكول)، ولد سنة أربعمائة وثمانين، وتوفي سنة خمسمائة واثنتين وأربعين رحمه الله، انظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، (٤٠/١٨)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٥٨٦/١٩).

(٣) المحرر الوجيز، ابن عطية، (١٣٠/٢).

(٤) الكشاف، الزمخشري، (٥٨٣/١)، انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١١/١٢).

وقال ابن أبي العز[1]: "لَا نُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ بِأَنْ نُؤْمِنَ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرَ بِبَعْضٍ، بَلْ نُؤْمِنُ بِهِمْ وَنُصَدِّقُهُمْ كُلَّهُمْ، فَإِنَّ مَنْ آمَنَ بِبَعْضٍ وَكَفَرَ بِبَعْضٍ، كَافِرٌ بِالْكُلِّ"[2]، و"اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْمِلَّةِ عَلَى كُفْرِ مَنْ كَذَّبَ نَبِيًّا مَعْلُومَ النُّبُوَّةِ، وَكَذَا مَنْ سَبَّ نَبِيًّا أَوِ انْتَقَصَهُ، وَيَجِبُ قَتْلُهُ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ وَاجِبٌ بِجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ[3].

فالإيمان بالله يقتضي الإيمان بأنبيائه ورسله كلهم، من سمى لنا منهم في القرآن الكريم ومن لم يسم[4].

وقد ورد في السورة أسماء لجملة من الأنبياء والرسل كما نصت عليهم الآية، وهم: محمد، نوح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، الأسباط، عيسى، أيوب، يونس، هارون، سليمان، داود، موسى، مرتبة أسمائهم، كما في قوله تعالى: ﴿* إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [سورة النساء: ١٦٣-١٦٤]، فبينت الآية الكريمة أن الله تعالى أوحى إلى النبي محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي مثل غيره من الرسل الذين سماهم في هذه السورة، والذين لم يسمهم، ومنهم من كانوا من أولو العزم[5].

---

(١) علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقيّ، فقهيه عمل قاضيًا بدمشق ثم بالديار المصرية، ولد سنة سبعمائة وواحد وثلاثين، وتوفي سنة سبعمائة واثنين وتسعين ﷺ، له مصنفات منها: (التنبيه على مشكلات الهداية)، (النور اللامع فيما يعمل به في الجامع)، ومنها ايضًا (شرح العقيدة الطحاوية)، انظر: الأعلام، الزركلي، (٣١٣/٤).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، (٥٢٣/٢)، انظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص١٧٣.

(٣) لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (٢/ ٢٦٣).

(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، (٤٢٣/٢).

(٥) قيل: في تحديد أولي العزم أقوال، أحسنها: أنهم: نوح إبراهيم موسى عيسى محمد عليهم الصلاة والسلام؛ ولعل السبب في ذلك ورود ذكرهم في آيتان من كتاب الله، في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ [الأحزاب: ٧]، وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، (٤٢٤/٢).

وبينت الآية المتقدمة صدق نبوتهم، وأنهم يوحى إليهم من الله ﷻ، سواء من أختصه الله بالوحي فقط، أو بالوحي وجاء بشريعة دعا الناس إليها، كما أثبتت أن النبي ﷺ هو خاتمهم، ولا نبي بعده؛ لأن الله ابتدأ خطابه للنبي ﷺ وهو خاتمهم، وذكره بصدق نبوته كنبوة أولهم، وهو نوح، ومن بعده من الأنبياء والرسل، وهذا يدل على أنه لا نبي بعده.

وهؤلاء الأنبياء والرسل ذكرناهم بشكل مجمل؛ لمناسبة ذكرهم في هذه السورة.

المطلب الثاني: معتقدات اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام وبيان دلائل نبوة محمد عليه الصلاة والسلام من السورة:

في هذا المطلب سنعرف عقيدتي الصلب والفداء والتثليث، ثم نبين هاتين العقيدتين، مع الرد على العقيدتين من سورة النساء ضمن المسألة الأولى، أما المسألة الثانية فستكون حول دلائل نبوة محمد عليه الصلاة والسلام من السورة، وتفصيلها كالآتي:

المسألة الأولى: تعريف عقيدة الصلب والفداء والتثليث:

1ـ عقيدة الصلب في اللغة والاصطلاح:

الصلب في اللغة: "الصَّلْبُ الذي هو: تعليق الإنسان للقتل، قيل: هو: شدّ صُلْبِهِ على خشب، وقيل: إنما هو: من صَلْبِ الوَدَكِ(١)، قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [سورة النساء: ١٥٧]، والصَّلِيبُ: أصله الخشب الذي يُصْلَبُ عليه، والصَّلِيبُ: الذي يتقرّب به النّصارى؛ لكونه على هيئة الخشب الّذي زعموا أنه صُلِبَ عليه عيسى عليه السلام"(٢).

الصلب في الاصطلاح: "الصَّلْبَ هُوَ: أَنْ يُوثَقَ الْمَعْدُودُ(٣) لِلْقَتْلِ عَلَى خَشَبَةٍ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ التَّحَرُّكَ، ثُمَّ يُطْعَنُ بِالرُّمْحِ أَوْ يُرْمَى بِسَهْمٍ، وَكَذَلِكَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى صُلِبَ، ثُمَّ طُعِنَ بِرُمْحٍ فِي قَلْبِهِ"(٤).

2ـ تعريف عقيدة الفداء في اللغة والاصطلاح:

الفداء في اللغة: عُرِفَ بأنه: "فدَى يَفدِي، افْدِ، فِدًى وفِداءً، وفَدًى، فهو فادٍ، والمفعول مَفْدِيّ فدَى فلانًا: استنقذه وخلَّصه مما كان فيه بماله أو بنفسه فداه بنفسه بمالهِ بروحه"(٥).

---

(١) الودك: هو دسم اللحمِ ودُهْنُه الذي يُستخْرج منْهُ، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (١٦٩/٥).

(٢) المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، ص٤٨٩.

(٣) المعدود: هو الشخص المعد للقتل، وهذا المعنى من خلال ما فهم من السياق.

(٤) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٠/٦).

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار وآخرون، (١٦٨١/٣).

الفداء في الاصطلاح: هو: اعتقاد النصارى أن عيسى عليه السلام الإله في زعمهم قد صلب على خشبة الصليب؛ ليفدي الأنبياء والرسل من سجن إبليس، فإن روح آدم وإبراهيم ونوح وسائر الأنبياء في سجن إبليس؛ بسبب خطيئة أبيهم آدم حينما أكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عنها(١).

والخلاصة في عقيدة الصلب والفداء: أن النصارى اعتقدوا بأن عيسى عليه السلام قد مات مصلوبًا فداءً للبشرية عن خطيئة أبيهم آدم في الجنة التي نهاه الله تعالى عن أكل الشجرة، فعصى ربه وأكل منها فأُخرِجَ من الجنة، وكل ما أصاب البشرية من بلاء فهو بسبب خطيئة أبيهم آدم، فكان لا بد من تكفير تلك الخطيئة، ولا بد لمن قام بذلك أن يكون خاليًا من الآثام والخطايا، فكان عيسى الذي بزعمهم أنه ابن الله، بعثه الله ليفديه عن تلك الخطيئة.

3ـ بيان عقيدة الصلب والفداء:

نصت السورة على عقيدة الصلب في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [سورة النساء:١٥٧]، فبينت الآية فساد وبطلان عقيدة الصلب.

وبيان هذه العقيدة: أن الله تعالى عندما بعث المسيح عيسى عليه السلام رسولاً لبني إسرائيل مكملاً ومصدقًا لما جاء به موسى من التوراة، وأيده الله تعالى بالمعجزات والبراهين الدالة على نبوته، فآمن به من آمن، وكذب به من كذب، حسده اليهود، وحقدوا عليه، وأرادوا التخلص منه وقتله، كما فعلوا مع كثير من الأنبياء قبله، وهذا واضح في قوله تعالى عنهم في هذه السورة المباركة: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [سورة النساء: ١٥٥]؛ لذلك عمد اليهود إلى ملك

---

(١) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن القيم الجوزية، ط١، دار القلم، دار الشامية، السعودية، ١٩٩٦م، تحقيق: محمد أحمد الحاج، (٤٨٠/٢)، موسوعة الملل والأديان، عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت، (د. ط. ت)، (٣١٠/١)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، ط٤، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م، ص٣٢٠.

الرومان الذي كان يحكم دمشق آنذاك، وأخبروه بأن عيسى جاء بدين جديد، وأنه كفر بالله تعالى، وسيأخذ الملكَ منه، عندها أرسل الملك الروماني أوامره إلى والي بيت المقدس بالقبض عليه وقتله صلبًا(١)، عندئذ أغتر اليهود واستعظموا عملهم هذا، وزعموا بأنهم قتلوه صلبًا(٢)، وظن النصارى أن ما زعمت به اليهود حقيقة، إلا أنهم يعللون صلب عيسى عليه السلام بأنه فداءً للبشرية من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام حينما أكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عنها، وأنه وجميع الأنبياء في جهنم بتلك الخطيئة حتى فداهم عيسى عليه السلام بهرق دمه على خشبة الصليب(٣)؛ وبذلك أنقذ عيسى ابن الله البشرية من هذه الخطيئة، "وهو الذي به غفرت زلة آدم عليه السلام"(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "يَزْعُمُونَ أَنَّ الصَّلْبَ الَّذِي هُوَ مِنْ أَعْظَمِ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا، بِهِ خَلَّصَ اللَّهُ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ"(٥).

4ـ الرد على عقيدة الصلب والفداء من السورة:

- **الآية الأولى**: من سورة النساء، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة النساء: ١٥٧].

فهذه الآية الكريمة تنفي ما زعمه اليهود والنصارى، أي: "وَما قَتَلُوهُ وَما صَلَبُوهُ وَلكِنْ ألقي

---

(١) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، (٥٣٩/٢)، البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، دار الفكر، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م، (د. ط. ب)، (٩٢/٢)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٤٦/٢)، منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر، (د. ط. ت. ن. ب)، (٢٢١/١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (٢٦٠/١١).

(٣) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، دار التراث العربي، القاهرة، (د. ط. ت)، تحقيق: حمد حجازي السقا، ص٤١٧.

(٤) الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، (د. ط. ت. ب)، (٢٦/٢).

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، (١٠٨/٢)، انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، (٤٨٠/٢)، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود الخلف، ص٣٠٤.

شبه عيسى عليه السلام على غيره فقتلوه، ولم يكن عندهم علم يقين أنه قتل أو لم يقتل إِلَّا اتِّباعَ الظَّنِّ، قولاً بالظنون لم يستيقنوا بقتله"(١)، ومضمون هذا الكلام أن اليهود ما قتلوه في الحقيقة جملة واحدة لا يقينًا ولا شكًا(٢).

- **الآيــة الثانيــة**: قولــه -تبـارك وتعـالى-: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨﴾ [سورة النساء: ١٥٨].

"في هذه الآية رد وإنكار لقتله وإثبات لرفعه، وَكانَ اللَّهُ عَزِيزًا غالبًا لا يغلب، حَكِيمًا فيما دبره لعيسى عليه السلام من رفعه إليه، وهذا ثابت بنص القرآن"(٣).

إذن: عيسى عليه السلام رُفِع إلى السماء بدليل القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، سواء شاهد الرفع الحواريون أم لم يشاهدوه، فعيسى عليه السلام رفعه الله تعالى إليه، فهو: عنده في السماء(٤).

قال الهاشمي(٥): "إن القول بقتل المسيح يؤدّي إلى تكذيب المسيح، وما أدى إلى تكذيبه فهو باطل، وبيانه هو: أن المسيح عليه السلام قد بَشَّر في إنجيله بمحمّد ﷺ، وقال: إنه النّبيّ الصّادق الآتي بعده؛ ومحمّد جاء وأخبر بأن المسيح ما قُتل وما صُلب، فالقول بقتل المسيح يفضي إلى تكذيب من صدَّقه المسيح، فكان تكذيبًا للمسيح...، ولو قد صحّ قتل المسيح وصلبه لبطلت الدلالة على وجود الباري تعالى، وبيانه: هو أن في ذلك إبطال بشائر الأنبياء عليهم السلام بمحمّد ﷺ، وإظهار كذبهم فيما شهدوا به من النبوة والرسالة وصدق المقالة؛ وذلك يَعْكُر على نبواتهم بالإفساد، إذا اختلفت أقوالهم، ولم تَصْدق أخبارهم؛ وذلك يخرم الثقة بجميع ما أخبروا به من حدث العالم ووجود الصانع تعالى،

---

(١) بحر العلوم، السمرقندي، (١/٣٥٤ – ٣٥٥) بتصرف.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (٢/١٣٤).

(٣) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، (٢/١٠٨)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٦/٢٢)، زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٤/١٩٥٣).

(٤) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٦/٤٥٦)، بحر العلوم، السمرقندي، (١/٢١٨)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، (٣/٨١)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ص٢١٣.

(٥) صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي أبو البقاء، أديب ناثر ناظم متكلم، توفي سنة ستمائة وثمان وستون. من تصانيفه: (البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود)، (تخجيل من حرف التوراة والإنجيل)، وله خطب ونظم ونثر. انظر: معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، (٥/٦).

وما أدى إلى ذلك فهو مردود من أصله"[1].

وكل ما نقله النصارى ليس نصًا قاطعًا ونقلاً متواترًا على صلب عيسى عليه السلام وقتله، وحتى اليهود في شك من ذلك، وغاية ما يعتقدوه: أن رجلاً غير بعضًا من أحكام التوراة، فشُهِدَ عليه بذلك فَقُتِلَ[2]، وهذا تصديق لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة النساء: ١٥٧].

و"دعوى النصارى قتل المسيح وصلبه مستندة إلى أخبار من وضع الكتب التي بأيدي النصارى، وهي غير موثوق بها...؛ ولأنها كانت في أول الأمر بأيدي عدد قليل لا يستبعد تواطؤهم على الكذب والتبديل والتغيير، فلا يعارض بها خبر من جاء بالمعجزات -يعني: محمد ﷺ الذي أخبر عن رفع عيسى عليه السلام إلى السماء-، والتي لا مرية معها أنه أخبر بما أخبر به عن وحي من الله"[3].

والصحيح هو: ما جاء به القرآن الكريم، وهو: ما يعتقده المسلمون بأن عيسى عليه السلام لم يقتل ولم يصلب كما زعم النصارى، وإنما شبه لهم في قتله، والذي قتل رجل آخر من أتباع عيسى عليه السلام، فألقى الله شبه عيسى عليه، ورفع عيسى إلى السماء[4]، وهو ما دلت عليه الآية من هذه السورة، وغيرها من السور.

5ـ تعريف عقيدة التثليث:

التثليث في اللغة: القول بوجود ثلاثة أقانيم في الذَّات الإلهيّة[5].

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، الهاشمي، (٣٤٦/١ – ٣٤٧)، انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، (١٠٧/٢).

(٢) انظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي، ص٤١٦.

(٣) منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز آل معمر، (٢١٩/١)، بتصرف.

(٤) انظر: هل افتدانا المسيح على الصليب، منقذ بن محمود السقار، ط١، دار الإسلام، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، (د. ب)، ص٩.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار وآخرون، (٣٢٣/١).

التثليث في الاصطلاح: هو: القول بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة[١]، أي: الإله ثلاثة أقانيم: الله والمسيح ومريم، وهم مختلفون في تفسير كلمة التثليث، فمنهم من يقول: الأقانيم ثلاثة: جواد حكيم قادر، فيجعلون الأب هو الجواد، والأبن هو الحكيم، وروح القدس هو القادر، ويزعمون أن جميع الصفات تدخل تحت هذه الثلاثة[٢].

وقيل: "مراد النصارى بالتثليث، كما يقول قاموس الكتاب المقدس[٣]، هو: إله واحد، الأب والابن والروح القدس إله واحد، جوهر ذات واحد متساوين في القدرة والمجد"[٤].

6ـ بيان عقيدة التثليث:

نصت السورة على عقيدة التثليث في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [سورة النساء: ١٧١].

فالشاهد: لفظ التثليث من ثلاثة، فقد اعتقد النصارى بأن الله ثلاثة، أو ثلاثة أقانيم، وهي: أب وابن وروح القدس، وهذه الثلاثة تعني واحد، ويراد بالأب الذات الإلهية، والابن كلمة الله المتجسدة في عيسى عليه السلام، وروح القدس جبريل عليه السلام، وتارة يعنون بروح القدس مريم عليها السلام، وأن الله تعالى قد اتحد في جسد المسيح عليه السلام، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

قال الشهرستاني[٥]: "أثبتوا لله تعالى أقانيم ثلاثة، قالوا: الباري تعالى جوهر واحد، يعنون به

---

(١) الكشاف، الزمخشري، (٥٩٣/١ – ٥٩٤)، انظر: مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، (٢٧٢/١١)، أنوار التنزيل، البيضاوي، (١١١/٢)، إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٢٦٠/٢)، البداية والنهاية، ابن كثير، (٥٦/٢).

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، (١٩٠/٣).

(٣) القاموس المقدس: هو كتاب يضم العهد القديم والعهد الجديد، ويقصد بالعهد القديم التوراة والكتب الملحقة بها، والعهد الجديد مجموعة الأناجيل والرسائل الملحقة بها، انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف، ص١٩٥، تأملات في الأناجيل والعقيدة، بهاء النحال، ط٢، ١٩٩٤م، (د. ن. ب)، ص١٨٤.

(٤) دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف، ص٢٧٠، نقلاً من كتاب القاموس الكتاب المقدس، ص٢٣٤، انظر: محاضرات في النصرانية، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨١هـ – ١٩٦٦م، ص١٠٠.

(٥) محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني أبو الفتح، كان إمامًا فقيهًا، برع في الفقه والأصول، وكان قوي الفهم، مليح الوعظ، ولد سنة أربعمائة وتسع وسبعين، وتوفي سنة خمسمائة وثمان وأربعين رحمه الله، من مصنفاته: =

القائم بالنفس...، فهو واحد بالجوهرية، ثلاثة بالأقنومية، ويعنون بالأقانيم: الصفات، كالوجود والحياة والعلم، وسموها: الأب والابن وروح القدس"(١).

و"اعلم أنّ سائر النصارى مجمعون على الثّالوث، وهو: أنّ ربهم أبٌ وابن وروح، فيعبّرون بالأب عن الذات، وبالابن عن النطق الذي هو الكلام، وبالروح عن الحياة، ويزعمون أنه لا يصحّ التّوحيد لموحّدٍ دون أن يعتقد هذا، فزعمون أنّ الأب جوهر، وأنّ له صفة حياة وصفة نطق"(٢).

7ـ الرد على عقيدة التثليث من السورة:

- **الآية الأولى**: من سورة النساء وهي: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٧١﴾ [سورة النساء: ١٧١].

فالشاهد: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾، لا تقولوا: آلهتنا ثلاثة، اللهُ وصاحبته وابنه، تعالى الله عن ذلك، انتهوا عن هذا خيرًا لكم مما أنتم عليه(٣).

قال البيضاوي: ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ﴾ أي: الآلهة ثلاثة، الله والمسيح ومريم، ويشهد عليه قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ﴾ [سورة المائدة: ١١٦]، أو الله

=

(نهاية الإقدام في علم الكلام)، (المناهج والبينات)، (تلخيص الإقسام لمذاهب الأنام)، وكتاب (الملل والنحل)، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، (٢٧٣/٤)، سير أعلام النبلاء، الذهبي، (٩٢/١٥).

(١) الملل والنحل، الشهرستاني، (٢٦/٢).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، الهاشمي، (٤٩٣/١)، انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٣/٦).

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي، ص٣٠٤.

ثلاثة إن صح أنهم يقولون: الله ثلاثة أقانيم، الأب والأبن وروح القدس، ويريدون بالأب الذات، وبالابن العلم، وبروح القدس الحياة، انْتَهُوا عن التثليث(١).

- **الآية الثانية**: بينت بأن الله تعالى واحد لا شريك له، ولن يستنكف المسيح ولا الملائكة المقربون عن عبادة الله في قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟﴾ [سورة النساء: ١٧٢-١٧٣].

والمعنى: أن النصارى غالوا في تعظيم عيسى عليه السلام، حتى رفعوه من مقام النبوة، وادعوا فيه الألوهية، فجاءت سورة النساء موضحة بطلان هذه العقيدة التي كان يؤمن بها كثير من النصارى، مبينة كفر من قال هذه المقولة، كما نصت عليه الآية السابقة، وقد قالوا هذا المقولة كفرًا بربهم وشركًا أن الله ثالث ثلاثة، وهذا قولٌ كان عليه جماهير النصارى قبل افتراق الملكانية(٢)، والنسطورية(٣)، واليعقوبية(٤)،(٥)، وهذه هي العقيدة التي كان يعتنقها كثير من فرق النصارى، وليس كلهم، بدليل أن النجاشي كان يؤمن بأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله كسائر الأنبياء، وهذا هو

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (١١١/٢).

(٢) الملكانية: أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية، قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته، ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنا، بل المسيح مع ما تدرع به ابن، فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسد المسيح، كما يمازج الخمر أو الماء اللبن، انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، (٢٧/٢).

(٣) النسطورية: أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، حيث قال: إن الله تعالى واحد، ذو أقانيم ثلاثة: الوجود، والعلم، والحياة، وهذه الأقانيم ليست زائدة على الذات، ولا هي هو، واتحدت الكلمة بجسد عيسى عليه السلام، لا على طريق الامتزاج كما قالت الملكانية، ولا على طريق الظهور به كما قالت اليعقوبية، ولكن كإشراق الشمس، انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، (٢٧/٢ – ٢٩ – ٣٠).

(٤) اليعقوبية: أصحاب يعقوب: قالوا بالأقانيم الثلاثة، إلا أنهم قالوا: انقلبت الكلمة لحمًا ودمًا، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو. انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، (٢٧/٢ – ٢٩ – ٣٠).

(٥) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٤٨١/٢ – ٤٨٢).

مذهب الطائفة الآريوسية أتباع آريوس(١).

"وَلَا يظنّ الظَّان أَن هَذَا الْمَذْهَب الَّذِي ارْتَكَبهُ هَؤُلَاءِ الْقَوْم فِي الأقانيم والاتحاد مُحْتَاج فِي إِبْطَاله إِلَى نظر واجتهاد، بل الْعُقُول بأوائلها تشهد بفساده، كَمَا أَن الْحس يدْرك بَيَاض الْجِسْم من سوَاده، وَهَؤُلَاء معاندون، وللضروريات جاحدون"(٢)، وهذا يدلل على أن النصارى كانوا وما زالوا في شك من أمر المسيح ولم يكونوا على يقين، وهو ما دللت عليه كذلك سورة النساء.

وكذلك لو كان عيسى عليه السلام إله ما رضي لنفسه أن يستوي هو ومخلوقاته، فيعيش بين خلقه، ويتعرض للأذى من أعداءه، ويضرب ويهان على خشبة الصليب، ثم بعد ذلك يصلب فيكون فدية عن البشرية ليخلصهم من الذنب الذي اقترفه أبوهم آدم عليه السلام عندما أكل من الشجرة، وما ذنب عيسى أن يتحمل وزر غيره، وهل الخطيئة التي ارتكبها آدم بأكله من الشجرة التي نهاه الله عنها بكل هذا الحجم من الذنب حتى ينزل الرب حسب زعمهم ليكفر عن هذه الخطيئة(٣)؟

ولو كان المبرر عند النصارى في اتخذهم عيسى إلهًا أنه جاء بمعجزات؟ فلا يخفى على أحد أن كل الأنبياء جاءوا بمعجزات تكون دليلاً على صدقهم، ولو كان مبررهم خلق عيسى من غير أب، فخلق آدم وحوى أعجب(٤).

ولو كان عيسى عليه السلام فعلاً قد ادعى الألوهية لتكلم بذلك اليهود – خصومه واعداؤه –، فقد سعى اليهود إلى ملك الرومان لتحريضه على قتل عيسى لمجرد حقدهم عليه، فلو أدعى عيسى الألوهية؛ لكان دافعهم إلى ذلك أعظم وأكبر.

---

(١) آريوس: كَانَ قسيسًا بالإسكندرية، وَمن قَوْله: التَّوْحِيد الْمُجَرّد، وَأَن عِيسَى عليه السلام عبد مَخْلُوق، وَأَنه كلمة الله تَعَالَى الَّتِي بهَا خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، (٤٧/١)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، (٥٣٦/٢).

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، القرطبي، ص١٤٢.

(٣) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، (١٠٨/٢)، هداية الحيارى، ابن القيم، (٤٩٨/٢).

(٤) انظر: المختار في الرد على النصارى، عمرو بن بحر بن محبوب الشهير بالجاحظ، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، ص٨٢.

مسألة: نصت الآية من سورة النساء على عقيدة اليهود في مريم ﵍، في قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٥٦]، "فحين ولدت عيسى ﵇ رماها اليهود بالزنا، قال ابن جرير: أي: بفريتهم عليها، ورميهم إياها بالزنا، وهو: البهتان العظيم؛ لأنهم رموها بذلك، وهي مما رموها به بغير ثَبَتٍ ولا برهان بريئة، فبهتوها بالباطل من القول"(١)، "وإنما صار هذا الطَّعْنُ بُهْتانًا عَظِيمًا؛ لأنه ظَهَر عند ولادَةَ عِيسَى ﵇ من الكَرَامَاتِ والمُعْجِزَاتِ ما دَلَّ على بَرَاءَتِها من كُلِّ عَيْبٍ، نحو قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [سورة مريم: ٢٥]، وكلام عيسى ﵇ طفْلاً مُنْفصِلاً عن أمِّهِ، فإنَّ كُلَّ ذلك دَلاَئِل قاطِعَةٌ على بَراءة مَرْيَم ﵍ من كل رِيبَةٍ، فلا جَرَم وَصَف اللَّهُ تعالى طَعْنَ اليهُود فيها بأنَّهُ بُهْتَانٌ عَظِيمٌ"(٢)، وبين الله تعالى أن مريم ﵍ كانت صديقة في قوله: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة المائدة: ٧٥]، فكانت كثيرة الصدق، وهذا دليل طهارتها(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ [سورة التحريم: ١٢].

فالشاهد: أن مريم ﵍ كانت كذلك صديقة، فقد صدقت بكلمات ربها حين قال لها جبريل ﵇: إنما أنا رسول ربك، وبشرها بعيسى ﵇(٤)، فمريم ﵍ طاهرة وبريئة مما قاله اليهود، وهذا ما بينته سورة النساء.

---

(١) جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٣٦٦/٩)، انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، (١٣٢/٢).

(٢) اللباب في علوم الكتاب، النعماني، (١١١/٧).

(٣) المرجع السابق، (٤٦٣/٧).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٠٤/١٨).

المسألة الثانية: **دلائل نبوة محمد ﷺ من السورة**.

سنبين هنا دلائل نبوت النبي ﷺ، وسيكون الحديث حول القرآن الكريم باعتباره معجزة النبي ﷺ الكبرى، كما أن سورة النساء لم تتحدث في آياتها من دلائل النبوة إلا عليه.

دلالة القرآن الكريم على نبوته ﷺ من السورة:

ورد في سورة النساء نزول القرآن الكريم كدلالة على نبوة النبي ﷺ في آيتين:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [سورة النساء: ١٠٥].

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ١١٣﴾ [سورة النساء: ١١٣].

ففي الآيتين إخبار من الله –تبارك وتعالى–، يتضمن نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ فيه أحكام وبيان كل شيء بالحق؛ ليحكم بين الناس بما أنزل الله تعالى إليه، وعلمه الله تعالى بما أوحاه إليه ما لم يعلم، وتفضل عليه سبحانه بالقرآن الكريم، وهذه منة من الله تعالى على رسوله محمد ﷺ؛ وليكون دليلاً على صدقة نبوته بين عباده(١).

فالشاهد في الآيتين: نزول القرآن الكريم على النبي ﷺ كدليل على نبوته وصدق رسالته، فالقرآن المعجزة الخالدة إلى قيام الساعة، والدليل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، المتحدى به، فقد تحدى الله قريشًا أن يأتوا بمثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا على أن يأتوا بمثلة، وقال لهم: ليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين فعجزوا عن ذلك(٢).

---

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، (٣٢٩/٥)، تفسير المراغي، (١٥٢/٥)، التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١٩٧/٥)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، (٥٣٩/١).

(٢) انظر: إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، تحقيق: جماعة من العلماء، ص٤٨.

وقد بين الله هذا في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة الطور: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة هود: ١٣]، وقوله كذلك: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٣]، ثم أخبرهم بأنه لو اجتمع الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما استطاعوا، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الإسراء: ٨٨]، وقوله تعالى مؤكدًا على نبوته ﷺ، وعلى أن القرآن كلامه أوحاه إليه لينذر الناس: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [سورة الأنعام: ١٩]، وَالقرآن شَاهِدٌ بِنُبُوَّة النبي ﷺ، لينذر أهل مكة ومن بلغه القرآن وصدقه(١)، كما أن هذه الآية بحد ذاتها معجزة فيه تدل على صدق الرسول ﷺ(٢).

فكانت معجزة النبي ﷺ التي تُحدى بها من قبل قريش هو الوحي المتمثل في القرآن لما تضمن من صور الأعجاز الواضحة(٣)، والقرآن هو أعظم معجزات النبي ﷺ وأفيدها؛ لأنه يجتمع على الدعوة والحجة(٤).

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، لقرطبي، (٣٩٩/٦).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٢٤٦٢/٥)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، الجزائري، (٤٤/٢).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٦/٩).

(٤) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط. ت)، (١٣/٢٠).

الفصل الثالث:
الغيبيات في سورة النساء:

وفيه مبحثين:

- المبحث الأول: الملائكة والشياطين.
- المبحث الثاني: اليوم الآخر وبيان القضاء والقدر.

المبحث الأول:

الملائكة والشياطين

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: التعريف بالملائكة، والإيمان بهم، وصفاتهم، وأعمالهم الواردة في السورة.
- المطلب الثاني: عداوة الشياطين ووسائلها في إغواء بني آدم.

المطلب الأول: التعريف بالملائكة، والإيمان بهم، وصفاتهم، وأعمالهم الواردة في السورة.

في هذا المطلب سيتم تعريف الملائكة من حيث اللغة والاصطلاح، ووجوب الإيمان بهم، ثم ذكر صفاتهم وأعمالهم الواردة في السورة، وذلك على النحو التالي:

أولاً: تعريف الملائكة لغة واصطلاحاً:

الملائكة في اللغة:

"الملائكةُ: في الأصل جمعُ مَلْأَكٍ، ثُمَّ حُذفَتْ همزتهُ لِكَثْرَةِ الاسِتْعمَال، فَقِيلَ: مَلَكٌ، وَقَدْ تحذفُ الهاءُ فَيُقَالُ: مَلَائِك، وَقِيلَ: أصلُه: مَأْلَكٌ، بِتَقْدِيمِ الهمزةِ، مِنَ الأَلُوك: الرِّسالة، ثُمَّ قُدِّمَت الهمزةُ وجُمِع"(١).

فالملائكة هم: من يقومون بتبليغ الوحي والشرائع إلى الأنبياء والرسل، وغيرها من الأعمال الجليلة، والوظائف الكبيرة التي وكلوا القيام بها بأمر الله.

الملائكة في الاصطلاح:

عرفهم بعض العلماء بأنهم: "أَجْسَامٌ لَطِيفَةٌ، أُعْطِيَتْ قُدْرَةً عَلَى التشكل بأشكال مُخْتَلفَة، ومسكنها السَّمَاوَات"(٢).

ثانياً: الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان الستة، ولا يصح إيمان العبد إلا بالإيمان بهم، وقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية على وجوب الإيمان بهم في قوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٣٥٩/٤)، انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٤٩٦/١٠)، تاج العروس، الزبيدي، (٣٥٤/٢٧).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٣٠٦/٦)، انظر: التعريفات، الجرجاني، ص٢٢٩.

وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٢٦-٢٨]، فهم عباد مكرمون متوسطون بين الله وأنبياءه ورسله بإلقاء الوحي وإنزال الكتب(١).

"فخلق الله الْمَلَائِكَة جَمِيعًا لطاعته، وجبلهم على عِبَادَته، وكلفهم بأعمال ووظائف، فَمنهمْ مَلَائِكَة بقدرته للعرش حاملون، وَطَائِفَة مِنْهُم حول عَرْشه يسبحون، وَآخَرُونَ بِحَمْدِهِ يقدسون، وَاصْطفى مِنْهُم رسلًا إِلَى رسله، وَبَعضاً مدبرون لأَمره"(٢).

"والإيمان بالملائكة الأخيار الأطهار الذين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، وهو: إيمان بالغيب الذي لَا يرى، ولا يحس، وأول شعار المؤمن الإيمان بهم...، وحق علينا التصديق بوجودهم، وهم مذكورون في كتابه الكريم، وفي الكتب التي صدقها، والكفر بهم كفر بالله وبالقرآن"(٣).

وتقديم ذكر الملائكة على الأنبياء في الآيات السابقة لا لفضلهم عليهم، وإنما لتقدمهم في الخلق، فالملائكة خلقت قبل الأنبياء؛ ولأنهم وسائط بين الله ورسله في تبليغ الوحي والشرائع(٤).

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، (١٩٣/١)، روح المعاني، الألوسي، (٤٤٣/١).

(٢) شرح السنة، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل أبو إبراهيم المزني، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص٧٦ بتصرف يسير.

(٣) زهرة التفاسير، أبو زهرة، (٥١٩/١) بتصرف يسير.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (٣٠٦/٦)، اللباب في علوم الكتاب، النعماني، (٥٢٦/٤).

فشعار المؤمن الإيمان بكل ما أوجب الله تعالى عليه من الإيمان به، وبملائكته، وكتبه، ورسله، والآيات المتقدمة دليل على ضرورة الإيمان بهم، وبوجودهم، وما هم عليه من صفات، وأن لهم أعمالاً يقومون بها على الوجه المطلوب منهم.

وفي حديث جبريل الطويل، وسؤاله النبي ﷺ عن الإيمان، فقال: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليوم الآخر، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))(١)، وكذلك قوله ﷺ: في الحديث الذي رواه أبي ذر رضي الله عنه: عن النبي ﷺ: ((إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ(٢) السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا))(٣).

وقد بينت سورة النساء أن من يكفر بهم أو بركن من أركان الإيمان فهو كافر بنص الآية الكريمة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٦]، هذه هي الأصول التي اتفق عليها الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وعلى الإيمان بها، وهذا الحكم شامل لوجود الملائكة ولصفاتهم وأعمالهم.

ثالثاً: صفات الملائكة الواردة في سورة النساء:

نصت السورة على صفتين للملائكة عليهم السلام، أوردها فيما يأتي:

الصفة الأولى: شهادة الملائكة على نزول القرآن الكريم على محمد ﷺ:

فالملائكة تشهد على نزول القرآن الكريم، وثبوت الوحي على النبي ﷺ، وأنه صفيه من خلقه وخيرته من عباده(٤)، كما في قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٦٦].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، (٣٦/١)، رقم (٨).

(٢) أطت: سمع لها صوتٌ، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، (١/ ٥٤). لسان العرب، ابن منظور، (٢٥٦/٧).

(٣) سنن الترمذي، باب قول النبي ﷺ: "لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً"، (٥٥٦/٤)، رقم (٢٣١٢)، وقال الترمذي حديث حسن غريب.

(٤) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٤٠٩/٩)، بحر العلوم، السمرقندي، (٣٥٩/١).

وإخبار الله تعالى عن شهادة الملائكة على صدق ما أنزل على رسوله من القرآن الكريم راجع لكمال إيمانهم، ومكانتهم عند الله تعالى؛ ولجلالة هذا المشهود عليه، فإن الأمور العظيمة لا يستشهد عليها إلا الخواص، كما قال تعالى في الشهادة على التوحيد(١): ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٨].

الصفة الثانية: تواضع الملائكة في عبادتها لله ﷻ:

فمن صفات الملائكة أنهم لا يأنفون ولا يتكبرون في عبادتهم لله تعالى، فهم مقرون له بالعبودية، ومذعنون له بالطاعة، كما في قوله تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة النساء: ١٧٢]، فالملائكة المقربون حملة العرش، لن يستكبروا عن الإقرار بالعبودية لله ﷻ، فمن صفاتهم أنهم لا يملون من العبادة لله ولا يسئمون(٢).

وغيرها من الصفات المذكورة في القرآن الكريم.

رابعًا: أعمال الملائكة الواردة في سورة النساء:

اقتصرت سورة النساء في آياتها على عمل واحد من أعمال الملائكة الكثيرة التي ذكرت في القرآن الكريم والسنة النبوية.

فبينت السورة أن قبض الأرواح هي من الأعمال التي كُلفت الملائكة القيام بها في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [سورة النساء:٩٧].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٢١٥ بتصرف يسير.

(٢) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، (٣٦١/١)، معالم التنزيل، البغوي، (٧٢٦/١).

فوجه الدلالة قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، **والشاهد:** أن الله تعالى قد وكل بعضاً من الملائكة بقبض أرواح العباد في الوقت الذي يأذن به ﷻ، فلا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، ومثل الآية السابقة قوله تعالى في سورة محمد: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة محمد:٢٧].

واعلم أن الموكل بقبض الأرواح على وجه الخصوص هو: ملك الموت الذي يقبض كل ذي روح، ويتصرف فيها بأمر من الله تعالى، وله جندٌ يعملون عمله بأمره(١)، كما في قوله تعالى في سورة السجدة: ﴿* قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة السجدة:١١].

(١) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ط١، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٥هـ، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم، (١/٢٦٠).

المطلب الثاني: عداوة الشياطين ووسائلها في إغواء بني آدم.

في هذا المطلب سيتم بيان عداوة الشياطين، ووسائلها في إغواء بني آدم الواردة في السورة، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: تعريف الشيطان:

الشيطان في اللغة:

قال علماء اللغة: إن جعلت نون الشيطان أصلية كان من الشطن، وهو البعد؛ ولذلك سمي الشيطان بهذا الاسم؛ لبعده عن الحق والخير وتمرده، وكل عاتٍ من الجن والإنس والدواب يسمى: شيطاناً، وقيل: الشطن: الحبل، وقياسه بذلك؛ لأنه بعيد ما بين الطرفين، أو كأنه طول في الشر، وإن جعلت نون الشيطان زائدة، فهو من شاط يشيط إذا هلك، أو من استشاط غضبًا إذا احتد في غضبه والتهب، والأول أصح(١).

الشيطان في الاصطلاح:

لقد عرف العلماء الشيطان بعدة تعريفات منها: أن كلُّ عاتٍ من الإنس والجنّ والدوابّ يدعى شَيْطان(٢)، وقيل: الشيطان: هو: الشديد البعد عن محل الخير(٣)، وقيل: المراد بالشيطان الوارد في القرآن: إبليس، من قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ [سورة البقرة: ٢٦٨](٤).

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، (١٨٤/٣)، المصباح المنير، الفيومي، (٣١٣/١)، لسان العرب، ابن منظور، (٢٣٧/١٣ – ٢٣٩).

(٢) انظر: الصحاح، الفارابي، (٢١٤٤/٥)، مختار الصحاح، الرازي، (١٦٥/١).

(٣) انظر: التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، (٢١٠/١).

(٤) انظر: القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، (١٩٦/١).

والناظر في آيات القرآن الكريم يجد أن لفظ الشيطان يراد به: إبليس على وجه الخصوص، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة البقرة: ٣٦]، وقد يراد به: كل متمرد على أوامر الله تعالى(١)، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [سورة الأنعام: ١١٢].

ثانياً: عداوة الشياطين:

إن عداوة الشيطان للإنسان واضحة منذ أن خلق الله آدم عليه السلام، وأمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا إلا إبليس أبى أن يسجد لآدم حسدًا منه واستكبارًا، عندها طرد الله إبليس من الجنة بسبب عصيانه لأمره، وقطع إبليس على نفسه وعدًا بإغواء بني آدم، فحذر الله -تبارك وتعالى- من عبادته وإتباع خطواته في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وقد ورد ذلك في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ۖ وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [سورة النساء: ١١٧-١١٨]، وهذه العداوة واضحة للإنسان عند قول رب العزة والجلال: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [سورة النساء: ١١٨]، فأراد أن يجعل له من عباد الله تعالى فرضًا معلومًا لعبادته، ودعائه إياهم لطاعته؛ وذلك بإغوائه إياهم عن قصد السبيل، فهذا نصيبه المعلوم(٢).

وقد سماه الله -تبارك وتعالى- شيطانًا مريدًا؛ وذلك لتمرده عن أوامره سبحانه، فاستحق الطرد من رحمته ﷻ(٣).

---

(١) انظر: المباحث العقدية في سورة الزخرف، فادي الفيشاوي، ص١٦٣.

(٢) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٩/٢١٢ – ٢١٣).

(٣) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (١/٣٠٧).

وعداوة الشيطان لبني آدم لا تتمثل في قدرته على ضرهم وإيقاع الأذى بهم، وإنما يكون بوسوسة، وأفكار رديئة تميل إليه النفس والطبع(١)، وتزيين الشر لهم؛ لذلك أمر الله تعالى عباده بقتال أولياء الشيطان الذين يتبعون أوامره ووساوسه، كما هو واضح من سورة النساء في قوله تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [سورة النساء: ٧٦]، فكيد الشيطان ضعيف لا يؤبه له، واعتماد أتباعه عليه أضعف شيء وأوهنه(٢).

ثالثاً: وسائل الشياطين في إغواء بني آدم:

للشياطين وسائل كثيرة في إضلال وإغواء بني آدم، وقد بينت سورة النساء بعضًا منها في قوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠﴾ [سورة النساء: ١١٩-١٢٠]، وتفصيلها على النحو التالي:

١ - الإضلال:

وهو: صد الناس عن دين الله تعالى، وصد الناس عن الإسلام إلى الكفر، وعن الطاعة إلى عمل المعصية، وعن عمل الفاضل إلى عمل المفضول عليه، وعن الشكر إلى الجحود، ونسيان المنعم؛ ليغرق اتباعه بالمعاصي وسخط الله، وليفوت عليهم الثواب، ويستحقوا بذلك العقاب، كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ٦٠﴾ [سورة النساء: ٦٠].

ولذلك قال رَسُولَ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: ((أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ(٣) عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ

(١) انظر: آكام المرجان في أحكام الجان، محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقيّ ابن تقي الدين، مكتبة القرآن، مصر، (د. ط. ت)، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل، ص٢١٩.

(٢) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، (٨٥/٢).

(٣) النحلة: العطية، الصحاح، الفارابي، (١٨٢٦/٥)، انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٦٥٠/١١).

الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا...))[1]، وهذا يؤكد على سلامة الفطرة، فكل الناس مفطورون على الاعتراف بدين الله تعالى، ومن انحرف عن دينه فإنما هو باتباع الشيطان.

٢- تمنيتهم بالأماني:

إن الشياطين تمني الناس، فتلبس عليهم بطول الحياة والأمل، وأنه لا بعث ولا عقاب، وتحبب إليهم المال والرئاسة والجاه والسعي لنيل المناصب في الدنيا بقصد إشغالهم عن دين الله تعالى، وصرفهم عن طاعته[2]، وهذا واضح في قوله تعالى من السورة: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة النساء: ١٢٠].

٣- الأمر بتغيير خلق الله:

والمراد بالأمر في الآية السابقة هو: القيام بتقطيع آذان الأنعام، وإخصاء الحيوانات؛ لتعذيبها، وقطع النسل عنها، وإن أجازه البعض في البهائم، لكن المراد من تغيير خلق الله تعالى في الآية أعم وأشمل، فهو تغيير يشمل دين الله تعالى، وفطرة الله التي فطر الناس عليها[3]، كما بينته السورة في قوله تعالى: ﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة النساء: ١١٩].

فالشاهد: أن الأمر بعمل مخالف لدين الله تعالى هو: وسيلة من وسائل الشياطين، الهدف منها: أن يدعوا أتباعهم فيستجيبون لهم، ويعملون لطاعتهم، فيكونون بذلك قد جعلوا لهم نصيباً من العبادة[4]، وهذ واضح في قوله تعالى من هذا السورة: ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [سورة النساء: ١١٨].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة واهل النار، (٤/٢١٩٧)، رقم(٢٨٦٥).

(٢) انظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص١١٨.

(٣) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٩/٢١٧ – ٢١٨)،

(٤) انظر: المرجع السابق، (٩/٢١٤).

٤ – الوعد:

وهو: أن تعدهم الشياطين بالفقر والخوف، كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة النساء: ١٢٠]، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٦٨]، فتعدهم بالفقر والخوف إن هم أنفقوا على الفقراء بالفقر، وتغريهم بالبخل، ومنع الصدقات، وبارتكاب المعاصي(١).

٥ – القيام بنشر الإشاعات:

وهذا واضح من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [سورة النساء: ٨٣]، فالشياطين تأمر أتباعها بنشر الإشاعات في وسط المجتمعات بقصد إضعاف أفراد المجتمع وكسر قوتهم، وهذا ما كان يفعله بعض من كان في قلبه ضعف من المسلمين والمنافقين في حياة النبي ﷺ في المدينة النبوية، عندما يسمعون أخباراً عن السلم أو الحرب؛ إذ كانوا لا يرجعون إلى النبي ﷺ أو إلى أولي الأمر من المسلمين الذين يفهمون في سياسة الحرب والسلم، ليتأكدوا منها، مما يساعد في نشر الخوف بين صفوف المسلمين، وتثبيط همهم.

ونشر الإشاعات سواءً كانت في أخبار الحرب والسلم، أو كانت في نشر أخبار الناس، بقصد أضرارهم، ونشر الفوضى فيما بينهم، لا شك أن هذا من عمل الشياطين الداعين لها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [سورة النساء: ٨٣]، فلولا فضل الله على الناس بإرسال محمد عليه الصلاة والسلام، ورحمته بهم، بإنزال

---

(١) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (٣٧٢/١)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، (٢٢٠/١).

الكتاب عليهم هداية لهم من الضلال، لاتبعوا الشيطان بهذا السلوك، إلا قليلاً ممن عصمه الله تعالى عن متابعته(١).

فالشاهد: أن نشر الإشاعات مما تحبه الشياطين وتدعوا إليه، وهذه من وسائلها بقصد فتنة الناس، وإبعادهم عن الحق.

ولقد بين الله تعالى في سورة النساء: أن وسائل الشياطين التي تتبعها في حربها لبني آدم ما هي إلا غرورًا، فتظهر لهم الباطل فِي صورة الحق، واعتقاد الفاسد صحيحًا، والرديء جيدًا؛ بسبب وجود شبهة أوجبت لهم ذلك(٢)، وقد بين الله ذلك في قوله تعالى: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾﴾ [سورة النساء: ١٢٠-١٢١]، وما تلك الأماني إلا باطلاً لا تغنيهم بشيء؛ لأنه يتبين لهم بعد ذلك اشتمال هذه الأماني على أعظم المفاسد والمضار، ومأواهم جهنم ليس لهم منها مفر(٣).

فهذا جزء يسير من وسائل الشياطين التي بينتها هذه السورة، والمتأمل في نصوص القرآن الكريم يجد فيه الكثير من وسائل الشياطين التي يعملون بها في عداوتهم لبني آدم، وعلى العاقل أخذ الحيطة والحذر من عدو قد أبان عداوته، وأعلن حربه، وبذل نفوسه وعمره في إفساده(٤)، ومن عرف أعدائه لزم عليه اللجوء إلى من خلقه للاستعانة به.

---

(١) انظر: أنوار التنزيل، البيضاوي، (٨٧/٢)، مدارك التنزيل، النسفي، (٣٧٨/١).

(٢) تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص٣٦.

(٣) انظر: اللباب في علم الكتاب، النعماني، (٢٨/٧).

(٤) انظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، ص٢٣.

المبحث الثاني:

اليوم الآخر وبيان القضاء والقدر

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: اليوم الآخر وبيان الجوانب المتعلقة به.
- المطلب الثاني: القضاء والقدر من خلال مسألة الهداية والضلال.

المطلب الأول: اليوم الآخر وبيان الجوانب المتعلقة به.

في هذا المطلب سنعرف اليوم الآخر، وسنذكر دلالة سورة النساء على الإيمان به، ثم سنذكر الجوانب المتعلقة به، على النحو التالي:

أولاً: تعريف اليوم الآخر:

"معناه: التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك، ويدخل في ذلك: الإيمان بأشراط الساعة، وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة، وبالموت، وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور، وخروج الخلائق من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع، وتفاصيل المحشر من: نشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط، والحوض، والشفاعة، وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله ﷻ، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم ﷻ"(١).

ويتضمن الإيمان باليوم الآخر عدة أمور منها(٢):

- **التصديق بما يكون بعد الموت من فتنة القبر**: وهي: سؤال الميت عن ثلاث: عن ربه، وعن نبيه، وعن دينه، فيثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت، ويضل الظالمين، وعذاب القبر للظالمين من المنافقين والكافرين، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الأنعام: ٩٣]، ونعيم القبر للمؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة فصلت: ٣٠].

---

(١) أعلام السنة المنشورة، مرجع سابق، ص٥٥، انظر: العقيدة الصحيحة وما يضادها، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، (د. ط. ب. ت)، ص١٧، الوجيز في عقيدة السلف الصالح، الأثري، (٨٣/١).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، (١٣٠/٥).

- **التصديق بالبعث والحشر**: وهو: إحياء الموتى من قبورهم بعد نفخة الصور الثانية، فيقوم الناس حفاة عراة غرلاً، ويحشرون في مكان واحد، وهذا واضح من السورة في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [سورة النساء: ٨٧]، وقوله النبي ﷺ: ((يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا))(١).

- **التصديق بالحساب والجزاء**: وهو: أن يحاسب العبد على ما عمله في الدنيا، ويجازى عليه، وقد ثبت هذا بالكتاب والسنة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ [سورة الغاشية: ٢٥-٢٦]، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠].

- **الاعتقاد بالجنة والنار**: فالجنة والنار المأوى للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين الذين آمنوا به وبرسوله، وبكل ما أوجب عليهم الإيمان به، كما هو واضح من السورة في قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٣﴾ [سورة النساء: ١٣]، وكذلك قوله ﷻ من السورة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ [سورة النساء: ٥٧].

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين الذين عصوا الله ورسوله، حيث بينت هذا السورة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [سورة النساء: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ٣٠﴾ [سورة

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، (٤/٢١٩٤)، رقم (٢٨٥٩).

النســاء: ٣٠]، وكــذا قولــه تعــالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦﴾ [سورة النساء: ٥٦]، فهذه الآيات دالة على اهتمام سورة النساء كغيرها من السور باليوم الآخر.

ثانياً: دلالة سورة النساء على الإيمان باليوم الآخر:

لقد دلّت سورة النساء على الإيمان باليوم الآخر في آيات عديدة، وهي على النحو التالي:

١- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا ٣٨﴾ [سورة النساء:٣٨].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَمَاذَا عَلَيۡهِمۡ لَوۡ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمۡ عَلِيمًا ٣٩﴾ [سورة النساء: ٣٩].

٣- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [سورة النساء: ٥٩].

٤- وقولــه تعــالى: ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ٧٧﴾ [سورة النساء: ٧٧].

فبين الله تعالى في الآيات السابقة على ضرورة الإيمان باليوم الآخر، وأنه خير من متاع الدنيا الزائل، وهذه الآيات فيها دلالة على صدق وقوعه.

٥- وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [سورة النساء: ٨٧]، الآية فيها قسم من الله تعالى بجمع الخلق،

وحشرهم من قبورهم إلى يوم القيامة للحساب[1].

٦- وقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٤].

٧- وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾﴾ [سورة النساء: ١٦٢]، "يخبر الله ﷻ أن المؤمنين المقرين له بالوحدانية والمعترفين باليوم الآخر سَوف يعطيهم الله في الآخرة ثوابًا عظيمًا، وهو الجنة"[2].

فالشاهد من هذه الآيات: أنها دالة على وقوع اليوم الآخر، وأنه آتٍ لا محالة.

والحقيقة: أن الإيمان باليوم الآخر هو أهم عناصر الإيمان؛ لأنه إيمان بالغيب، وهو الذي يجعل المؤمن يعرف حقيقة الدنيا، ويصبر على حلوها ومرها، ولا تذهب نفسه حسرات عليها عند فواتها، ولا يطغى ويغتر عندما يعطيه الله تعالى، ويعلم أنه مجزي بالصبر إن صبر، محاسب على ما أنعم الله تعالى به عليه، فبيّن الله تعالى أنَّ بعد الإيمان به وباليوم الآخر، وما فيه من بعث ونشور، وغيره من أحداث اليوم الآخر، وصبر في السراء والضراء، سينال جزاء عظيمًا[3].

فهذه آيات دالة على تحقق وقوع اليوم الآخر، وقد حكم الله بكفر من يكفر باليوم الآخر، كما في قوله تعالى من السورة: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٦].

ثالثًا: الجوانب المتعلقة باليوم الآخر.

لقد بينت سورة النساء أحداثًا تعلقت باليوم الآخر، من: الموت، والحشر، والجنة، والنار، وقد بينها القرآن الكريم في كثير من سوره، وسوف نبين هذه الأحداث التي وردت في هذه السورة على النحو التالي:

---

(١) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٥٩٢/٨)، تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص١٩١.

(٢) انظر: بحر العلوم، السمرقندي، (٣٥٧/١)، معالم التنزيل، مرجع سابق، (٧٢١/١).

(٣) انظر: زهرة التفاسير، مرجع سابق، (١٩٦١/٤).

1ـ الموت:

الموت في اللغة:

"الْمِيمُ وَالْوَاوُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى: ذَهَابِ الْقُوَّةِ مِنَ الشَّيْءِ، ومِنْهُ الْمَوْتُ: خِلَافُ الْحَيَاةِ"(١).

وقيل: "الْمَوْتُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ يُطلق عَلَى السُّكُونِ، يُقَالُ: مَاتَتِ الرِّيحُ: أَيْ سَكَنَت"(٢).

الموت في الاصطلاح:

هو: "انْقِطَاعُ تَعَلُّقِ الرُّوحِ بِالْبَدَنِ، وَمُفَارَقَتُهُ، وَحَيْلُولَةٌ بَيْنَهُمَا، وَتَبَدُّلُ حَالٍ، وَانْتِقَالٌ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ"(٣).

فإذا سكن الإنسان عن الحركة فقد مات، ويبدأ اليوم الآخر بموت الإنسان، والقبر أول منازل الآخرة، وهذا واضح في قول النبي ﷺ: ((إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخرةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ))(٤).

وقد نصت سورة النساء على الموت في آيتين منها:

١- قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [سورة النساء: ٧٨].

والمراد من الآية: أن الموت آتٍ لا محالة منه، ولو كان الناس متحصنون في القصور المنيعة، والمنازل الرفيعة.

---

(١) مقاييس اللغة، (٢٨٣/٥)، انظر: مجمل اللغة، ابن فارس، (٨١٩/١).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، (٣٦٩/٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٠٦/١٨).

(٤) سنن ابن ماجه، باب ذكر القبر والبلى، (٣٣٤/٥)، رقم (٤٢٦٧)، وحسنه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، (٢٥٦٤/١)، رقم (١٦٨٤).

قال محمد رشيد رضا[1]: "فَالْمَوْتَ حَتْمٌ لَا مَفَرَّ مِنْهُ، وَلَا مَهْرَبَ، فَهُوَ لَا بُدَّ أَنْ يُدْرِكَكُمْ فِي أَيِّ مَكَانٍ كُنْتُمْ، وَلَوْ تَحَصَّنْتُمْ مِنْهُ فِي الْبُرُوجِ الْمُشَيَّدَةِ، وَهِيَ: الْقُصُورُ الْعَالِيَةُ الَّتِي يَسْكُنُهَا الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ، فَيَعُزُّ[2] الِارْتِقَاءُ إِلَيْهَا بِدُونِ إِذْنِهِمْ، أَوِ الْحُصُونُ الْمَنِيعَةُ الَّتِي تَعْتَصِمُ فِيهَا حَامِيَةُ الْجُنْدِ"[3].

٢- قوله تعالى: ﴿۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٠٠﴾ [سورة النساء: ١٠٠].

وأما الآية الثانية فالمعنى: أن من هاجر في سبيل الله تعالى ومن أجل تحقيق مقاصد دينية ثم جاءه الموت، فأجره على الله تعالى.

فالشاهد من الآية: أن الموت حقيقة لا مفر منه.

فدلت الآيات من السورة على: حقيقة الموت، وأنه أول منازل الآخرة، وأنه لا يستثني أحدًا حتى الأنبياء والرسل.

2ـ الحشر:

الحشر في اللغة:

"الْحَشْرُ: الْجَمْعُ مَعَ سَوْقٍ، وَكُلُّ جَمْعٍ حَشْرٌ"[4].

---

(١) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين القلموني، محدث ومفسر أديب وسياسي، عمل في التدريس والدعوة، وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد، ومجلة المنار، ولد في عام ألف ومائتين واثنين وثمانين، وتوفي في سنة ألف وثلاثمائة وأربع وخمسين رحمه الله، من مؤلفاته: (تفسير القرآن الكريم ولم يكمل)، (الخلافة والإمامة العظمى)، (الوحي المحمدي)، (يسر الإسلام وأصول التشريع العام)، انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ط١، طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م، ص٢٨٨، الأعلام، الزركلي، (١٢٦/٦)، معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، (٣١٠/٩).

(٢) يعَز: من عز يعز بالفتح إذا أشتد، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٢٢٨/٣).

(٣) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، (٢١٦/٥).

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٦٦/٢).

الحشر في الاصطلاح:

هو: جمع الناس حفاة عراة غرلاً على صعيد واحد للحساب والجزاء يوم القيامة(١).

اعلم أنه لم ترد آية صريحة في سورة النساء عن الحشر، وإنما وردت في السورة آية فقط تناولت الحديث عن جمع الخلق يوم القيامة للحساب والجزاء، وهي: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [سورة النساء: ٨٧].

قال ابن عطية: "والجمع هنا بمعنى: الحشر، فلذلك حسنت بعده ﴿إِلَىٰ﴾، أي: إليه السوق والحشر"(٢)، والمراد: جمع الخلق يوم القيامة، وحشرهم للحساب.

ويأتي جمع الخلق يوم القيامة بمعنى: البعث، قال ابن جرير: "ليبعثنَّكم من بعد مماتكم، وليحشرنكم جميعًا إلى موقف الحساب الذي يجازي الناس فيه بأعمالهم، ويقضي فيه بين أهل طاعته ومعصيته، وأهل الإيمان به والكفر لا ريب فيه"(٣).

وهذا يدل على أن الجمع الوارد في السورة بمعنى: الحشر والبعث، فقد أقسم الله بنفسه ليجمع الناس يوم القيامة للقيام لرب العالمين؛ وبهذا سمي يوم القيامة.

3ـ الجنة جزاء المؤمنين:

الجنة في اللغة:

في الأصل: "الحديقة ذَات الشّجر وَالنَّخْل"(٤).

وقيل: "هِيَ: دَارُ النَّعِيم فِي الدَّارِ الآخرةِ، مِنَ الاجْتِنَان، وَهُوَ: السّتْر، لِتَكَاثُفِ أَشْجَارِهَا،

---

(١) لمعة الاعتقاد، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، ط٢، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، ص٣١.

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٨٨/٢)، انظر: اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، (٥٤٢/٦).

(٣) جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٥٩٢/٨).

(٤) المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (٢١٨/٧)، انظر: المعجم الوسيط، (١٤١/١)، مختار الصحاح، الرازي، ص٦٢.

وتَظْلِيلِها بالْتِفَافِ أغْصَانِهَا، وسُمّيَتْ بالجَنَّة وَهِيَ المَرّة الواحِدة مِنْ مَصْدَر جَنَّه جَنًّا إِذَا سَتَره، فكأنَّها سَتْرةٌ واحِدة؛ لِشدّة الْتِفَافها وإِظْلاَلِهَا"(١).

الجنة في الاصطلاح:

"هي: الدار التي أعدّها الله في الآخرة لعباده المتقين، وما اشتملت من أنواع النعيم، واللذة والبهجة وقرة العين، وهو: نعيم كامل لا يشوبه نقص، جزاء لهم على إيمانهم بالله -تبارك وتعالى-، وعملهم الصالح"(٢).

وقد جاءت آيات من سورة النساء بينت الجنة وما أعد الله تعالى فيها لعباده، وهي على النحو التالي:

١- قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [سورة النساء: ١٣].

بينت الآية أن من التزم حدود الله تعالى، وطاعته، وطاعة رسوله، فجزاءه الجنة، فمن امتثل ما أمر الله تعالى به، وابتعد عما نهى الله عنه، فلا بد له من دخول الجنة، والنجاة من النار، وهذا جزاء له في اليوم الآخر(٣).

٢- قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [سورة النساء: ٥٧].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، (٣٠٧/١).

(٢) انظر: العقائد الإسلامية، سيد سابق، ص٣٠١، الجنة والنار من الكتاب والسنة المطهرة، عبد الرحمن بن سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط٣، مطبعة سفير، الرياض، (د. ت)، تحقيق: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص٩٤، تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب، ط٥، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص٢٣٢، الجنة والنار، عمر بن سليمان الأشقر، ط٧، دار النفائس، الأردن، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ص١١٧، مباحث العقيدة في سورة الزمر، مرجع سابق، ص٦٥٥.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص١٧٠.

بينت الآية ما أعده الله للمتقين في الجنة من أنواع النعيم، فنعيمها خالد أبدي لا يفنى، وأزواجهم مطهرات من المعايب، وهم في ظل من حر النار(١).

٣- وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [سورة النساء: ١٢٢].

٤- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ١٢٤﴾ [سورة النساء: ١٢٤].

وهذا وعد من الله تعالى لعباده بدخول الجنة فضلاً منه ونعمة، فلا أصدق منه حديثًا، ولا يظلمون نقيرًا(٢).

٥- وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ﴾ [سورة النساء: ١٧٣].

والمقصود بالفضل في الآية هو: ما يجدونه في الجنة من النعيم، ففيها ما لا عين رأت، ولا أذنت سمعت، ولا خطر على قلب بشر(٣).

ودلالة هذه الآيات: أن الجنة الواردة فيها هي جزاء المؤمنين.

فبينت كل هذه الآيات: أن دخول المؤمنين الجنة هو: بسبب تقواهم وطاعتهم لربهم، وما قدموا من الأعمال الصالحة، إضافة إلى رحمة الله بهم، فبينت الآيات السابقة أن الإيمان بالله والعمل الصالح شرطان لدخول الجنة.

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص١٨٢.

(٢) النقير: النقرة التي تكون في ظهر النواة، انظر: أنوار التنزيل، مرجع سابق، (٩٨/٢)، معالم التنزيل، البغوي، (٧٠٥/١).

(٣) انظر: بحر العلوم، مرجع سابق، (٣٦١/١)، معالم التنزيل، مرجع سابق، (٧٢٦/١).

وأما ما ذهبت إليه فرقة المرجئة(١)، من أن الإيمان لا يضره معصية، كما أن الكفر لا تنفعه طاعة(٢)، وكذلك من وافقهم في هذا الرأي من الأشاعرة(٣)، والجهمية(٤)، فالرد عليه من وجوه(٥):

الأول: أن ما ذهبوا إليه يخالف نصوص الآيات القرآنية التي بينت أن ارتباط العمل بالإيمان شرط لصحته وعلامة له، قال تعالى كما ورد في سورة النساء: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ [سورة النساء: ٥٧]، وقوله تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ

---

(١) المرجئة: قيل: الإرجاء على معنيين:

أحدهما: بمعنى: التأخير، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [سورة الشعراء: ٣٦]، أي: أمهله وأخره.

والثاني: إعطاء الرجاء، أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح؛ لأنهم كانوا يؤخرون العمل عن النية والعقد، وأما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، انظر: الملل والنحل، الشهرستاني، (١٣٩/١)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، ط٣، دار فرانز شتايز بمدينة فيسبادن، (ألمانيا)، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، (١١٤/١)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي، ص٧٠.

(٢) الفرق بين الفرق، مرجع سابق، ص١٩٠، انظر: التبصير في الدين، مرجع سابق، ص٩٧، الحور العين، مرجع سابق، ص٢٠٣.

(٣) الأشاعرة: هم أتباع أبي الحسن الأشعري، الذي كان معتزليًّا، ثم ترك الاعتزال، واتَّخذ له مذهبًا بين الاعتزال ومذهب أهل السنة والجماعة، ثم رجع عن مذهبه هذا، ووافق الإمام أحمد وأهل السنة والجماعة في معتقداتهم، وبقي بعض أتباعه إلى اليوم يحملون معتقده الثاني، وهم مرجئة في الإيمان، مؤوِّلة في الصفات، وهم أقرب الفرق لأهل السنة والجماعة، انظر: شرح العقيدة الواسطية، الهراس، (٩٨/١)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (٨٣/١)، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب بن علي عواجي، ط٤، المكتبة العصرية، جدة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، (١٢٠٥/٣)، الإيمان بين السلف والمتكلمين، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٤٣٢هـ – ٢٠٠٢م، ص١٤٩.

(٤) الجهمية: اتِّبَاع جهم بن صَفْوَان، الذي قَالَ: بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلهَا، وَزعم أن الْجنَّة وَالنَّار تبيدان وتفنيان، وَزعم أَيْضًا أن الإيمان هُوَ الْمعرفَة بِاللَّه تَعَالَى فَقَط، وأن الْكفْر هُوَ الْجَهْل بِهِ فَقَط، وَقَالَ: لا فعل وَلَا عمل لأحَد غير الله تَعَالَى، وإنما تنْسب الأعمال إلى المخلوقين على الْمجَاز، وغيرها...، انظر: الفرق بين الفرق، مرجع سابق، ص١٩٩، الحور العين، مرجع سابق، ص٢٥٦.

(٥) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، الملطي، ص٤٤ – ٤٦.

مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٧﴾ [سورة النحل: ٩٧].

ثانيًا: أن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالقلب، وعمل بالجوارح والأركان، فهذا هو الحق، أما قولهم: الإيمان قول بلا عمل، فمخالف للآيات(١)، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ [سورة الكهف: ١١٠]، فبينت الآيات أن الإيمان متلازم مع العمل الصالح.

ولهذا قال ابن تيمية: "إيمَانَ الْقَلْبِ التَّامِّ يَسْتَلْزِمُ الْعَمَلَ الظَّاهِرَ بِحَسَبِهِ لَا مَحَالَةَ، وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَقُومَ بِالْقَلْبِ إيمَانٌ تَامٌّ بِدُونِ عَمَلٍ ظَاهِرٍ..."(٢).

ثالثًا: في قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٢١﴾ [سورة الجاثية: ٢١]، في هذه الآية ذم الله تعالى من سوى العمل الصالح بالعمل السيء، وهذا دليل على أن الإيمان لا يقبل إلا بالعمل الصالح، كذلك قوله تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾ [سورة ص: ٢٨].

رابعًا: قول المرجئة بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص يعارض قوله -تبارك وتعالى-: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [سورة الأنعام: ١٦٠]، وقوله ﷻ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠﴾ [سورة النمل: ٨٩-٩٠]، وهذه الآية مثل قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [سورة محمد: ١٧].

---

(١) انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، الملطي، ص٤٤.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢٠٤/٧).

4ـ النار دار الكافرين:

النار في اللغة:

"تطلق على: اللهب الَّذِي يَبْدُو للحاسة، كَمَا تطلق على: الْحَرَارَة المحرقة"(١).

النار في الاصطلاح:

"هي: دار العذاب والعقاب التي أعدها الله سبحانه للكافرين والعصاة، وهي ثابته بالكتاب والسنة، وهي موجودة وباقية لا تفنى، والكفار فيها مخلدون"(٢).

ولقد ورد في سورة النساء الحديث عن النار وعذابها، وأنها جزاء للكافرين والمشركين، وأنهم خالدون فيها أبدًا، أما عصاة المؤمنين فإنهم يدخلونها على قدر معاصيهم، ثم يخرجون منها في آيات كثيرة هي:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [سورة النساء: ١٠].

هذه الآية بينت أن جزاء آكلة أموال اليتامى ظلمًا بغير وجه حق نارًا في بطونهم، وسوف يدخلون سعيرًا، وهي: طبقة من طبقات النار(٣).

ففي هذه الآية دلالة على النار وعذابها، وأنها من أحداث اليوم الآخر.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [سورة النساء: ١٤].

أي: من يعص الله في المواريث وغيرها من الأحكام التي شرعها الله، فله عذاب مهين من

---

(١) المعجم الوسيط، مرجع سابق، (٩٦٢/٢).

(٢) انظر: الجنة والنار من الكتاب والسنة المطهرة، مرجع سابق، ص٩٧، تبسيط العقائد الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٣٢، الجنة والنار للأشقر، ص١١.

(٣) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٢٦/٧)، بحر العلوم، مرجع سابق، (٢٨٤/١)، معالم التنزيل، مرجع سابق، (٥٧٣/١)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٢٢/٢).

الهوان والذل[1]، وبينت الآية كذلك أن من صفات عذاب النار: أنه مهين لمن يدخلها جزاءً على ما اقترفت أيديهم.

٣- وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠﴾ [سورة النساء: ٢٩-٣٠].

أي: ومن يفعل المحرمات كالقتل وظلم النفس أو الغير عدوانًا وظلمًا فسوف يدخله الله نارًا، وهو يسير على الله تعالى[2].

٤- وكذلك قوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٦﴾ [سورة النساء: ٥٦].

فبينت الآية أن الكفر بآيات الله سبب لدخول النار، وهي: جزاء الكافرين.

٥- وبين الله سبحانه في السورة أن من قتل مؤمنًا متعمدًا، فجزاءه جهنم خالدًا فيها، واستحق غضب الله ولعنته، وله عذابٌ عظيم في الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ۝٩٣﴾ [سورة النساء: ٩٣].

٦- وكذلك من يخالف أوامر الرسول، ويتبع طريقًا غير طريقه، يوليه الله ما تولى من طرق الضلال، ويدخله جهنم وساءت المرجع والمآل[3]، وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا

(١) انظر: بحر العلوم، مرجع سابق، (٢٨٧/١).

(٢) انظر: أنوار التنزيل، مرجع سابق، (٧١/٢).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص٢٠٢.

تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ [سورة النساء: ١١٥].

٧- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [سورة النساء:١٦٨-١٦٩].

ففي هذه الآية دليل على خلود الكفار في النار، والدليل: قوله تعالى: ﴿أَبَدًا ۚ﴾.

فالشاهد من الآيات المتقدمة: دخول المخالفين لأمر ربهم النار، من الكفار وعصاة المؤمنين، فاليوم الآخر مراحل، والنار هي: المرحلة الأخيرة بعد الحساب والجزاء، وحال المنافقين في النار أشد خطرًا من الكفار، كما بينته الآيات من سورة النساء؛ لأنهم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر؛ لذلك بين الله حالهم بأنهم في الدرك -أي: الطبق- الأسفل من النار، في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ۖ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٥]، "فالله يخبر عن مصير المنافقين في النار، فهم في أسفل الدركات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب، فهم تحت سائر الكفار؛ لأنهم شاركوهم بالكفر بالله ومعاداة رسله، وزادوا عليهم بالمكر والخديعة، وعدواتهم الكثيرة للمؤمنين، على وجه لا يشعر به ولا يحس، فبذلك ونحوه استحقوا أشد العذاب، وليس لهم مفر من عذابه، ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه، وهذا عام لكل منافق، إلا مَنْ مَنَّ الله عليهم بالتوبة من السيئات، تفضلاً منه سبحانه"(١).

كما أخبرنا الله -تبارك وتعالى- أن المنافقين مترددين حائرين، لا هم من المسلمين الخلص الذين أخلصوا عملهم لله، ولا هم من الكفار، إنما حالة وسط بين هؤلاء وهؤلاء، كما وصفهم الله؛ لذلك لا يؤدون شعائر الدين إلا كسالى مستثقلين الطاعة، يؤدونها رياءً بين الناس، وبقدر ما يحقن دمائهم من القتل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٢-١٤٣]؛ لذلك

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص٢١١، زهرة التفاسير، مرجع سابق، (١٩٢٣/٤).

استحقوا أن يكون مكانهم في الدرك الأسفل من النار.

"والمنافقون في الدرك الأسفل في الهاوية من العذاب؛ لأنهم قد أوغلوا في فساد النفس من أي مشرك كافر...، فقد جمعوا بين الكفر والفسق والتضليل والتغرير والكذب، وتعرُّف أسرار المؤمنين وكشفها للأعداء، وإظهار عورات المسلمين في الحروب، وإفساد جماعة المؤمنين بإشاعة قول السوء بينهم، واستغلال ضعف الضعفاء منهم، كل هذه جرائم متتابعة تدل على أن نفوسهم قد فسدت، وقلوبهم امتلأت بالشر، فكان الكافر الجاحد أقرب إلى الهداية من هؤلاء"(١).

بيان السورة لبعض صفات عذاب النار:

لقد بينت سورة النساء في آيات منها بعض صفات عذاب النار، وتفصيل ذلك فيما يأتي:

١- أن عذابها مهين ومذل، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [سورة النساء: ١٤]، وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة النساء: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [سورة النساء: ١٥١]، "فيهين من عُذِّب به بخلوده فيه"(٢).

٢- أن عذاب النار أليم وموجع، كما في قوله ﷻ: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [سورة النساء: ١٦١]، وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾﴾ [سورة النساء: ١٧٣]، فعذاب النار موجع لأهلها(٣).

٣- أن عذابها عظيم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ

---

(١) زهرة التفاسير، مرجع سابق، (١٩٢٣/٤).

(٢) جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٣٥٤/٩).

(٣) المرجع السابق، (٣٩٢/٩).

جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

[سورة النساء: ٩٣].

ففي هذه الآيات إخبار من الله تعالى عن صفة عذاب النار، وأنه متحقق لأهلها إلا من شاء الله، والناظر يرى أن الآيات المتقدمة من سورة النساء قد بينت مصير الكفار والمنافقين والعصاة.

وبهذه الآيات استدل المعتزلة(١) في قولهم: إن كل من ارتكب كبيرة فهو فاسق، أي: في منزلة بين منزلتين، لا مؤمن ولا كافر، وإن مات صاحب الكبيرة بلا توبة فهو خالد في النار، وكذلك قالوا: بمسألة الوعد والوعيد(٢)، وهذا كذلك رأي الخوارج(٣)، واستدلوا إلى جانب الآيات المتقدمة من السورة ببعض الأحاديث مثل قوله ﷺ: ((لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَنْتَهِبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ))(٤)، وقول النبي ﷺ: ((مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ

---

(١) فمن أقوال المعتزلة: أن الله ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر، فنفوا صفات الله الأزلية كلها، وقولهم: باستحالة رؤية الله ﷻ، وأن القرآن كلام الله مخلوق، وقالوا: إن العبد خالق لأفعال نفسه خيرها وشرها، ودعواهم في الفاسق من أمة الإسلام في منزلة بين منزلتين، وأجمعوا على أن الله لا يغفر لمرتكب الكبيرة بلا توبة، والأصول التي هم عليها خمسة: منها: المنزلة، والوعد والوعيد...، انظر: الفرق بين الفرق، مرجع سابق، ص٩٤، الملل والنحل، الشهرستاني، (٤٥/١)، لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (٧٦/١)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، مرجع سابق، ص٣٦.

(٢) قالوا: كل آية فيها وعد من الله بدخول الجنة فهذا متحقق، وكل آية فيها وعيد بدخول النار فهذا متحقق بلا شك، كما في الآيات من سورة النساء وغيرها، انظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار الهمذاني، ص١٣٥ – ١٣٦، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، (٣٩/٤)، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، مرجع سابق، (٣ /١١٨٨).

(٣) الخوارج، وهم: جماعة افترقت عن علي بن أبي طالب ﷺ عندما قبل بالتحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، فكفروه وكفروا معاوية وكل من قبل التحكيم، وقالوا: لا حكم إلا لله، فهم يكفرون أصحاب المعاصي، وكل من خالفهم، ويرون الخروج على الحاكم الظالم. انظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، مرجع سابق، ص٤٧، التبصير في الدين، مرجع سابق، ص٤٥، الحور العين، الحميري، ص٢٠٠ – ٢٠١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، الرازي، ص٤٦.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب النهبي بغير إذن صاحبه، (١٣٦/٣)، رقم (٢٤٧٥)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي، ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله، (٧٦/١)، رقم (٥٧)، واللفظ للبخاري.

جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا))[1].

والذي يتضح من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ما يأتي:

الأول: أن مرتكب الكبيرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، إن مات على كبيرته، وإنه وإن عذبه يخرج من النار بشفاعة النبي ﷺ وبغير شفاعة النبي ﷺ، كما دلت على ذلك نصوص الآيات القرآنية، والأحاديث، منها على سبيل المثال:

- قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٨٤].
- وقوله تعالى: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾﴾ [سورة الفتح: ١٤].
- وقَول رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((شَفَاعَتِي لأهل الكبائر من أمَّتِي))[2].
- وقَول النبي ﷺ: ((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ))[3].
- وقوله ﷺ: ((بايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ))[4].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وما يخاف منه والخبيث، (١٣٩/٧)، رقم (٥٧٧٨).

(٢) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السّجِسْتاني، ط١، دار الرسالة العلمية، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م، (د. ب)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، كتاب السنة، باب في الشفاعة، (٢٣٦/٤)، رقم (٤٧٣٩)، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وقال البيهقي: إسناد صحيح، وأخرجه هو وأحمد وأبو داود وابن خزيمة والحاكم، انظر: المقاصد الحسنة، محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، تحقيق: محمد عثمان الخشت، باب الشين المعجمة، (٤٠٥/١)، رقم (٥٩٧).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طرق الرؤية، (١٦٧/١)، رقم (١٨٣).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، (١٢/١)، رقم (١٨).

- وقول النبي ﷺ: ((يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تبارك وتعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردلٍ من إيمان، فيُخرجون منها قد اسودّوا، فيلقون في نهر الحيا أو الحياة – شكّ مالك – فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية))[1].

الثاني: أن التوحيد من أعظم مكفرات الذنوب، فمن جاء به فقد جاء بأسباب المغفرة، ومن فقده فقد المغفرة[2]، كما دلت على ذلك نصوص الآيات القرآنية، والأحاديث، منها على سبيل المثال:

- قوله تعالى من سورة النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [سورة النساء: ٤٨].

- وجاء عن النبي ﷺ: ((مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ))[3].

- وَقوله عليه الصلاة والسلام: ((مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ))[4].

- وَقوله عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ))[5].

فدلت الآية مع الحديثين: أن التوحيد سبب في مغفرة الذنوب.

الثالث: أن أهل الوعيد يدخلون النار، ويمكثون فيها ما شاء الله بقدر ذنوبهم، وفي الوقت نفسه ليسوا كفارًا، فيخرجون من النار بالشفاعة، ومذهب أهل السنة والجماعة أن فساق أهل الملة ليسوا

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، (١٣/١)، رقم (٢٢).

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية، مرجع سابق، (٣٦٩/١).

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، (٧١/٢)، رقم (١٢٣٨).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك منه دخل الجنة وحُرِمَ على النار، (٥٥/١)، رقم (٢٦).

(٥) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب صلاة النوافل جماعة، (٥٩/٢)، رقم (١١٨٦)، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، (٤٥٥/١)، رقم (٣٣)، واللفظ للبخاري.

مخلدين في النار، وليسوا كاملين في الدين والإيمان والطاعة، بل لهم حسنات وسيئات يستحقون بهذا العقاب وبهذا الثواب(١).

الرابع: أن الخلود الوارد في القرآن نوعان: خلود أبدي، وخلود إلى أمد، ففي حق الكفار والمشركين خلود إلى أبد، فهو خالد في النار، وفي حق العصاة من الموحدين خلود إلى أمد، ثم يخرجون من النار بالشفاعة.

وأما قول النبي ﷺ في الحديث: ((مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا...))، فقيل: الْمُرَادُ بِالْخُلُودِ طُولُ الْمُدَّةِ، وَتَأْكِيدُهُ بِالْمُخَلَّدِ وَالتَّأْبِيدِ يَكُونُ لِلتَّشْدِيدِ وَالتَّهْدِيدِ(٢).

وعلى هذا: فمن قتل نفسه: فقد ارتكب معصية، والمعصية ليست كفرًا، فإن كان الذي قتل نفسه كافرًا، فإنه يحمل الخلود في هذا الحديث على الأبدية، وإن كان من عصاة المؤمنين الموحدين، فلا بد أن تصيبه الشفاعة، ويحمل الخلود على المكث الطويل، خلود إلى أمد، ثم يخرج من النار ويدخل الجنة، والله تعالى أعلم.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٦٧٩/٧)، الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف المسلمين منها، صالح زين العابدين الشيبي، (١٣٩٧هـ – ١٩٧٧)، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية، ص٢٠٤.

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المباركفوري، (٢٢٦٢/٦)، انظر: إرشاد الساري، القسطلاني، (٤١٤/٨).

المطلب الثاني: القضاء والقدر من خلال مسألة الهداية والضلال

سنوضح هنا أولاً: القضاء والقدر من خلال التعريف بهما، وبيان مراتبهما، وثانياً: التعريف بالهداية والضلال، وبيانهما كما وردا في السورة.

أولاً: التعريف بالقضاء والقدر، وبيان مراتبهما كما وردا في سورة النساء:

القضاء والقدر في اللغة:

القَضاءُ في اللغة:

الْقَافُ وَالضَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى: إِحْكَامِ أَمْرٍ وَإِتْقَانِهِ وَإِنْفَاذِهِ لِجِهَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [سورة فصلت: ١٢]، أَيْ: أَحْكَمَ خَلْقَهُنَّ(١).

وعُرِفَ بأنه: القَطْع والفَصْل، يُقَالُ: قَضَى يَقْضِي قَضاءً فَهُوَ قاضٍ، إِذَا حكَم وفَصَل.

وقَضاءُ الشَّيْءِ: إِحْكامه وإِمْضاؤه والفَراغ مِنْهُ، فَيَكُونُ بِمَعْنَى: الخَلْق(٢).

القدر في اللغة:

"الْقَافُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى: مَبْلَغِ الشَّيْءِ وَكُنْهِهِ وَنِهَايَتِهِ، فَالْقَدْرُ: مَبْلَغُ كُلِّ شَيْءٍ، يُقَالُ: قَدْرُهُ كَذَا، أَيْ: مَبْلَغُهُ، وَكَذَلِكَ الْقَدَرُ، وَقَدَرْتُ الشَّيْءَ أَقْدِرُهُ وَأَقْدُرُهُ مِنَ التَّقْدِيرِ، وَقَدَّرْتُهُ أُقَدِّرُهُ. وَالْقَدْرُ: قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى الْأَشْيَاءَ عَلَى مَبَالِغِهَا وَنِهَايَاتِهَا الَّتِي أَرَادَهَا لَهَا"(٣).

"والفرق بين القدر والتقدير: أن التقدير يسْتَعْمل فِي أَفعَال الله تَعَالَى وأفعال الْعباد، وَلَا يسْتَعْمل الْقدر إِلَّا فِي أَفعَال الله ﷻ، وَقد يكون التَّقْدِير حسنًا وقبيحًا، كتقدير المنجم موت زيد وافتقاره واستغناءه، وَلَا يكون الْقدر إِلَّا حسنًا"(٤).

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٩٩/٥).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (٧٨/٤).

(٣) مقاييس اللغة، ابن فارس، (٦٢/٥).

(٤) الفروق اللغوية، للعسكري، ص١٩١.

القضاء والقدر في الاصطلاح:

القضاء في الاصطلاح:

وأما القضاء، فهو: ما قضى به الله ﷻ في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغير(١).

القدر في الاصطلاح:

هو: ما قدره الله تعالى في الأزل أن يكون في خلقه(٢).

وقال أبو منصور الماتريدي: "والْقَضَاء فِي حَقِيقَته: الحكم بالشَّيْء، وَالْقطع على مَا يَلِيق بِهِ...، وَأما الْقدر فَهُوَ على وَجْهَيْن:

أحدهمَا: الْحَد الَّذِي عَلَيْهِ يخرج الشَّيْء، وَهُوَ: جعل كل شَيْء على مَا هُوَ عَلَيْهِ من خير أَو شَرّ، من حسن أَو قبح، من حِكْمَة أَو سفه، وَهُوَ: تَأْوِيل الْحِكْمَة أَن يَجْعَل كل شَيْء على مَا هُوَ عَلَيْهِ، ويصيب فِي كل شَيْء الأولى بِهِ، وعَلى مثل هَذَا قَوْله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة القمر: ٤٩].

وَالثَّانِي: بَيَان مَا عَلَيْهِ يَقع كل شَيْء من زمَان وَمَكَان وَحق وباطل، وَمَا لَهُ من الثَّوَاب وَالْعِقَاب..."(٣).

ويتضح من ذلك: أن القدر عبارة عن: بيان ما يقع عليه الشيء من خير وشر، وما يترتب عليه من ثواب وعقاب.

والقضاء هو: القطع به على هذا النحو، فالله يقدر الشيء، ثم يقضي به.

ومن العلماء من جمع بين القضاء والقدر في تعريف واحد، فقال: هو: "تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة،

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، (١٨٨/٢).

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، دار الجامعات المصرية، إسكندرية، (د. ط. ت)، تحقيق: فتح الله خليف، ص٣٠٧.

وكتابته سبحانه لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها"(١).

وعُرِف كذلك: "بأنه مَا سَبَقَ بِهِ الْعِلْمُ، وَجَرَى بِهِ الْقَلَمُ، مِمَّا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ، وَأَنَّهُ ﷻ خَلَقَ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ خَلْقَ السَّمَاوَات والأَرْضِ، وَمَا يَكُونُ مِنَ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ فِي الْأَزَلِ، وَعَلِمَ ﷻ أَنَّهَا سَتَقَعُ فِي أَوْقَاتٍ مَعْلُومَةٍ عِنْدَهُ ﷻ، وَعَلَى صِفَاتٍ مَخْصُوصَةٍ، فَهِيَ تَقَعُ عَلَى حَسَبِ مَا قَدَّرَهَا"(٢)، وهذا التعريف قد جمع بين مراتب الإيمان بالقضاء والقدر.

إذن: "فَالْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ أَمْرَانِ مُتَلَازِمَانِ لَا يَنْفَكُّ أَحَدُهُمَا عَنِ الآخر؛ لِأَنَّ أَحَدَهُمَا بِمَنْزِلَةِ الْأَسَاسِ، -وَهُوَ: الْقَدَرُ-، وَالآخر بِمَنْزِلَةِ الْبِنَاءِ، -وَهُوَ: الْقَضَاءُ-، فَمَنْ رَامَ الْفَصْلَ بَيْنَهُمَا، فَقَدْ رَامَ هَدْمَ الْبِنَاءِ وَنَقْضَهُ"(٣).

ويتضح مما سبق: أنه لا فرق بين القضاء والقدر، غير أن هناك من أهل العلم من قال بوجود الفرق بينهما، فقال: إن القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن تفرقا(٤).

وخلاصة لأقوالهم: فالقضاء والقدر هما كلمتان: إن اجتمعتا افترقتا في المعنى، وإن افترقتا كانا بمعنى واحد.

مراتب القضاء والقدر:

مراتب القضاء والقدر أربع، على النحو التالي(٥):

المرتبة الأولى: العلم: أي: الإيمان بعلم الله تعالى، وأنه قد أحاط بكل شيء علما، وأنه يعلم ما كان في الماضي، وما هو كائن في الحاضر، وما سوف يكون في المستقبل، لو كان كيف يكون، وقد بينت سورة النساء هذه المرتبة في آيات كثيرة، منها:

١- قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾ [سورة النساء: ١١].

---

(١) شفاء العليل، ابن القيم، ص٢٩.

(٢) لوامع الأنوار البهية، السفاريني، (٣٤٨/١) بتصرف يسير.

(٣) المرجع السابق، (٣٥٨/١).

(٤) شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، (١٨٧/٢).

(٥) انظر: شفاء العليل، مرجع سابق، ص٢٩.

٢- وقوله تعالى في موضع آخر: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة النساء: ١٧].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النساء: ٢٦].

"فالله عليم بما يصلح عباده في دنياهم وأخراهم...، وبما يأتون ويذَرون من الحلال والحرام، حافظ ذلك كله عليهم"(١).

فبين الله تعالى في كل هذه الآيات أنه عليم، وما زال يعلم بكل شيء، فلا يخفى عليه خافية، وهذا دليل على مرتبة العلم، وكذلك قوله تعالى من السورة: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النساء: ٣٢]، "فالله عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الدُّنْيَا وَنَعَمَهَا فَيُعْطِيهِ مِنْهَا، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْفَقْرَ فَيُفْقِرُهُ، وَعَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ الآخرةَ فَيُوقفه لِأَعْمَالِهَا، وَبِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْخِذْلَانَ فَيَخْذُلُهُ عَنْ فَعْلِ الْخَيْرِ وَأَسْبَابِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تعالى(٢): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [سورة النساء: ٣٢]"، "وهذه الآية تقتضي أن الله يعلم الأشياء، والعقائد توجب أنه يعلم المعدومات الجائز وقوعها وإن لم تكن أشياء"(٣).

فهذه الآيات كلها دالة على مرتبة العلم.

المرتبة الثانية: **الكتابة**: أي: أن الله تعالى قد كتب في اللوح المحفوظ كل ما هو كائن من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة، وهذا ثابت في السورة في أربع آيات منها:

١- قوله تعالى: ﴿۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [سورة النساء: ٢٤].

"فالله قد كتب ذلك عليكم تحريم ما تقدَّمَ ذكره من المحرمات"(٤)، وفي هذا دلالة على أن الله

---

(١) جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٢٠٩/٨)، انظر: معالم التنزيل، البغوي، (٦٠١/١).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢٨٨/٢).

(٣) المحرر الوجيز، مرجع سابق، (٤٥/٢).

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب، مرجع سابق، (٣٠٠/٦)، إرشاد العقل السليم، مرجع سابق، (١٦٤/٢).

سبحانه قد كتب كل ذلك في كتابه، فهو مكتوب عنده في اللوح المحفوظ، لا يغير ولا يبدل، وهذا دليل أن الكتابة مرتبة من مراتب القدر.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾ [سورة النساء: ٦٦].

"يخبر تعالى أنه لو كتب على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس والخروج من الديار، لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربهم، وليشكروه على تيسير ما أمرهم به من الأوامر التي تسهل على كل أحد ولا يشق فعلها"(١).

فالشاهد: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [سورة النساء: ٦٦]، وهذا يدل على أن كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، ولو أراد الله تعالى أن يكتب على عباده الذي يشق عليهم لكتبه؛ لأنه إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، وهذا دليل على مرتبة الكتابة.

٣- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [سورة النساء: ٧٧].

فالشاهد: لفظ الكتابة الوارد في الآية، فقولهم: ﴿لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ﴾؟ دليل على أن الله فرض ذلك، وكتبه عنده في كتابه المحفوظ.

٤- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [سورة النساء: ٨١].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص١٨٥.

المراد: أن الله –تبارك وتعالى– يكتب كل ما يخفون ويبيتون في ضمائرهم تجاه النبي ﷺ من مكر، فلا يحسبوا أن مكرهم يخفى عليه، بل يكتبه الله تعالى ويثبته في صحائف أعمالهم؛ ليجازيهم عليها يوم القيامة(١).

فالشاهد: لفظ الكتابة، فالله يكتب كل شيء في اللوح المحفوظ، وفي هذا دلالة على أن سورة النساء قد دلت على المرتبة الثانية من مراتب القدر وهي الكتابة.

ومن السنة ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: ((كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ))(٢).

وقوله ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي))(٣).

المرتبة الثالثة: **المشيئة**: وهي: الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة، وقدرته الكاملة، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، وقد جاءت آيات من سورة النساء مؤكدة على معنى المشيئة، وأن كل شيء واقع بمشيئة الله ﷻ في خمس آيات هي:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ۝٤٨﴾ [سورة النساء: ٤٨].

٢- وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩﴾ [سورة النساء:٤٩].

٣- وقوله –تبارك وتعالى–: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، مرجع سابق، (٢٠٧/٢).

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب و﴿كان عرشه على الماء﴾ [هود: ٧]، ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ [التوبة: ١٢٩]، (١٢٤/٩)، رقم (٧٤١٩)، صحيح مسلم، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق، (٦٩١/٢)، رقم (٣٧)، واللفظ للبخاري.

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وكان عرشه على الماء﴾ [هود: ٧] ﴿وهو رب العرش العظيم﴾ [التوبة: ١٢٩]، (١٢٥/٩)، رقم (٧٤٢٢).

حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾﴾ [سورة النساء: ٩٠].

٤- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [سورة النساء:١١٦].

٥- وقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٣].

أي: "فإن يشأ الله تعالى إفناء الناس والإيتاء بآخرين، فإنه ﷻ يفعل ذلك؛ لأنه داخل في قدرته المطلقة التي لَا يحدها حد"(١).

والشاهد من هذه الآيات المتقدمة: مجيء لفظ المشيئة الوارد فيها، وهذا دليل على أن سورة النساء قد نصت على مرتبة المشيئة، وأكدت على أن كل شيء واقع بمشيئته حسبما أراد، لا راد لمشيئته.

ومشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائن، فكل ما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة، وما لم يشأ كونه فهو غير كائن، وليس هذا لعدم قدرته عليه، فهو سبحانه قادر على كل شيء، وإنما لم يشأ كونه وخلقه(٢)، كما في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ۖ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الفرقان: ٤٥].

المرتبة الرابعة الخلق: الإيمان بأن الله تعالى له الخلق، وهو خالق جميع المخلوقات بعد تقديرها، وقد دلت سورة النساء على مرتبة الخلق في ثلاث آيات، وهي:

---

(١) زهرة التفاسير، مرجع سابق، (٤/٩١١٨).

(٢) المباحث العقدية في سورة الزخرف، فادي الفيشاوي، ص١٥٥.

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [سورة النساء: ١].

٢- وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾ [سورة النساء:٢٨].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ۝١١٩﴾ [سورة النساء:١١٩].

فالشاهد: لفظ الخلق: "فالله تعالى خلق الأنفس من نفس واحدة، وعندها تلتقي كل الأنفس متشابهة متشاكلة، وإن ذلك يقتضي التشابك في كل بني الإنسان، ومع التساوي في الخلق يكون التساوي في الحقوق والواجبات"(١).

ومن السنة الدالة على مرتبة الخلق: ما جاء عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَولِه: ((إِنَّ الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو القَعْدَةِ وَذُو الحِجَّةِ وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَان))(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: ((خَلَقَ اللهُ ﷻ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ عليه السلام بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي آخِرِ الْخَلْقِ، فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ))(٣).

فهذه أحاديث متضمنة لصفة الخلق المرتبة الرابعة من مراتب القضاء والقدر.

---

(١) زهرة التفاسير، مرجع سابق، (٣/٧٥١٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [سورة التوبة:٣٦]، (٦/٦٦)، رقم (٤٦٦٢).

(٣) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، (٤/٢١٤٩)، رقم (٢٧).

ثانياً: التعريف بالهداية والضلال، وبيانهما كما وردا في سورة النساء:

تعريف الهداية والضلال:

معنى الهدى: "الْهَاءُ وَالدَّالُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا: التَّقَدُّمُ لِلْإِرْشَادِ، وَالآخر: بَعْثَةُ لَطَفٍ.

فَالْأَوَّلُ: قَوْلُهُمْ: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَيْ: تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشِدَهُ، وَكُلُّ مُتَقَدِّمٍ لِذَلِكَ هَادٍ...، فَيُقَالُ: الْهُدَى: خِلَافُ الضَّلَالَةِ، تَقُولُ: هَدَيْتُهُ هُدًى، وَيُقَالُ: أَقْبَلَتْ هَوَادِي الْخَيْلِ، أَيْ: أَعْنَاقُهَا، وَيُقَالُ: هَادِيهَا: أَوَّلُ رَعِيلٍ مِنْهَا؛ لِأَنَّهُ الْمُتَقَدِّمُ...، وَالْهَادِيَةُ: الْعَصَا؛ لِأَنَّهَا تَتَقَدَّمُ مُمْسِكَهَا كَأَنَّهَا تُرْشِدُهُ.

وَالْأَصْلُ الآخر: الْهَدِيَّةُ: مَا أَهْدَيْتَ مَنْ لَطَفٍ إِلَى ذِي مَوَدَّةٍ. يُقَالُ: أَهْدَيْتُ أُهْدِي إِهْدَاءً. وَالْمِهْدَى: الطَّبَقُ تُهْدَى عَلَيْهِ"(١).

وَعُرِفَ الْهُدَى بأنه: "الرَّشَادُ وَالدَّلَالَةُ وَلَوْ غَيْرَ مُوصِلَةٍ"(٢).

ومعنى الضلال: "ضل يضل ضلالاً، والضلال: ضد الْهدى، وضل فِي الْأَمر ضلالاً: إذا لم يهتد لَهُ، وضل فِي الأَرْض ضلالاً: إذا لم يهتد للسبيل"(٣).

"والإِضْلالُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: ضِدُّ الْهِدَايَةِ والإِرْشاد، يُقَالُ: أَضْلَلْت فُلَانًا: إذا وَجَّهْتَه للضَّلال عَنِ الطَّرِيقِ"(٤).

"فالهداية والضلال هما لب أبواب القدر وما يتعلق به، فإن أعظم نعمة يقدرها الله تعالى لعبده هي: نعمة الهداية، وأعظم مصيبة يصاب بها الإنسان هي: مصيبة الضلال، وكل ما بالإنسان من نعمة هي دون نعمة الهدى، وكل مصيبة مهما عظمت هي دون مصيبة الضلال، وقد أجمع رسل الله من أولهم إلى آخرهم، وكتبه المنزلة عليهم، على: أن الله تعالى يضل من يشاء، ويهدي من

---

(١) مقاييس اللغة، مرجع سابق، (٤٢/٦).

(٢) لوامع الأنوار البهية، مرجع سابق، (٥٠/١).

(٣) جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (١٤٧/١).

(٤) لسان العرب، ابن منظور، (٣٩١/١١).

يشاء، وأن من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهداية والإضلال بيده ﷻ لا بيد غيره، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه"(١).

بيان الهداية والضلال الواردة في السورة:

لقد بينت سورة النساء في عدد من آياتها على: أن الهداية والإضلال فعل الله، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه، كما بينت في الوقت نفسه نوعين من أنواع الهداية، وهما: الهداية العامة، وهداية التوفيق والإلهام، وهي كما يلي:

أولاً: الآيات الواردة في الهدى:

١- وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [سورة النساء:٢٦].

فالشاهد من هذه الآية: لفظ الهدى، وهذه هي الهداية العامة التي أعطاها الله لجميع خلقة.

٢- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ [سورة النساء:٥١].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ [سورة النساء: ٦٨].

أي: لثبتناهم على الدين الحق في الدنيا والآخرة(٢)؛ "لأن من هُدِيَ إلى الصراط المستقيم فقد وُفِّقَ لكل خير، واندفع عنه في المقابل كل شر وضير"(٣).

"والصراط المستقيم هو: أقرب طريق يوصل إلى الحق، والهداية في الآية هي: التوفيق، فيوفقه الله لأقرب طريق يوصله إليه، فمن أجاب داعي الحق، وقام بالأوامر والنواهي على وجهها

---

(١) شفاء العليل، مرجع سابق، ص٦٥ بتصرف، انظر: بدائع الفوائد، مرجع سابق، (٣٥/٢).

(٢) انظر: مدارك التنزيل، مرجع سابق، (٣٧١/١).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص١٨٥.

الأكمل، وفقه الله تعالى إلى طريقه المستقيم الذي لَا اعوجاج فيه، ووصل بذلك إلى القرب من الله تعالى، فإن الذي يتقرب إلى الله بالطاعات يصل إلى إدراك نوراني لحقائق العبودية"(١).

٤- وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [سورة النساء:١١٥].

فالشاهد من هاتين الآيتين: لفظ الهدى الوارد في السورة.

٥- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨﴾ [سورة النساء:١٦٨].

والشاهد: قوله تعالى: ﴿لِيَهۡدِيَهُمۡ﴾ من الهدى.

٦- وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمًا ١٧٥﴾ [سورة النساء:١٧٥].

فهذه الآيات تحدثت عن هداية التوفيق والإلهام، وتعني: "الهداية المستلزمة للاهتداء، وهي: هداية التوفيق، ومشيئة الله لعبده الهداية، وخلقه دواعي الهدى، وإرادته والقدرة عليه للعبد، وهذه الهداية التي لا يقدر عليها إلا الله ﷻ"(٢).

فالشاهد: أن هذه الآية بينت أن هداية التوفيق بيد الله تعالى وحده، يهدي بها من يشاء من عباده، فالهداية لا يملكها نبي مرسل ولا ملك مقرب.

ثانيا: الآيات الواردة في الضلال:

١- قوله تعالى: ﴿* فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨﴾ [سورة النساء: ٨٨].

فهذه الآية تبين أن الضلال لا يقدر عليه إلا الله، ومن يضله الله فلن يقدر على هدايته أحد من الناس؛ "بسبب أنه سار في طريقها، وانحرف عن جادة الحق وسبيل المؤمنين، فإن من يسير

---

(١) زهرة التفاسير، مرجع سابق، (١٧٤٩/٤).

(٢) شفاء العليل، مرجع سابق، (٦٥/١)، انظر: بدائع الفوائد، مرجع سابق، (٣٧/٢).

في طريق لَا بد أن ينتهي إلى نهايته، ما دام لم يرجع ولم يعد، ومن يكتب عليه في لوحه المحفوظ وقدره المحتوم أن يكون ضالاً، فلن يجد أحد سبيلاً إلى هدايته؛ لأن قَدَر الله تعالى لَا يتغير، وقضاءه لَا يتبدل، وحكمه لَا يتخلف، فمن يحاول هداية أحد حُكِمَ عليه بالضلالة، فكأنما يحارب قدر الله ﷻ"(١).

٢- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾ [سورة النساء:١١٣].

فالشاهد من الآية: مجيء لفظ الضلال هنا.

٣- وقوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [سورة النساء: ١١٦].

"المراد: ضل عن الحق، فإن الشركَ أعظمُ أنواعِ الضلالةِ، وأبعدُها عن الصواب والاستقامةِ، كما أنه افتراءٌ وإثمٌ عظيمٌ؛ ولذلك جُعل الجزاءُ في هذه الشرطيةِ فقد ضل"(٢).

٤- وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة النساء:١٣٦].

٥- وقوله تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰٓ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٣].

أي: "من يخذُله الله عن طريق الرشاد الذي دعا عباده إليه، فلم يوفقه، فلن تجد له طريقًا يسلُكه إلى الحق غيره"(٣).

٦- وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة النساء: ١٦٧].

---

(١) زهرة التفاسير، مرجع سابق، (١٧٩٠/٤).

(٢) إرشاد العقل السليم، مرجع سابق، (٢٣٣/٢).

(٣) انظر: جامع البيان، ابن جرير الطبري، (٣٣٥/٩).

فمن جمع بين الكفر وصد الناس عن طريق الإسلام، فقد ضل، ومن ضل، فقد بعد عن الحق، ومن أضل غيره، فقد بعد عن الحق بمقدار أكبر، وسار على غير هدى(١).

فأوضحت الآيات: أن الله تعالى يضل من يستحق الضلال، ويكون ذلك بعد العذر إليهم، وبيان طريقي الخير والشر لهم، ومنحهم القدرة الكافية لمعرفة الحكمة من وجودهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [سورة البلد: ١٠]، "أي طَرِيقَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَ الشَّرِّ"(٢).

٧- كما بينت الآيات من السورة نفسها: أن الإنسان له تأثير على أخيه الإنسان في صرفه عن طريق الحق، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝٤٤﴾ [سورة النساء:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ [سورة النساء:٦٠]، فكما أن الشيطان له تأثير على الإنسان وصرفة عن الحق، فكذلك الإنسان مع أخيه الإنسان.

فالهداية والإضلال فعل الله، والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه، فمن وقع في الشرك كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝١١٦﴾ [سورة النساء: ١١٦]، أو تردد بين الإيمان والكفر، وصد الناس عن طرق الإسلام، فقد استحق الضلال بفعله، "فمن أكبر الظلم وأبعد الضلال عدم إخلاص العبادة لله تعالى، وصرف شيء منها للمخلوق الذي لا حظ له من صفات الكمال، ولا من صفات الغنى شيء، بل ليس له إلا العدم، عدم الوجود، وعدم الكمال، وعدم الغنى، والفقر من جميع النواحي"(٣)، فمن أضله الله فقد استحق ذلك، وما كان ربك بظلام للعبيد، كما قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [سورة الصف: ٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ۝١٢٥﴾ [سورة التوبة: ١٢٥]، وقال تعالى لمن يستحق الهداية: ﴿وَٱلَّذِينَ

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، مرجع سابق، (١٩٧٠/٤).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٦٥/٢٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن، مرجع سابق، ص٢٠٢.

﴿ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [سورة محمد: ١٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤﴾ [سورة التوبة: ١٢٤].

والناظر في الآيات يرى أنها دالة على أن الهداية والضلال بيد الله وحده، فالله الهادي والعبد المهتدي، والله يهدي من كان في قلبه حب لدينه، وفي المقابل الله يضل من حارب دينه، واعتدى على أنبيائه وأوليائه.

وأما تأويل القدرية(١)، وهي طائفتان(٢):

الطائفة الأولى: **نفاه القدر**: قالت العبد خالق لفعله بقدرته وإرادته، واستدلت هذه الطائفة بقوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨﴾ [سورة التكوير: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [سورة الكهف: ٢٩].

قال الفخر الرازي(٣): استدلوا بهذه الآية على أَنَّ الْأَمْرَ فِي الْإِيمَانِ وَالْكُفْرِ وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ مُفَوَّضٌ إِلَى الْعَبْدِ وَاخْتِيَارِهِ، فَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ فَقَدْ خَالَفَ صَرِيحَ القرآن(٤)، وبناءً على هذا القول: فالعبد حر في اختيار فعله أو تركه.

الطائفة الثانية: **الجبرية**: وهم القائلون بأن العبد مجبر على فعله، فليس له حرية ولا اختيار ولا فعل، وإنما تنسب الأفعال إليه من باب المجاز، وقد استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ

---

(١) القدرية: هم أتباع معبدٍ الجُهَنِيّ، وغيلان الدمشقي، المنكرون للقدر، المكذبون بتقدير الله تعالى لأفعال العباد، الذين قالوا: إن علم الله مستأنفٌ، ليس بقديم، وإن العباد هم الموجِدون لأعمالهم، انظر: شرح العقيدة الواسطية، الهراس، (٩٤/١).

(٢) انظر: التبصير في الدين، مرجع سابق، ص٤٦ – ٦٦، شرح العقيدة الواسطية، الهراس، (٢٢٩/١ – ٢٣٠).

(٣) أبو عبد الله مُحَمَّد بن عمر بن الْحسن بن الْحُسَيْن التَّيْمِيّ الإِمَام فَخر الدّين الرَّازِيّ، الملقب بخطيب الرّيّ، اشتهر في علم الكلام والمعقولات، وعلم الأوائل، ولد سنة خمسمائة وأربع وأربعين بالري، وتوفي سنة ستمائة وست بمدينة هراة رحمه الله، له مصنفات عديدة منها: (تفسير القرآن الكريم)، (المباحث العمادية في المطالب المعادية)، (الأربعين)، (المحصول في أصول الفقه)، (إرشاد النظار إلى لطائف الأسرار)، انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٢٤٨/٤)، طبقات الشافعية الكبرى، السبكي، (٨١/٨)، طبقات المفسرين، أحمد بن الأدنه، ص١١٥.

(٤) مفاتيح الغيب، مرجع سابق، (٤٥٨/٢١).

أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ [سورة التكوير: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖ نَّحۡنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ فَهَلۡ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾ [سورة النحل: ٣٥].

واستدلوا كذلك بحديث النبي ﷺ: ((إن الرَّجُلَ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا))(١).

وبناءً على هذا الحديث والآيات المتقدمة: فالعبد مجبر على فعله.

والرد عليهم من وجوه(٢):

الأول: الآيات المتقدمة كقول الله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة النحل: ٩٣]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الزمر: ٢٣]، فيها إخبار من الله تعالى بأن الهداية والضلال بيده، ومن هداه فليس له مضل، ومن أضله فلا يقدر أحد على هدايته.

الثاني: أن الله تعالى قد بين في كتابه بأن لعباده مشيئة وفعلاً في قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة التكوير: ٢٨]، لكن مشيئة عباده مقترنة بمشيئته سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [سورة الإنسان: ٣٠]، فبين الله تعالى في هذه الآية أن

---

(١) صحيح البخاري، كتاب القدر، باب في القدر، (١٢٢/٨)، رقم (٦٥٩٤)، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، (٢٠٣٦/٤)، رقم (٢٦٤٣)، واللفظ للبخاري.

(٢) انظر: الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، ط١، أضواء السلف، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، (د. ب)، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ص٢٠.

العبد لا يعمل خيرًا إلا بتوفيقه، ولا شرًا إلا بخذلانه(١).

الثالث: قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ [سورة المدثر: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [سورة الأنعام: ١٤٨-١٤٩]، في الآيتين بيان أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وكذلك أن له الحجة البالغة على من تجرأ على معصيته.

الرابع: أن الله تعالى أعطى العبد القدرة على مباشرة الفعل وكسبه بعد أن خلق له أسباب الفعل ومسبباته، فأي فعل هو صادر من خالق لأسباب الفعل ومسبباته، وهو الله، ومباشر للفعل وكاسب له وهو العبد، لا يلزم أن يكون الله ظالمًا للعبد(٢).

الخامس: أما ما ذهبت إليه الجبرية، فبيانه أن الله تعالى نسب أعمال العباد إليهم من طاعات ومعاصي؛ لأنهم يستحقون جزاءها من خير أوشر، فلو كانوا مجبورين لما نسبها إليهم.

السادس: يلزم على قول الجبرية إسقاط الأمر والنهي والحدود، فكيف يأمر الله وينهى من لا قدرة له على القيام بذلك، وكيف تقام عليهم الحدود ويعاقبهم وهم مجبورون على أفعالهم، ويلزم على قولهم: تعطيل الأسباب، فالله تعالى جعل لكل شيء سببًا، ولكل نتيجة مقدمة.

وهذا ما قال به أهل السنة، والذي يدل عليه الدليل: أنه هو الأقرب إلى الصواب.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٢٤٣/١٩)، انظر: اللباب في علوم الكتاب، النعماني، (١٩٢/٢٠).

(٢) الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف المسلمين منها، صالح زين العابدين الشبيي، ص١٥٦.

الخاتمة

وفيها:

- أهم نتائج البحث.
- التوصيات.

الخاتمـة

وفيها: أهم نتائج البحث، والتوصيات.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وزوجاته الطيبات الطاهرات، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنه بعد الدراسة لمسائل العقيدة في سورة النساء قد توصلت الباحثة إلى جملة من أهم نتائج البحث والتوصيات، وهي على النحو التالي:

أولاً: أهم نتائج البحث:

١- اهتمام سورة النساء في تأصيل المسائل العقدية، وترسيخها في قلوب المسلمين، شأنها شأن السور المكية.

٢- ورد لفظ الرب في السورة أربع مرات، بينما ورد لفظ الله في السورة مائة وست وعشرين مرة.

٣- جاء لفظ الكفر بالآيات في السورة أربع مرات، بينما ورد لفظ الكفر مطلقاً أكثر من ثلاثين مرة.

٤- جاء الخطاب بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ في السورة أربع مرات.

٥- ذكرت السورة نوعين من أنواع الطاغوت، وهما: الشيطان، والتحاكم بغير شريعة الله تعالى.

٦- أن كل معبود دون الله تعالى فهو طاغوت، وعلى هذا فكل من عظم شخصًا أو نظامًا وقدمه على الكتاب والسنة، فقد اتخذه له طاغوتًا.

٧- أن سورة النساء من أكثر السور التي اشتملت في آياتها على أسماء الله تعالى وصفاته، وهذا دلالة على عناية السورة بتوحيد الأسماء والصفات.

٨- أن سورة النساء هي السورة الوحيدة التي تحدثت عن طاعة ولاة الأمر، غير أن هذه الطاعة مقيدة بطاعة الله ورسوله، فلا طاعة لمخلوق بمعصية الخالق ﷻ.

٩- أن الله تعالى يغفر جميع الذنوب عدا الشرك الأكبر (الاعتقادي)، وفي هذا بيان أن صاحب الكبيرة إن مات من غير توبة، فهو في مشيئة الله تعالى، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه، وهذا واضح في السورة.

١٠- نزهت السورة الله ﷻ عن اتخاذ الولد الذي نسبه إليه النصارى، في قولهم: المسيح ابن الله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

١١- أن النهي عن الاستهزاء الوارد في السورة خاص بالقرآن الكريم، ويؤخذ منه حرمة الاستهزاء بالكتب السماوية الصحيحة.

١٢- أثبتت السورة أن رؤية الله ﷻ في الدنيا ممكنه، لكنها غير متحققة إلا في الآخرة.

١٣- جاء ذكر الهداية في السورة ست مرات، في حين ذكر لفظ الضلال سبع مرات.

١٤- نصت السورة في ثلاث آيات منها على الشرك، والمقصود به: الشرك الأكبر.

١٥- ذكرت سورة النساء جملة من أنواع العبادات، وهي: التوكل، والخشية، والذكر، والاستغفار، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ وأولي الأمر.

١٦- نصت السورة في آية واحدة منها على معنى الخشية، موضحة نوعيها.

١٧- ذكرت السورة: ستة وعشرين اسماً من أسماء الله الحسنى، هي: (الله، الرب، العليم، الحليم، الرقيب، الحسيب، التواب، الرحيم، الشهيد، الحكيم، العلي، الكبير، الخبير، العفو، الغفور، العزيز، السميع، البصير، المقيت، المحيط، القدير، الغني، الحميد، الواسع، الوكيل، الشاكر).

١٨- وقد ذكرت السورة عشر صفات من صفات الله تعالى، هي: (الخلق، التخفيف، التوفيق، المشيئة، الإرادة، الفعل والإيتاء، التزكية، الرضى، المحبة، تنزيه الله عن اتخاذ الولد).

١٩- أثبتت السورة فضل القرآن الكريم، وخلوه من التناقض والاختلاف.

٢٠- ذكرت السورة كتابي: (القرآن الكريم) و(الزبور) من الكتب السماوية بأسمائهما، بينما اكتفت بالإشارة في آية منها إلى بقية الكتب بشكل عام.

٢١- نصت سورة النساء على اسم خمسة عشر نبياً ورسولاً، وهذا دلالة على الإيمان بهم جملة من غير تفريق بينهم، وأن الوحي لهم جميعاً.

٢٢- أثبتت السورة أن عيسى عبد الله ورسوله، وأنه رفع إلى السماء وهو حي لم يمت.

٢٣- أبطلت السورة عقيدة القول بالتثليث التي يعتقدها النصارى.

٢٤- برأت السورة مريم ﷺ من افتراء اليهود في قوله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ [سورة النساء:١٥٦].

٢٥- دلت السورة على أن القرآن الكريم من دلائل نبوة النبي محمد ﷺ، في آيتين منها.

٢٦- أثبتت سورة النساء في آية منها وهي الوحيدة في القرآن الكريم: أن من جحد ركنًا من أركان الإيمان فقد ضل عن الحق.

٢٧- اشتملت سورة النساء على صفتين من صفات الملائكة، وهما: التواضع والشهادة، بينما تحدثت عن عمل واحد من أعمال الملائكة هو: قبض الأرواح.

٢٨- نصت السورة على خمسة وسائل من وسائل الشياطين في عداوتها لبني آدم.

٢٩- ذكرت السورة: أن القيام بتغيير خلق الله تعالى، أو صد الناس عن دين الله تعالى، والعمل على نشر الإشاعات بقصد أبعاد الناس عن الحق، وتخويفهم من الفقر، هي: وسائل من وسائل الشيطان في حربه لبني آدم، فيجب أخذ الحذر منها.

٣٠- نصت السورة على نوعين من أنواع الهداية هما: الهداية العامة، وهداية التوفيق والإلهام.

٣١- ذكرت السورة: أن الأفعال التي وردت في السورة من: (الخلق، والإرادة، والمشيئة والهداية والإضلال)، هي: خلق لله وكسب للعبد، وكل شيء واقع بمشيئة الله وإرادته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

٣٢- ذكرت السورة: أن الإيمان باليوم الآخر ثابت، وكل ما يتعلق به من الموت والحشر والجنة والنار.

٣٣- أثبتت السورة أن من معاني الحشر: الجمع، وهو: جمع الخلق يوم القيامة للحساب، كما وردت في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ٨٧﴾ [سورة النساء:٨٧].

٣٤- نصت السورة على: أن الإيمان بالله والعمل الصالح سببان لدخول الجنة، وهذا رد لمن قال بأن الإيمان وحده كافٍ لدخول الجنة.

٣٥- بينت السورة: أن الخلود الوارد في آياتها هو: في حق الكفار، أما العصاة فهو خلود إلى أمد، ثم يخرجون من النار بنص أحاديث الشفاعة.

٣٦- أثبتت السورة مسألة القضاء والقدر من خلال مسألة الهداية والضلال.

ثانياً: التوصيات:

١- أوصي طلبة العلم بدراسة السور المدنية، والعمل على استخراج المسائل العقدية التي تضمنتها السور، ومناقشتها مناقشة علمية؛ لبيان القول الراجح فيها بحيادية تامة دون تحيز إلى قول دون قول أو تسفيه أو تجريح بأقوال وآراء العلماء.

٢- كما أوصي الأئمة والخطباء والأكاديميين بعمل ورشات علمية لمناقشة مسألة: (طاعة ولي الأمر، وبيان حدود هذه الطاعة وشروطها)، والعمل بيد واحدة لتوضيحها، وتوعية أفراد المجتمع بأهمية تعلمها وغرسها في أبناء الجيل الجديد؛ لتقوية مجتماعتهم، وصيانة لأوطانهم من الانهيار، وكذلك مسألة: (الهداية والضلال)؛ لتقوية إيمانهم بالله تعالى، وصيانة لأفراد المجتمع من البدع والشركيات المنتشرة في الساحة.

٣- وأوصي طلبة العلم بتناول المسائل الغيبية التي تضمنتها السور المكية أو المدنية، كاستخراج صفات الملائكة الموجودة في ثنايا السور، بالدراسة والتحليل وإثرائها بجميع المعلومات المتعلقة بها، وكذلك استخراج وسائل الشيطان التي يعتمد عليها في حربه

مع بني آدم من سور القرآن، ومناقشتها في رسائل علمية مستقلة؛ لتكون أعم وأشمل من حيث الفائدة بأسلوب علمي مبسط.

وفي الأخير: هذا جُهْد المُقل، وعلى الله التوكل، فإن وفقت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي وأستغفر الله، وأسأل الله ﷻ: أن يجعل هذا البحث خالصا لوجهه الكريم، والله تعالى أعلى وأعلم، وأعز وأحكم.

وفي الختام: أشكر الله العلي القدير على ما أنعم به علي لإتمام هذه الرسالة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

واشتملت على الفهارس الآتية:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.
ثالثاً: فهرس الأعلام المترجمة.
رابعاً: فهرس الطوائف والفرق.
خامساً: فهرس الكلمات الغريبة.
سادساً: فهرس المصادر والمراجع.
سابعاً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	١-سورة الفاتحة		
١	﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾	٥	٥٥
	٢-سورة البقرة		
٢	﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾	٢	٣
٣	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن ...﴾	٢١	٧، ٨
٤	﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ ...﴾	٢٣	١٥٦
٥	﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ...﴾	٣٦	١٦٥
٦	﴿وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا﴾	٩٥	١٠٧
٧	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ ...﴾	١٤٣	٧٠
٨	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا ...﴾	١٦٨	٧، ٨
٩	﴿* لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ ...﴾	١٧٧	١٥٩
١٠	﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾	١٨٥	٨٧

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١	﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾	٢٥٣	٨٩
١٢	﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾	٢٥٦	٤٢، ٥٠
١٣	﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾	٢٥٧	٤٢
١٤	﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ...﴾	٢٦٨	١٦٤، ١٦٨
١٥	﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم ...﴾	٢٨٤	١٨٧
١٦	﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ...﴾	٢٨٥	١٦٠

٣-سورة آل عمران

١٧	﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾	٢	١٠
١٨	﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ...﴾	٣	١١
١٩	﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ...﴾	٧	١٠
٢٠	﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ...﴾	١٨	١٦٢
٢١	﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ...﴾	٣١	٤١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢	﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ ...﴾	٤٧	١١
٢٣	﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ ...﴾	٤٩	١١
٢٤	﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ ...﴾	٥٠-٥١	١١٤
٢٥	﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ ...﴾	٥٥	١١
٢٦	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ ...﴾	٥٩	١١
٢٧	﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾	٧٩	٢٥
٢٨	﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ ...﴾	٨٥	١١٦
٢٩	﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	١١٠	١١٦
٣٠	﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ...﴾	١٢٢	١٢
٣١	﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾	١٥٩	١٠
٣٢	﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾	١٧٣	٨٣
٣٣	﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ	١٨٥	١٢

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿...		
٣٤	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ...﴾	٢٠٠	١٣

٤-سورة النساء

٣٥	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾	١	٦، ٧، ١٠، ١٦، ١٣، ٢٦، ٥٩، ٦٦، ج، ٢٧، ٦١، ٨٥، ١٩٧
٣٦	﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ ...﴾	٣	١٠
٣٧	﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾	٤	٩١
٣٨	﴿فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦﴾	٦	٦٦
٣٩	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا ...﴾	١٠	١٨٢
٤٠	﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ ...﴾	١١	٦٣، ١٩٢
٤١	﴿فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ ...﴾	١٢	٦٢، ٦٥
٤٢	﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ...﴾	١٣	١٩
٤٣	﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ ...﴾	١٣-١٤	٣٦
٤٤	﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ...﴾	١٣	١٧٢، ١٧٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٤٥	﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ ...﴾	١٤	١٩، ١٨٥، ١٧٢، ١٨٢
٤٦	﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ۖ فَإِن تَابَا ...﴾	١٦	٦٧
٤٧	﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ...﴾	١٧	٦٣، ٧١، ١٩٣
٤٨	﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾	٢٠	٩١
٤٩	﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ ...﴾	٢٣	٧٥
٥٠	﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا ...﴾	٢٤	٧١، ١٩٣
٥١	﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ...﴾	٢٥	١٠
٥٢	﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾	٢٦	٢٨، ٦٣
٥٣	﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ ...﴾	٢٦-٢٨	٨٨
٥٤	﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾	٢٦	١٩٣، ١٩٩
٥٥	﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾	٢٨	٢٩، ٨٦، ١٩٧
٥٦	﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ ...﴾	٢٩	٦٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٧	﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ ...﴾	٢٩-٣٠	١٨٣
٥٨	﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ ...﴾	٣٠	١٧٢
٥٩	﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾	٣٢	١٩٣، ٦٢، ١٩٣
٦٠	﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾﴾	٣٣	٦٩
٦١	﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ ...﴾	٣٤	٧٢
٦٢	﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾	٣٥	١٦، ٨٧، ٦٣، ٧٣
٦٣	﴿* وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾	٣٦	١٦، ٩٣، ٣٤، ٥٢، ٥٩
٦٤	﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾	٣٨	١٧٣
٦٥	﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُواْ ...﴾	٣٩	٦٢، ١٧٣
٦٦	﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ ...﴾	٤١	٦٩، ٧٠
٦٧	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ...﴾	٤٣	٧٤
٦٨	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ...﴾	٤٤	٢٠٢
٦٩	﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ...﴾	٤٦	١٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٧٠	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ...﴾	٤٨	١٨٨، ٥٢، ٨٧، ١٩٥
٧١	﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن ...﴾	٤٩	٨٨، ٩١، ١٩٥
٧٢	﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ ...﴾	٥١	٤٢، ٤٤، ٤٦، ١٩٩
٧٣	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا ...﴾	٥٦	٧٥، ١٢٤، ١٧٣، ١٨٣
٧٤	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي ...﴾	٥٧	١٧٢، ١٧٨، ١٨٠
٧٥	﴿* إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾	٥٨	٦، ٩، ١٤، ٧٧
٧٦	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ ...﴾	٥٩	٣٥، ١٧٣
٧٧	﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾	٦٠	٤٣، ٤٥، ٤٧، ١٦٦، ٢٠٢
٧٨	﴿إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ٦٢﴾	٦٢	٨٧
٧٩	﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ...﴾	٦٤	٣٦، ٦٧، ١٤٠
٨٠	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا ...﴾	٦٥	٤٥، ٦١
٨١	﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ	٦٦	١٩٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿...		
٨٢	﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾	٦٨	٢٨، ١٩٩
٨٣	﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ...﴾	٦٩	٣٦
٨٤	﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ ...﴾	٧٢	٦٩
٨٥	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ ...﴾	٧٦	٤٦، ١٦٦
٨٦	﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	٧٧	٣٤، ١٧٣، ٣٨، ١٩٤
٨٧	﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾	٧٨	١٢، ١٧٥
٨٨	﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾	٧٩	٦٩
٨٩	﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ ...﴾	٨٠	٣٦
٩٠	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾	٨١	٣٧، ١٩٤
٩١	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ...﴾	٨٢	١٥، ١١٥
٩٢	﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ ...﴾	٨٣	١٦٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٣	﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ...﴾	٨٥	٧٨
٩٤	﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ إِنَّ ...﴾	٨٦	٦٦
٩٥	﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ ...﴾	٨٧	١٠، ١٨، ٢١٠، ٦٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٧
٩٦	﴿* فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾	٨٨	١٢، ٢٩، ٢٠٠
٩٧	﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ ...﴾	٩٠	٨٨، ١٩٥
٩٨	﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ...﴾	٩٣	١٨٣، ١٨٥
٩٩	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ...﴾	٩٤	٧٣
١٠٠	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ...﴾	٩٧	١٨، ١٦٢
١٠١	﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ...﴾	١٠٠	١٨، ٧٥، ١٧٦
١٠٢	﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾	١٠٢	١٨٥

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٣	﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا ...﴾	١٠٣	٣٤، ٣٧
١٠٤	﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ...﴾	١٠٥	١١٤، ١١٩، ١٥٥
١٠٥	﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾	١٠٦	٧٥
١٠٦	﴿وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا ...﴾	١٠٧	٩٣
١٠٧	﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ ...﴾	١٠٨	٧٩، ٩٣
١٠٨	﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ...﴾	١١٠	٣٦
١٠٩	﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ ...﴾	١١٣	١٧، ١١٩، ١٥٥، ٢٠١
١١٠	﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ ...﴾	١١٥	١٨٣، ٢٠٠
١١١	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ...﴾	١١٦	٥٣، ٨٨، ١٩٦، ٢٠١، ٢٠٢
١١٢	﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا وَإِن يَدْعُونَ ...﴾	١١٧-١١٨	١٦٥

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٣	﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ...﴾	١١٨-١٢٠	١٨
١١٤	﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا ...﴾	١١٨	١٦٥، ١٦٧
١١٥	﴿وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾	١١٩	٨٦
١١٦	﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ...﴾	١١٩-١٢٠	١٦٦
١١٧	﴿وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَأٓمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ...﴾	١١٩	١٦٧، ١٩٧
١١٨	﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ...﴾	١٢٠-١٢١	١٦٩
١١٩	﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا ...﴾	١٢٠	١٦٧، ١٦٨
١٢٠	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ ...﴾	١٢٢	١٧٩
١٢١	﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ...﴾	١٢٤	١٧٩
١٢٢	﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ ...﴾	١٢٦	٧٩
١٢٣	﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا ...﴾	١٢٨	٧٣
١٢٤	﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ ...﴾	١٣٠	٨٢

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٥	﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ...﴾	١٣١	٨١
١٢٦	﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ١٣٢﴾	١٣٢	٨٣
١٢٧	﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ...﴾	١٣٣	٧، ٣٠، ٨٠، ٨٨، ١٩٦
١٢٨	﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنۡيَا ...﴾	١٣٤	٧٧، ١٨، ١٧٤
١٢٩	﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ...﴾	١٣٦	١٦، ١١٨، ١١، ١٤، ١١٢، ١٦، ٢٠١، ١٢٤، ١٦١، ١٧٤
١٣٠	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ...﴾	١٣٧	١٨
١٣١	﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ١٤٠﴾	١٤٠	١٢، ١٢٥، ١٣٤، ١٢٨، ١٢٩
١٣٢	﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ ...﴾	١٤٢-١٤٣	١٨٤
١٣٣	﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن ...﴾	١٤٣	٢٠١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٣٤	﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ ...﴾	١٤٥	١٢، ١٨٤
١٣٥	﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ...﴾	١٤٧	٨٤، ٩٠
١٣٦	﴿* لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ...﴾	١٤٨	٧٧، ٩٣
١٣٧	﴿إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ ...﴾	١٤٩	٨٠
١٣٨	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ ...﴾	١٥٠-١٥١	١٤٢
١٣٩	﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا ...﴾	١٥١	١٨٥
١٤٠	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ ...﴾	١٥٢	٩٠، ١٤٠
١٤١	﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ ...﴾	١٥٣	٩٨، ١٠٢
١٤٢	﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ...﴾	١٥٥	١٢٦، ١٤٦
١٤٣	﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾	١٥٦	١٥٤، ٢٠٩
١٤٤	﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ	١٥٧	١٧، ١٤٥،

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿...﴾		١٤٦، ١٤٧، ١٤٩
١٤٥	﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨﴾	١٥٨	١٢، ١٤٨
١٤٦	﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ ...﴾	١٥٩	٦٩
١٤٧	﴿وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ١٦١﴾	١٦١	١٨٥
١٤٨	﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ...﴾	١٦٢	٣٥، ٩٠، ١٧٤
١٤٩	﴿* إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ ...﴾	١٦٣-١٦٤	١٧
١٥٠	﴿* إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ ...﴾	١٦٣	١٤٠
١٥١	﴿* إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ ...﴾	١٦٣-١٦٤	١٤٣
١٥٢	﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾	١٦٣	٩١، ١٢٠
١٥٣	﴿وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا ...﴾	١٦٤	١٤١
١٥٤	﴿رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ...﴾	١٦٥	١٤١
١٥٥	﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ ...﴾	١٦٦	١٨، ٦٩، ١٦١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٥٦	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ...﴾	١٦٧	١٨، ٢٠١
١٥٧	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ ...﴾	١٦٨-١٦٩	١٨٤
١٥٨	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ ...﴾	١٦٨	٢٠٠
١٥٩	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ ...﴾	١٧٠	٧، ٢٦، ٦١
١٦٠	﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾	١٧١	١٦، ١٧، ٨٣، ٩٤، ١٤١، ١٥٠، ١١، ١٥، ١٥١
١٦١	﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ ...﴾	١٧٢	١٨، ١٤١
١٦٢	﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ ...﴾	١٧٢-١٧٣	١٥٢
١٦٣	﴿لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ ...﴾	١٧٢	١٥، ١٦٢
١٦٤	﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ ...﴾	١٧٣	٩، ١٧٩، ١٨٥
١٦٥	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ ...﴾	١٧٤	٧، ٢٧، ٦١
١٦٦	﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ ...﴾	١٧٥	٢٠٠

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٧	﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١٧٦﴾	١٧٦	١٦، ٦٢

٥-سورة المائدة

١٦٨	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾	١	١٤
١٦٩	﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ ...﴾	١٣	١٤
١٧٠	﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا ...﴾	١٥	١٢٠
١٧١	﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ ...﴾	١٨	٩٢
١٧٢	﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُمۡ ...﴾	١٩	١١٣
١٧٣	﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾	٤٤	٣٩، ٤٧، ١١٣
١٧٤	﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ ...﴾	٤٨	١١٦، ١٢٠
١٧٥	﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ...﴾	٧٢	١٥، ٥٤
١٧٦	﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ ...﴾	٧٣	١٥
١٧٧	﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ	٧٥	١٥٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿...﴾		
١٧٨	﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾	١١٦	١٥١
١٧٩	﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾	١١٧	٧٠
١٨٠	﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾	١١٩	٩٣
١٨١	﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾	١٢٠	١٦

٦-سورة الأنعام

١٨٢	﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ ...﴾	٢	٢٨
١٨٣	﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾	١٩	١٥٦
١٨٤	﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ...﴾	٥٠	٤٩
١٨٥	﴿* وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ ...﴾	٥٩	٤٨
١٨٦	﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ﴾	٦٨	١٢٨، ١٢٩، ١٣٤
١٨٧	﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ ...﴾	٨٨	٥٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٨	﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ...﴾	٩٣	١٧١
١٨٩	﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾	١٠٣	١٠٣، ١٠٥، ٩٩، ١٠٣
١٩٠	﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ ...﴾	١١٢	١٦٥
١٩١	﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا ...﴾	١٤٨-١٤٩	٢٠٥
١٩٢	﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ ...﴾	١٦٠	١٧٢، ١٨١

٧-سورة الأعراف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٣	﴿وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾	٣٣	٥١
١٩٤	﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ ...﴾	١٤٣	١٠٢، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨
١٩٥	﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ ...﴾	١٥٧	١١٥
١٩٦	﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾	١٨٥	١٠٧
١٩٧	﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ ...﴾	١٨٨	٤٩

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

٨-سورة الأنفال

١٩٨	﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾	٦٧	٩٠

٩-سورة التوبة

١٩٩	﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ...﴾	١٨	٣٩
٢٠٠	﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ...﴾	٦٥-٦٦	١٢٩
٢٠١	﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾	١١٤	٦٥
٢٠٢	﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ ...﴾	١٢٤	٢٠٣
٢٠٣	﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ ...﴾	١٢٥	٢٠٢
٢٠٤	﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ...﴾	١٢٨	٦٨

١٠-سورة يونس

٢٠٥	﴿* لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾	٢٦	١٠٦

١١-سورة هود

٢٠٦	﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ ...﴾	١٣	١٥٦
٢٠٧	﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾	٧٥	٦٥
٢٠٨	﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ...﴾	٨٧	٦٥

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

١٢-سورة يوسف

٢٠٩	﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾	٤٢	٢٥
٢١٠	﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥﴾	٥٥	٩٢
٢١١	﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ ...﴾	١٠٨	١١٤

١٤-سورة إبراهيم

٢١٢	﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ...﴾	٧	هـ

١٥-سورة الحجر

٢١٣	﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾	٩	١٢٠

١٦-سورة النحل

٢١٤	﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدۡنَا مِن دُونِهِۦ ...﴾	٣٥	٢٠٤
٢١٥	﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ...﴾	٣٦	٤، ٥٠
٢١٦	﴿وَلَهُم مَّا يَشۡتَهُونَ ٥٧﴾	٥٧	١٠٥
٢١٧	﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلۡمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيۡهَا مِن دَآبَّةٖ﴾	٦١	٦٥
٢١٨	﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن ...﴾	٩٣	٢٠٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١٩	﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ ...﴾	٩٧	١٨١
٢٢٠	﴿إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾	١٠٦	١٣١
٢٢١	﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ ...﴾	١٢٧	١١٤

١٧-سورة الإسراء

٢٢٢	﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ...﴾	٩-١٠	١١٣
٢٢٣	﴿* وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾	٢٣	٤
٢٢٤	﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ ...﴾	٨٨	١٥٦

١٨-سورة الكهف

٢٢٥	﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾	٢٩	٢٠٣
٢٢٦	﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا ...﴾	١١٠	١٨١

١٩-سورة مريم

٢٢٧	﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ۝٢٥﴾	٢٥	١٥٤
٢٢٨	﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا ...﴾	٥١	١٣٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

٢٠-سورة طه

٢٢٩	﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ...﴾	٨٢	٧٤
٢٣٠	﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾	٩٧	٢٥
٢٣١	﴿وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾	٩٩	١١٦
٢٣٢	﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾	١٢٣	١٢٥

٢١-سورة الأنبياء

٢٣٣	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ ...﴾	٢٥	١١٥
٢٣٤	﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ ...﴾	٢٦-٢٨	١٦٠
٢٣٥	﴿* وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ ...﴾	٢٩	٤٩
٢٣٦	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾	١٠٥	١٢٠

٢٢-سورة الحج

٢٣٧	﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ ...﴾	٣١	٥٤
٢٣٨	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا ...﴾	٥٢	١٣٨، ١٣٩
٢٣٩	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ ...﴾	٧٧	٧

٢٣-سورة المؤمنون

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٠	﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾	١٤	٨٥

٢٤-سورة النور

٢٤١	﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ ...﴾	٢١	٩٢
٢٤٢	﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ...﴾	٣٩-٤٠	١٢٣
٢٤٣	﴿لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗا وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ ...﴾	٥٥	٥٨

٢٥-سورة الفرقان

٢٤٤	﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ...﴾	٤٥	١٩٦

٢٦-سورة الشعراء

٢٤٥	﴿فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦﴾	١٦	١٣٦
٢٤٦	﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٖ ١٠١﴾	١٠٠-١٠١	٥٣، ٥٤

٢٧-سورة النمل

٢٤٧	﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ...﴾	٨٩-٩٠	١٨١

٢٩-سورة العنكبوت

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٨	﴿وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكٗاۚ﴾	١٧	٨٥

٣٢-سورة السجدة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٩	﴿* قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ ...﴾	١١	١٦٣

٣٣-سورة الأحزاب

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٥٠	﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ١٣﴾	١٣	٩٠
٢٥١	﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ...﴾	٣٩	٣٩
٢٥٢	﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ...﴾	٦٨-٦٧	١٢٥

٣٤-سورة سبأ

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٥٣	﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ ...﴾	٢٢	٥٥

٣٥-سورة فاطر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٥٤	﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٨﴾	١٨	٩٢
٢٥٥	﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾	٢٨	٣٨ ،٣٧

٣٧-سورة الصافات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٥٦	﴿إِنَّهُمۡ أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ ضَآلِّينَ ٦٩ فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ	٧٠-٦٩	١٢٥

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿۞﴾		

٣٨-سورة ص

٢٥٧	﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ ...﴾	٢٨	١٨١

٣٩-سورة الزمر

٢٥٨	﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾	١٧	٤٢، ٥٠
٢٥٩	﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ ...﴾	٢٣	٢٠٤
٢٦٠	﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ...﴾	٦٥-٦٦	٥٤
٢٦١	﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾	٦٦	٤٠

٤٠-سورة غافر

٢٦٢	﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ...﴾	٦٠	٥٨

٤١-سورة فصلت

٢٦٣	﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾	١٢	١٩٠
٢٦٤	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ ...﴾	٣٠	١٧١
٢٦٥	﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ ...﴾	٤٢	١١٦

٤٢-سورة الشورى

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٦٦	﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾	١١	٣، ٦٠، ٩٥

٤٣-سورة الزخرف

٢٦٧	﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ﴾	٧١	١٠٥
٢٦٨	﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ﴾	٧٧	١٠٧

٤٥-سورة الجاثية

٢٦٩	﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ...﴾	٢١	١٨١

٤٧-سورة محمد

٢٧٠	﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾	١٧	١٨١، ٢٠٢
٢٧١	﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ ...﴾	٢٧	١٦٣

٤٨-سورة الفتح

٢٧٢	﴿يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ ...﴾	١٤	١٨٧

٤٩-سورة الحجرات

٢٧٣	﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ ...﴾	١٥	٣

٥٠-سورة ق

٢٧٤	﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾	١٨	٦٥
٢٧٥	﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾	٣٥	١٠٦
٢٧٦	﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ...﴾	٣٩	١٠٦

٥١-سورة الذاريات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٧٧	﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم ...﴾	٥٦-٥٧	٤
٢٧٨	﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	٥٦	٤٠

٥٢-سورة الطور

٢٧٩	﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾	٣٤	١٥٦

٥٤-سورة القمر

٢٨٠	﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾	٤٩	١٩١

٥٧-سورة الحديد

٢٨١	﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا ...﴾	١٣	١٠٧
٢٨٢	﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ...﴾	٢٥	١١٤

٥٩-سورة الحشر

٢٨٣	﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ ...﴾	٧	٤١، ٩١

٦١-سورة الصف

٢٨٤	﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ...﴾	٥	٢٠٢
٢٨٥	﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ﴾	٨	٩٠

٦٥-سورة الطلاق

٢٨٦	﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾	٣	٣٧، ٦٦

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة

٦٦-سورة التحريم

٢٨٧	﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾	١٢	١٥٤

٧٢-سورة الجن

٢٨٨	﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ...﴾	٢٦-٢٧	٤٨

٧٤-سورة المدثر

٢٨٩	﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾	٣١	٢٠٥

٧٥-سورة القيامة

٢٩٠	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾	٢٢-٢٣	١٠٤، ١٠٦
٢٩١	﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	١٠٧

٧٦-سورة الإنسان

٢٩٢	﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	٣٠	٢٠٤

٧٨-سورة النبأ

٢٩٣	﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾﴾	١-٢	١٣٦

٨١-سورة التكوير

٢٩٤	﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾	٢٨	٢٠٣، ٢٠٤
٢٩٥	﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾	٢٩	٢٠٣

٨٣-سورة المطففين

٢٩٦	﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾	١٥	١٠٣

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٨٨-سورة الغاشية		
٢٩٧	﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾	٢٦-٢٥	١٧٢
	٩٠-سورة البلد		
٢٩٨	﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ۝١٠﴾	١٠	٢٠٢
	٩٨-سورة البينة		
٢٩٩	﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ...﴾	٥	٤١
	١١٢-سورة الإخلاص		
٣٠٠	﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ...﴾	٤-١	٣
٣٠١	﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ ...﴾	٣-١	٩٥

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

م	طرف الحديث	الصفحة
١	((أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، ..))	٨٩
٢	((احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتْ هَذِهِ يَدْخُلُنِي ..))	٨٨
٣	((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ ..))	٩٤
٤	((اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ..))	٨٩
٥	((أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي ..))	١٦٦
٦	((أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ..))	٤٠
٧	((إن الرَّجُلَ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ ..))	٢٠٤
٨	((إِنَّ الزَّمَانُ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ ..))	١٩٧
٩	((إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخرةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ ..))	١٧٥
١٠	((إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأُ وَالنِّسْيَانُ وَمَا ..))	١٣٢
١١	((إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ..))	١٨٨
١٢	((إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، ..))	٩٤
١٣	((إِنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ ..))	١٩٥
١٤	((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليوم الآخر..))	١٦١
١٥	((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ ..))	١٠٥
١٦	((إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، ..))	١٦١
١٧	((الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ..))	١١٣

م	طرف الحديث	الصفحة
١٨	((بايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي ..))	٣٦
١٩	((بايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، ..))	١٨٧
٢٠	((تَعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ))	١٠٨
٢١	((حَتَّى يَلْقَاهَا رَبُّهَا))	٢٥
٢٢	((خَلَقَ اللهُ ﷻ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ ..))	١٩٧
٢٣	((السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، ..))	٣٦
٢٤	((شَفَاعَتِي لأهل الكبائر من أمَّتِي))	١٨٧
٢٥	((عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، ..))	١٣٩
٢٦	((فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً))	٣٨
٢٧	((قال الله كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني، ..))	٩٦
٢٨	((قَالَ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، ..))	٨٦
٢٩	((كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، ..))	١٩٥
٣٠	((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا الِاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا، ..))	٦٢
٣١	((كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ ..))	٨٦
٣٢	((كم النبيون قال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا، قيل ..))	١٣٨
٣٣	((لاَ يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ ..))	١٨٦
٣٤	((لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي ..))	٨٩
٣٥	((لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا ..))	٧٨
٣٦	((مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ تَعَالَى، ..))	٩٦

م	طرف الحديث	الصفحة
٣٧	((مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ ..))	١٨٩
٣٨	((مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ ..))	١٨٦
٣٩	((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ ..))	١٣٤
٤٠	((مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مَنْ دُونِ اللهِ، ..))	٤
٤١	((مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليوم الآخر فَلَا يَجْلِسْ عَلَى ..))	١٣٣
٤٢	((مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ))	هـ
٤٣	((مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ ..))	٤
٤٤	((مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ))	١٨٨
٤٥	((مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ))	١٨٨
٤٦	((الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ ..))	٩٤
٤٧	((وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّسَاءِ إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ))	٦
٤٨	((يَا مُعَاذُ أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ، قَالَ اللَّهُ ..))	٤٠
٤٩	((يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا))	١٧٢
٥٠	((يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول ..))	١٨٨
٥١	((يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ..))	١٨٧

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجمة.

م	العلم	الصفحة
١	أَحْمد بن عبد الْحَلِيم بن عبد السَّلَام بن عبد الله بن أبي الْقَاسم الْحَرَّانِي ابْن تَيْمِية	٣٠
٢	أحمد بن علي الرَّازي أبو بكر الجصاص	١٣١
٣	أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزديّ، أبو جعفر الطحاوي	٢٣
٤	آريوس	١٥٣
٥	إِسْمَاعِيل بن عبد الرَّحْمَن ابْن أبي ذُؤَيْب السّديّ الإِمَام أَبُو مُحَمَّد السّديّ الْكَبِير الْحِجَازِي	١١٦
٦	إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصري ثم الدمشقيّ	٤٧
٧	حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي	٦٤
٨	حيي بن أخطب النظري	٤٢
٩	صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي أبو البقاء	١٤٨
١٠	عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، أبو محمد، المشهور بابن عطية	١٤٢
١١	عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السّلامي البغدادي ثم الدمشقيّ	١٢٧
١٢	عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي النجدي	١٣٢
١٣	عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي	١٣٣

م	العلم	الصفحة
١٤	عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو سعيد، أو أبو الخير ناصر الدين البيضاوي	١٣٣
١٥	العز بن عبد السَّلَام بن أبي الْقَاسم بن حسن بن مُحَمَّد ابْن مهذب السّلمِيّ	٩٩
١٦	علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقيّ	١٤٣
١٧	عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي	١٢٦
١٨	كعب بن الأشرف الطائي اليهودي	٤٢
١٩	مُحَمَّد بن أَبِي بكر بن أَيُّوب بن سعد بن جرير الزرعي الدمشقي شمس الدَّين ابْن قيم الجوزية	٣١
٢٠	محمد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني أبو الفتح	١٥٠
٢١	مُحَمَّد بْن أَحْمَد بن أبي بكر بن فَرْح، أبو عَبْد الله الأَنْصَارِيّ، الخَزْرجَيّ، القُرْطُبيّ،	٨
٢٢	مُحَمَّد بْن إِدْرِيس بْن الْعَبَّاس بْن عُثْمَان الشافعي	١٣٠
٢٣	محمد بن إسماعيل البخاري	٦
٢٤	محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري	٢٧
٢٥	محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعيّ	١٠٠
٢٦	محمد بن علي بن وهب بن مطيع، الإمام العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو الفتح ابن دقيق العيد القشيري	١٣١

م	العلم	الصفحة
٢٧	مُحَمَّد بن عمر بن الْحسن بن الْحُسَيْن التَّيْمِيّ الإِمَام فَخر الدّين الرَّازِيّ	٢٠٣
٢٨	محمد بن محمد بن إسحاق بن راهَوَيْهِ أبو الحسن الحنظليُّ	١٢٧
٢٩	محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي	١٠١
٣٠	محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي	١٣١
٣١	محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين القلموني	١٧٦
٣٢	محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشريّ	٧٢
٣٣	النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه، أبو حنيفة	٢٢

رابعاً: فهرس الطوائف والفرق.

م	الفرقة	الصفحة
١	الآريوسية	١٥٣
٢	الأشاعرة	١٨٠
٣	أهل السنة	١٠٤
٤	الجهمية	١٨٠
٥	الخوارج	١٨٦
٦	الصوفية	٩٩
٧	القدرية	٢٠٣
٨	المرجئة	١٨٠
٩	المعتزلة	١٠١
١٠	الملكانية	١٥٢
١١	النسطورية	١٥٢
١٢	اليعقوبية	١٥٢

خامساً: فهرس الكلمات الغريبة.

م	الكلمة الغريبة	الصفحة
١	أطت	١٦١
٢	الأقانيم	٩٥
٣	الأقنوم	٩٥
٤	الإنجيل	١١٨
٥	أولو العزم	١٤٣
٦	التجلي	١٠٠
٧	التوراة	١١٨
٨	التوقي	٣٨
٩	الساحر	٤٨
١٠	العراف	٤٩
١١	القاموس المقدس	١٥٠
١٢	الكاهن	٤٨
١٣	الكشف	١٠٠
١٤	لا تضامون	١٠٥
١٥	المعدود	١٤٥
١٦	المنجم	٤٩
١٧	النحلة	١٦٦

م	الكلمة الغريبة	الصفحة
١٨	النقير	١٧٩
١٩	الودك	١٤٥
٢٠	يعَز	١٧٦

سادساً: فهرس المصادر والمراجع.

١. القرآن الكريم.

٢. الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، عبد الرحمن بن محمد بن خلف الدوسري، ط١، مكتبة دار الأرقم، الكويت، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

٣. أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ، (د. ط)، تحقيق: محمد صادق القمحاوي.

٤. إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة، بيروت، (د. ط. ت).

٥. إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، تحقيق: جماعة من العلماء.

٦. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني، ط٧، المطبعة الأميرية، مصر، ١٣٢٣هـ.

٧. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط. ت).

٨. الأساس في السنة، سعيد حوّى، ط٢، دار السلام، ١٩٩٢م، (د. ب).

٩. الأسماء والصفات نقلا وعقلا، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ط٥، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

١٠. الأسئلة والأجوبة في العقيدة، صالح بن عبد الرحمن بن عبد الله الأطرم، ط١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٣هـ.

١١. اشتقاق أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، (د. ب)، تحقيق: عبد الحسين المبارك.

١٢. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤٢١هـ.

١٣. أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة، محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار الصميعي، السعودية، (د. ط. ت).

١٤. أصول الدين، جمال الدين أحمد بن محمد بن سعيد الغزنوي الحنفي، ط١، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، تحقيق: عمر وفيق الداعوق.

١٥. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط. ت)، تحقيق: علي سامي النشار.

١٦. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ الحكمي، ط٢، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤٢٢هـ، تحقيق: حازم القاضي.

١٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الدمشقي شمس الدين ابن القيم الجوزية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم.

١٨. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، دار التراث العربي، القاهرة، (د. ط. ت)، تحقيق: حمد حجازي السقا.

١٩. الأعلام، محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، ط١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، (د. ب).
٢٠. اقتضاء الصراط المستقيم، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ط٧، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، تحقيق: ناصر العقل.
٢١. آكام المرجان في أحكام الجان، محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقيّ ابن تقي الدين، مكتبة القرآن، مصر، (د. ط. ت)، تحقيق: إبراهيم محمد الجمل.
٢٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي.
٢٣. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.
٢٤. الإيمان بين السلف والمتكلمين، أحمد بن عطية بن علي الغامدي، ط١، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٤٣٢هـ – ٢٠٠٢م.
٢٥. الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، ط١، مدار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٢م.
٢٦. بحر العلوم، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو ليث، (د. ط. ب. ن. ت).
٢٧. البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، دار الفكر، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م، (د. ط. ب).
٢٨. بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي ابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ط. ت).

٢٩. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، دار المعرفة، بيروت، (د. ط. ت).

٣٠. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ط١، دار إحياء الكتب العربي، ١٩٥٧م، (د. ب)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

٣١. تاج التراجم، زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا السودوني، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٣هـ — ١٩٩٢م، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف.

٣٢. تاج العروس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، دار الهداية، (د. ط. ب. ت)، مجموعة من المحققين.

٣٣. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قَايْماز الذهبي، ط١، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م، (د. ب)، تحقيق: بشار عوّاد معروف.

٣٤. تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

٣٥. تأملات في الأناجيل والعقيدة، بهاء النحال، ط٢، ١٩٩٤م، (د. ن. ب).

٣٦. تبسيط العقائد الإسلامية، حسن محمد أيوب، ط٥، دار الندوة الجديدة، بيروت، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م.

٣٧. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، طاهر بن محمد البغدادي، ط١، عالم الكتب، لبنان، ١٤٠٣هـ — ١٩٨٣م، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

٣٨. التبصير في معالم الدين، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ط١، دار العاصمة، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، (د. ب)، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل.

٣٩. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ، (د. ب. ط).

٤٠. التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، فالح بن مهدي بن سعد بن مبارك الدوسري، ط٣، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤١٣هـ.

٤١. تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري أبو البقاء الهاشمي، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح.

٤٢. التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد، عمر العرباوي الحملاوي، مطبعة الوراقة العصرية، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م، (د. ط. ب).

٤٣. تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد بن قايماز الذهبي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٤٤. تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط١، غراس للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، (د. ب).

٤٥. التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ط١، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٥هـ، تحقيق: الصادق بن محمد بن إبراهيم.

٤٦. التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي، أبو القاسم، ط١، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ، تحقيق: عبد الله الخالدي.

٤٧. تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، محمد بن إسماعيل الصنعاني، ط١، مطبعة سفير، السعودية، ١٤٢٤هـ، تحقيق: عبد المحسن بن حمد العباد البدر.
٤٨. التعرف لمذهب أهل التصوف، محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط. ت).
٤٩. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، تحقيق: جماعة من العلماء.
٥٠. تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، دار الثقافة العربية، (د. ط. ت. ب)، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق.
٥١. تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السعودية، ١٤٢١هـ، (د. ط)، تحقيق: عبيد بن علي العبيد.
٥٢. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، ط٢، دار طيبة للنشر، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م، (د. ب)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة.
٥٣. تفسير القرآن، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي، ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي.
٥٤. تفسير القرآن، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، ط١، دار المآثر، المدينة النبوية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، تحقيق: سعد بن محمد السعد.
٥٥. تفسير القرآن، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني، ط١، دار الوطن، السعودية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٥٦. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، (د. ط. ت).

٥٧. تفسير الماتريدي، أبو منصور الماتريدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م، تحقيق: مجدي باسلوم.

٥٨. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ط١، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، مصر، ١٣٦٥هـ — ١٩٤٦م.

٥٩. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، (د. ط. ب).

٦٠. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط٢، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨هـ.

٦١. التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، ط١٠، دار الجيل الجدي، بيروت، ١٤١٣هـ.

٦٢. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ط١، دار نهضة، القاهرة، ١٩٩٨م.

٦٣. تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢١هـ — ٢٠٠١م.

٦٤. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المَلَطي العسقلاني، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، (د. ط. ت)، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري.

٦٥. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، تحقيق: محمد عوض مرعب.

٦٦. التوحيد، حمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، مكتبة البو ور حمجصه (المصطفوي)، طهران، ١٣٧٥هـ، (د. ط).

٦٧. التوحيد، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، دار الجامعات المصرية، إسكندرية، (د. ط. ت)، تحقيق: فتح الله خليف.

٦٨. التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين المناوي، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م.

٦٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، (د. ب)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

٧٠. ثلاث تراجم نفيسة للأئمة الأعلام، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ط١، دار ابن الأثير، الكويت، ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي.

٧١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ط١، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م، (د. ب)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي.

٧٢. جامع البيان في تفسير القرآن، الإيجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ — ٢٠٠٤م.

٧٣. جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السّلامي البغدادي ثم الدمشقيّ، ط٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ — ٢٠٠١م، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

٧٤. الجامع لإحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ — ١٩٦٤م، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

٧٥. جمهرة اللغة، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، تحقيق: رمزي منير بعلبكي.
٧٦. الجنة والنار من الكتاب والسنة المطهرة، عبد الرحمن بن سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ط٣، مطبعة سفير، الرياض، (د. ت)، تحقيق: سعيد بن علي بن وهف القحطاني.
٧٧. الجنة والنار، عمر بن سليمان الأشقر، ط٧، دار النفائس، الأردن، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٧٨. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ط٢، دار العاصمة، السعودية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، تحقيق: علي بن حسن وآخرون.
٧٩. الجواب الكافي، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الدمشقي، ابن القيم الجوزية، ط١، دار المعرفة، المغرب، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.
٨٠. الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود.
٨١. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، مير محمد كتب خانه، كراتشي، (د. ط. ت).
٨٢. الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، ط٢، دار الراية، السعودية، ١٩٩٩م، تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي.
٨٣. الحسنة والسيئة، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط. ت).

٨٤. حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول، عبد الله بن صالح الفوزان، مكتبة الرشد، (د. ط. ب. ت).

٨٥. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، (د. ط).

٨٦. الحور العين، نشوان بن سعيد الحميري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨م، (د. ط).

٨٧. درء تعارض العقل والنقل، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ط٢، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، تحقيق: محمد رشاد سالم.

٨٨. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، ط٤، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

٨٩. الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، ط١، أضواء السلف، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، (د. ب)، تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود.

٩٠. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ط٢، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الهند، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان.

٩١. الرد الوافر، محمد بن عبد الله بن محمد ابن أحمد بن مجاهد القيسي، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٣هـ، تحقيق: زهير الشاويش.

٩٢. الرسالة القشيرية، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، دار المعارف، القاهرة، (د. ط. ت)، تحقيق: عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف.
٩٣. الرسالة المفيدة، محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، (د. ط. ت. ب)، تحقيق: محمد بن عبد العزيز المانع.
٩٤. رسالة في أسس العقيدة، محمد بن عودة السعوي، ط١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤٢٥هـ.
٩٥. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار الفكر، بيروت، (د. ط. ت).
٩٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ، تحقيق: علي عبد الباري عطية.
٩٧. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
٩٨. الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار أبو بكر الأنباري، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، تحقيق: حاتم صالح الضامن.
٩٩. الزهد والورع والعبادة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد، ابن تيمية الحراني، الحنبلي، الدمشقي، تقي الدين، أبو العباس، ط١، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٧هـ، تحقيق: حماد سلامة، محمد عويضة.
١٠٠. زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، (د. ط. ت. ب).

١٠١. السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ١٢٨٥هـ، (د. ط).

١٠٢. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ — ٢٠٠٩م، (د. ب)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.

١٠٣. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السّجِسْتاني، ط١، دار الرسالة العلمية، ١٤٣٠هـ — ٢٠٠٩م، (د. ب)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي.

١٠٤. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، ط٢، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون.

١٠٥. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ — ٢٠٠٦م، (د. ط).

١٠٦. شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، ط١، دار الثقافة العربية، ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م، (د. ب)، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق.

١٠٧. شرح الأربعين النووية، محمد بن علي بن وهب بن مطيع ابن دقيق العيد، ط٦، مؤسسة الريان، ٢٠٠٣م، (د. ب).

١٠٨. شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤١٦هـ — ١٩٩٦م، تحقيق: عبد الكريم عثمان.

١٠٩. شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ط٢، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش.

١١٠. شرح السنة، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل أبو إبراهيم المزني، ط١، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

١١١. شرح العقيدة الطحاوية، محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، ط١، دار السلام، مصر، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، تحقيق: جماعة من العلماء.

١١٢. شرح العقيدة الطحاوية، محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ.

١١٣. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن خليل حسن هرّاس، ط٣، دار الهجرة، الخبر، ١٤١٥هـ.

١١٤. شرح العقيدة الواسطية، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط٦، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤٢١هـ.

١١٥. شرح النووي على صحيح مسلم، محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

١١٦. شرح ثلاثة الأصول، محمد بن صالح العثيمين، ط٤، دار الثريا للنشر، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م، (د. ب).

١١٧. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل، ط٢، دار الفيحاء، عمان، ١٤٠٧هـ.

١١٨. شفاء العليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن جرير الدمشقي شمس الدين ابن القيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ — ١٩٧٨م، (د. ط).

١١٩. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٤٢٠هـ — ١٩٩٩م، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري وآخرون.

١٢٠. الصارم المسلول على شاتم الرسول، أحمد بن عبد الحلم بن عبد السلام ابن تيمية، الحرس الوطني السعودي، السعودية، (د. ط. ت)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

١٢١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ط٤، دار العلم، بيروت، ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار.

١٢٢. صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، (د. ب)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر.

١٢٣. صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، أبو عبد الرحمن، المكتب الإسلامي، (د. ط. ت. ب).

١٢٤. صحيح مسلم = المسند المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط. ت)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

١٢٥. صفات الله عز وجل، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، ط٣، الدرر السنية، دار الهجرة، ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٦م، (د. ب).

١٢٦. الصفدية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ط٢، مكتبة ابن تيمية، مصر، ١٤٠٦هـ، تحقيق: محمد رشاد سالم.
١٢٧. طبقات الحنابلة، أبو الحسين ابن أبي يعلى، دار المعرفة، بيروت، (د. ط. ت)، تحقيق: محمد حامد الفقي.
١٢٨. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب السبكي، ط٢، هجر للطباعة، ١٤١٣هـ، (د. ب).
١٢٩. طبقات الشافعيين، ابن كثير، مكتبة الثقافة الدينية، (د. ط. ب. ت)، تحقيق: أحمد عمر هاشم، محمد زينهم محمد عزب.
١٣٠. طبقات المفسرين العشرين، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ، تحقيق: علي محمد عمر.
١٣١. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه، ط١، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي.
١٣٢. العبودية، ابن تيمية، ط٧، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، تحقيق: محمد زهير الشاويش.
١٣٣. العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، ط٢، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، (د. ت).
١٣٤. العقائد الإسلامية، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ط. ت).
١٣٥. العقيدة في الله، عمر بن سليمان الأشقر، ط١٢، دار النفائس، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، (د. ب).
١٣٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط. ت).

١٣٧. غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
١٣٨. غاية المرام في علم الكلام، سيف الدين علي بن علي بن محمد الثعلبي الآمدي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، (د. ط. ت)، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف.
١٣٩. غريب الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ، تحقيق: عبد الله الجبوري.
١٤٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، (د. ط).
١٤١. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ.
١٤٢. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٧م.
١٤٣. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام، غالب بن علي عواجي، ط٤، المكتبة العصرية، جدة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
١٤٤. الفروق اللغوية، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن مهران العسكري، دار العلم، مصر، (د. ط. ت)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم.
١٤٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د. ط. ت).
١٤٦. فضائل القرآن، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ط١، مكتبة ابن تيمية، ١٤١٦هـ، (د. ب).

١٤٧. الفقه الأكبر، نسب لأبي حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، ط١، مكتبة الفرقان، الإمارات العربية، ١٤١٩هـ — ١٩٩٩م.
١٤٨. فوات الوفيات، محمد بن شاكر بن الملقب بصلاح الدين، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٧٤م.
١٤٩. الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣هـ — ١٩٧٣م.
١٥٠. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط١٧، دار الشروق، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٥١. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المعروف بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي، ط١، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.
١٥٢. القاموس الفقهي، سعدي أبو حبيب، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٨هـ — ١٩٨٨م.
١٥٣. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز أباد، ط٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٦هـ — ٢٠٠٥م، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة.
١٥٤. القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين، ط٣، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ — ٢٠٠١م.
١٥٥. القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين، ط٢، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٤٢٤هـ.
١٥٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، حمود بن عمرو الزمخشري، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
١٥٧. الكَشْف المُبْدِي لتمويه أبي الحسن السُّبكيّ، محمد بن حسين بن سليمان بن إبراهيم الفقيه، ط١، دار الفضيلة، الرياض، ٢٠٠٢م، تحقيق: صالح بن علي المحسن وأبو بكر بن سالم شهال.

١٥٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، ط١، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ١٤٢٢هـ — ٢٠٠٢م، تحقيق: أبي محمد بن عاشور.

١٥٩. الكليات، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د. ط. ت)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري.

١٦٠. كيمياء السعادة، أبو محمد بن محمد الغزالي الطوسي، والأصل، كتاب اسمه كميائي سعادات في مجلدين كبار وهو ترجمة تقريبا لكتابه الإحياء مع تغير بسيط، (د. ط. ت).

١٦١. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ — ١٩٩٨م، تحقيق: عادل أحمد عبد المقصود وعلي محمد عوض.

١٦٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على جمال الدين بن منظور الأنصاري، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٦٣. لسان الميزان، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، ط١، دار البشائر الإسلامية، ٢٠٠٢م، (د. ب)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة.

١٦٤. لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ط٢، عالم الكتب، لبنان، ١٩٨٧م، تحقيق: فوقية حسين محمود.

١٦٥. لمعة الاعتقاد، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي، ط٢، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤٢٠هـ — ٢٠٠٠م.

١٦٦. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، ط٢، مؤسسة الخافقين، دمشق، ١٤٠٢هـ — ١٩٨٢م.

١٦٧. مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح، ط٢٤، دار العلم للملايين، ٢٠٠٠، (د. ب).

١٦٨. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان، ط٣، مكتبة المعارف، ١٤٢١هـ — ٢٠٠٠م، (د. ب).

١٦٩. متن العقيدة الطحاوية، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك المعروف بالطحاوي، ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ.

١٧٠. مجمل اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ — ١٩٨٦م، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان.

١٧١. مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة، السعودية، ١٤١٦هـ — ١٩٩٥م، (د. ط)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

١٧٢. مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ط الأخيرة، دار الوطن، دار الثريا، ١٤١٣هـ، (د. ب).

١٧٣. مجموعة رسائل في التوحيد والإيمان، محمد بن عبد الوهاب النجدي، جامعة الإمام محمد بن سعود، (د. ط. ت. ب)، تحقيق: إسماعيل بن محمد الأنصاري.

١٧٤. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود.

١٧٥. محاضرات في النصرانية، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨١هـ – ١٩٦٦م.

١٧٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي أبو محمد المشهور بابن عطية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

١٧٧. المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م، تحقيق: عبد الحميد هنداوي.

١٧٨. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ط٥، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١٧٩. المختار في الرد على النصارى، عمرو بن بحر بن محبوب الشهير بالجاحظ، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي.

١٨٠. مختصر ملخص الذهبي، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي، ط١، دار العاصمة، الرياض، ١٤١١هـ، تحقيق: عبد الله بن حمد اللحيدان وسعد بن عبد الله آل حميد.

١٨١. المخصص، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال.

١٨٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي.

١٨٣. مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد بن محمد بن محمود النسفي، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، تحقيق: يوسف علي بديوي.

١٨٤. مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية، عثمان جمعة ضميرية، ط٢، مكتبة السوادي، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م، (د. ب).

١٨٥. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان المباركفوري، ط٣، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء الجامعة السلفية، بنارس الهند، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

١٨٦. مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، ط٣، دار طيبة، ١٤٢٨هـ، (د. ب).

١٨٧. المستدرك على الصحيحين، عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله محمد النيسابوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.

١٨٨. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، المكتبة العتيقة ودار التراث، (د. ط. ت. ب).

١٨٩. مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ط١، طبع على نفقة المؤلف بإشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م.

١٩٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، (د. ط. ت).

١٩١. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ط١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر.

١٩٢. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، أبو محمد، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

١٩٣. معالم السنن، حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب السبتي المعروف بالخطابي، ط١، المطبعة العلمية، حلب، ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م.

١٩٤. معالم في السلوك وتزكية النفوس، عبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، ط١، دار الوطن، ١٤١٤هـ، (د. ب).

١٩٥. معجم الشعراء، أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، ط٢، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م.

١٩٦. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، (د. ب).

١٩٧. معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي، مكتبة المثنى، بيروت، (د. ط. ت).

١٩٨. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، (د. ط. ب. ت).

١٩٩. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، الفخر الرازي، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٠٠. المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي.
٢٠١. المقاصد الحسنة، محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م، تحقيق: محمد عثمان الخشت.
٢٠٢. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، ط٣، دار فرانز شتايز بمدينة فيسبادن، (ألمانيا)، ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م.
٢٠٣. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، (د. ط)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
٢٠٤. المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ط١، الجفان والجابي، قبرص، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي.
٢٠٥. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، مؤسسة الحلبي، (د. ط. ت. ب).
٢٠٦. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقان، ط٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (د. ت. ب).
٢٠٧. المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، (د. ط. ت. ب)، تحقيق: محب الدين الخطيب.

٢٠٨. منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبد العزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان آل معمر، (د. ط. ت. ن. ب).
٢٠٩. المنقذ من الضلال، محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الكتب الحديثة، مصر، (د. ط. ت).
٢١٠. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط. ب. ت).
٢١١. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٤، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، (د. ب).
٢١٢. النبوات، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، ط١، أضواء السلف، السعودية، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان.
٢١٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د. ط. ت).
٢١٤. النكت والعيون، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د. ط. ت)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.
٢١٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، (د. ط)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي.

٢١٦. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ابن القيم الجوزية، ط١، دار القلم، دار الشامية، السعودية، ١٩٩٦م، تحقيق: محمد أحمد الحاج.

٢١٧. هل افتدانا المسيح على الصليب، منقذ بن محمود السقار، ط١، دار الإسلام، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م، (د. ب).

٢١٨. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، ط٢، دار الكلم الطيب، دمشق، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٢١٩. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، (د. ط)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى.

٢٢٠. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد بن محمد الواحدي، ط١، دار القلم، دمشق، ١٤١٥هـ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي.

٢٢١. الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، السعودية، ١٤٢٢هـ.

٢٢٢. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، دار صادر، بيروت، (د. ط. ت)، تحقيق: إحسان عباس.

الرسائل العلمية:

١. الأصول الخمسة عند المعتزلة وموقف المسلمين منها، صالح زين العابدين الشيبي، (١٣٩٧هـ – ١٩٧٧)، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية.

٢. أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، (١٤١٤هـ)، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم العقيدة والمذاهب، (د. ب).

٣. الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، سهل بن رفاع بن سهيل الروقي العتيبي، (د. ت)، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، الرياض.

٤. المباحث العقدية في سورة الزخرف، فادي محمد توفيق الفيشاوي، (١٤٣٣هـ – ٢٠١٢)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، غزة – فلسطين.

٥. مباحث العقيدة في سورة الزمر، ناصر بن علي بن عايض حسن الشيخ، (١٤٠٦هـ)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية الدراسات الإسلامية، الرياض – المملكة العربية السعودية.

المواقع الإلكترونية:

١. تراجم موجزة للأعلام، موقع وزارة الأوقاف المصرية، (د. ط. ب. ت).

٢. العقيدة الصحيحة وما يضادها، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، (د. ط. ب. ت).

٣. المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، أعضاء موقع ملتقى أهل الحديث، http://www.ahlalhdeeth.com

٤. الموسوعة العقدية، علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية، على الانترنت، (د. ط. ت).

٥. موسوعة الملل والأديان، عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت، (د. ط. ت).

٦. موقع الأيام، www.alayam.com/alayam/vari

٧. موقع الشبكة الإسلامية، طريق الإسلام، https://ar.islamway.net>article

سابعاً: فهرس الموضوعات.

الإهـداء..... د

الشكر.....هـ

ملخص البحث..... ز

المقدمة..... ط

أسباب اختيار البحث:..... ي

أهداف البحث:..... ي

منهج البحث:..... ي

الدراسات السابقة: .....ك

خطة البحث ..... م

التمهيد: التعريف بالعقيدة وبيان أهميتها والتعريف بسورة النساء وأهم القضايا العقدية فيها... ١

المسألة الأولى: التعريف بالعقيدة، وبيان أهميتها ومكانتها في الدين.....٢

أولاً: تعريف العقيدة:.....٢

العقيدة في اللغة: ٢

العقيدة في الاصطلاح:.....٢

تعريف العقيدة الإسلامية: ٣

ثانياً: أهمية العقيدة ومكانتها في الدين: ٤

المسألة الثانية: التعريف بالمضمون وبسورة النساء، وأهم القضايا العقدية فيها.....٥

أولاً: تعريف المضمون: ٥
ثانياً: التعريف بسورة النساء: ٥
اسم السورة: ٥
مكان نزولها: ٦
عدد آياتها: ٩
مناسبة سورة النساء لما قبلها: ١٠
مناسبة سورة النساء لما بعدها: ١٣
ثالثاً: أهم القضايا العقدية في السورة: ١٦
الفصل الأول: قضايا التوحيد ٢٠
المبحث الأول: تعريف التوحيد وأنواعه وبيان توحيد الربوبية في السورة..... ٢١
المطلب الأول: تعريف التوحيد وأنواعه. ٢٢
أولاً: تعريف التوحيد:..... ٢٢
التوحيد في اللغة: ٢٢
التوحيد في الاصطلاح:..... ٢٢
ثانيًا: أنواع التوحيد: ٢٢
المطلب الثاني: توحيد الربوبية ودلالة السورة عليه. ٢٥
أولاً: تعريف الربوبية: ٢٥
الرب في اللغة: ٢٥
الرب في الاصطلاح:..... ٢٦

ثانياً: دلالة سورة النساء على توحيد الربوبية: ٢٦
المبحث الثاني: توحيد العبودية ٣٢
المطلب الأول: توحيد العبودية، وبيان الجبت والطاغوت اللذين أوجب الله على عبادة اجتنابهما. ٣٣
أولاً: تعريف العبادة: ٣٣
العبادة في اللغة: ٣٣
العبادة في الاصطلاح: ٣٣
ثانيًا: دلالة سورة النساء على توحيد العبودية: ٣٤
ثالثاً: بيان الجبت والطاغوت اللذين أوجب الله على عباده اجتنابهما: ٤١
١. تعريف الجبت: ٤١
٢. تعريف الطاغوت: ٤٢
٣. بيان الجبت والطاغوت الوارد ذكرهما في السورة: ٤٤
٤. أنواع الطواغيت: ٤٦
المطلب الثاني: الشرك الوارد في السورة: ٥١
أولاً: تعريف الشرك في اللغة والاصطلاح: ٥١
الشرك في اللغة: ٥١
الشرك في الاصطلاح: ٥١
ثانيًا: بيان الشرك الوارد في سورة النساء. ٥٢
ثالثًا: أنواع الشرك، والفرق بين الشرك الأكبر والأصغر. ٥٣

الشرك نوعان: ٥٣
الشرك الأكبر نوعان: ٥٥
الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر: ٥٥
المبحث الثالث: توحيد الأسماء والصفات..... ٥٦
المطلب الأول: الاسم والصفة، والفرق بينهما، وبيان الأسماء والصفات الواردة في السورة. ٥٧
أولاً: معنى الاسم والصفة: ٥٧
معنى الاسم: ٥٧
معنى الصفة: ٥٧
ثانياً: الفرق بين الاسم والصفة:..... ٥٨
ثالثاً: الأسماء والصفات الواردة في السورة:..... ٥٩
أولاً: الأسماء الواردة في السورة: ٥٩
ثانيًا: الصفات الواردة في السورة: ٨٥
المطلب الثاني: مسألة رؤية الله تعالى، وأقوال أهل العلم فيها. ٩٨
أولاً: بيان الرؤية الواردة في السورة: ٩٨
ثانياً: اختلاف العلماء في رؤية الله تعالى: ٩٨
الفصل الثاني: الإيمان بالكتب السماوية وبالأنبياء والرسل ١٠٩
المبحث الأول: الكتب السماوية. ١١٠

المطلب الأول: التعريف بالكتب السماوية، والإيمان بها، وأهميتها في هداية البشرية، وبيان فضل القرآن الكريم على سائر الكتب. ١١١
أولاً: تعريف الكتب السماوية: ١١١
الكتب لغة: ١١١
الكتب السماوية في الاصطلاح: ١١١
ثانيًا: الإيمان بالكتب السماوية: ١١٢
ثالثًا: أهمية الكتب السماوية في هداية البشرية: ١١٣
رابعاً: فضل القرآن الكريم على الكتب السماوية: ١١٥
المطلب الثاني: الكتب السماوية الوارد ذكرها في السورة: ١١٨
أولاً: الكتب السماوية التي ورد ذكرها بصيغة العموم والإجمال: ١١٨
ثانياً: الكتب التي نصت عليها السورة بالاسم: ١١٩
المطلب الثالث: الكفر والاستهزاء بالكتب السماوية. ١٢٢
أولاً: تعريف الكفر والاستهزاء لغة واصطلاحا: ١٢٢
الكفر في اللغة: ١٢٢
الكفر في الاصطلاح: ١٢٢
الاستهزاء في اللغة: ١٢٣
الاستهزاء في الاصطلاح: ١٢٣
ثانياً: الكفر بالآيات الوارد ذكرها في السورة وبيان حكمها: ١٢٤
أنواع الكفر: ١٢٧

ثالثاً: الاستهزاء بالكتب السماوية الوارد ذكرها في السورة: ١٢٨
المبحث الثاني: الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام..... ١٣٥
المطلب الأول: الإيمان بالأنبياء والرسل..... ١٣٦
أولاً: تعريف النبي والرسول لغة واصطلاحا، والفرق بينهما:..... ١٣٦
النبي في اللغة: ١٣٦
الرسول في اللغة:..... ١٣٦
النبي والرسول في الاصطلاح: ١٣٧
الفرق بين النبي والرسول: ١٣٧
ثانياً: الإيمان بالأنبياء والرسل ودلالة السورة عليه:..... ١٤٠
المطلب الثاني: معتقدات اليهود والنصارى في عيسى عليه السلام وبيان دلائل نبوة محمد عليه الصلاة والسلام من السورة: ١٤٥
المسألة الأولى: تعريف عقيدة الصلب والفداء والتثليث:..... ١٤٥
١. عقيدة الصلب في اللغة والاصطلاح:..... ١٤٥
٢. تعريف عقيدة الفداء في اللغة والاصطلاح:..... ١٤٥
٣. بيان عقيدة الصلب والفداء: ١٤٦
٤. الرد على عقيدة الصلب والفداء من السورة:..... ١٤٧
٥. تعريف عقيدة التثليث: ١٤٩
٦. بيان عقيدة التثليث:..... ١٥٠
٧. الرد على عقيدة التثليث من السورة:..... ١٥١

المسألة الثانية: دلائل نبوة محمد ﷺ من السورة..... ١٥٥
الفصل الثالث: الغيبيات في سورة النساء: ١٥٧
المبحث الأول: الملائكة والشياطين ١٥٨
المطلب الأول: التعريف بالملائكة، والإيمان بهم، وصفاتهم، وأعمالهم الواردة في السورة. ١٥٩
أولاً: تعريف الملائكة لغة واصطلاحاً: ١٥٩
الملائكة في اللغة: ١٥٩
الملائكة في الاصطلاح: ١٥٩
ثانيًا: الإيمان بالملائكة: ١٥٩
ثالثاً: صفات الملائكة الواردة في سورة النساء: ١٦١
رابعاً: أعمال الملائكة الواردة في سورة النساء: ١٦٢
المطلب الثاني: عداوة الشياطين ووسائلها في إغواء بني آدم. ١٦٤
أولاً: تعريف الشيطان: ١٦٤
الشيطان في اللغة: ١٦٤
الشيطان في الاصطلاح:..... ١٦٤
ثانياً: عداوة الشياطين: ١٦٥
ثالثاً: وسائل الشياطين في إغواء بني آدم: ١٦٦
المبحث الثاني: اليوم الآخر وبيان القضاء والقدر ١٧٠
المطلب الأول: اليوم الآخر وبيان الجوانب المتعلقة به..... ١٧١

أولاً: تعريف اليوم الآخر: ١٧١
ثانياً: دلالة سورة النساء على الإيمان باليوم الآخر: ١٧٣
ثالثاً: الجوانب المتعلقة باليوم الآخر. ١٧٤
١. الموت: ١٧٥
٢. الحشر: ١٧٦
٣. الجنة جزاء المؤمنين: ١٧٧
٤. النار دار الكافرين: ١٨٢
المطلب الثاني: القضاء والقدر من خلال مسألة الهداية والضلال ١٩٠
أولاً: التعريف بالقضاء والقدر، وبيان مراتبهما كما وردا في سورة النساء:..... ١٩٠
القضاء والقدر في اللغة: ١٩٠
القضاء والقدر في الاصطلاح: ١٩١
مراتب القضاء والقدر: ١٩٢
ثانياً: التعريف بالهداية والضلال، وبيانهما كما وردا في سورة النساء: ١٩٨
تعريف الهداية والضلال: ١٩٨
بيان الهداية والضلال الواردة في السورة: ١٩٩
الخاتمة ٢٠٦
أولاً: أهم نتائج البحث: ٢٠٧
ثانياً: التوصيات: ٢١٠
الفهارس ٢١٢

أولاً: فهرس الآيات القرآنية. ٢١٣
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية. ٢٤٢
ثالثاً: فهرس الأعلام المترجمة. ٢٤٥
رابعاً: فهرس الطوائف والفرق. ٢٤٨
خامساً: فهرس الكلمات الغريبة..... ٢٤٩
سادساً: فهرس المصادر والمراجع..... ٢٥١
الرسائل العلمية: ٢٧٦
المواقع الإلكترونية: ٢٧٧
سابعاً: فهرس الموضوعات. ٢٧٨

أشرف الحافلي
لخدمات الطباعة والتنسيق والفهرسة
00967-771555206